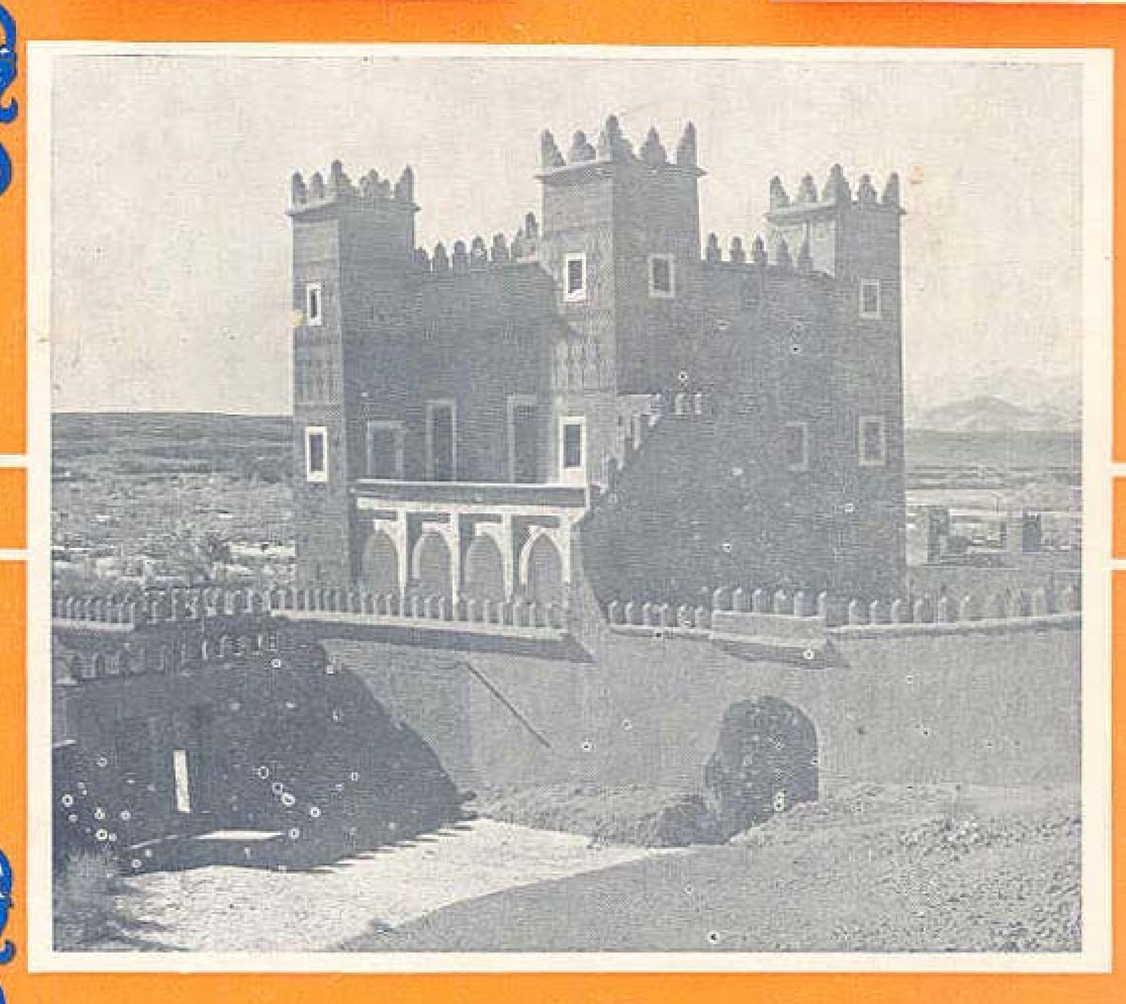


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد التاسع والعاشر - السنة الرابعة
محرم - صفر 1381 . يونيه - يوليوز 1961
ثمن العدد: درهم 1

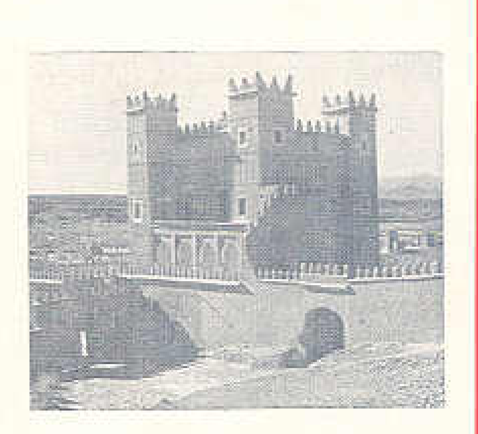
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد التاسع والعاشر
السنة الرابعة
محرم - صفر 1381
يونيه - يوليوز 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



قصر مغربي في أقصى الجنوب
تتجلى فيه آثار الحضارة
المغربية الاندلسية في فن البناء .

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308-10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

بعد اربع سنوات

بعد صدور هذين العددين تكون مجلة دعوة الحق قد سلخت من عمرها اربع سنوات كاملة ، كلها سعي وجهد فى خدمة الثقافة العربية الاسلامية .

لقد قامت المجلة اول الامر لتسد فراغا فى حياتنا الدينية والفكرية ، فراغا كان يتحسسه جمهور من المثقفين والحريصين على ان يظل هـذا البلد كما كان مهـدا لحضارة عربية نامية ، ومنبع اشعاع فكري ، يستمد طاقته وقدرته من روح تعاليم الاسلام ومثله الحية السامية .

قامت المجلة اذن لتضطلع بهذه المهمة الجليلة ، ولتحقق على صفحاتها رغبة المثقفين فى الحصول على مجال خصب للعطاء المتبادل والتعارف الفكري الهادف الى استجلاء صور ماضينا الزاهر الحافل بذكريات المجد والبطولة ، وارساء القواعد لنهضة فكرية تبلور امانينا القومية ، وتحقق مثلنا العليا .

وليس من حقنا ان نزعم بان المجلة قد بلغت حد الكمال فى كل ما تصبو وتتطلع اليه ، بيد اننا نستطيع ان نقول بانها خلال اربع سنوات من سعيها المتواصل قد قطعت اشواطا بعيدة فى سبيل البلوغ الى الاهداف والشعارات التي التزمت بها .

والذي يثلج صدر المجلة ويزيد من حماسها هو الثقة الكبيرة التي ما تزال تتمتع بها من طرف قرائها العديدين ، واقبال الكتاب من مشارق الارض ومغاربها علـى المساهمة فى تحريرها ، والاهتمام الكبير الذي تحظى به فى جميع الاوساط ، والنوادي الثقافية بالعالم .

ان هذا الدور الذي تقوم به المجلة ، يضع القائمين على شؤونها والعاطفين عليها امام مسؤوليات جسيمة : مسؤوليات امام التراث الثقافي والحضاري لهذه الامة ، ومسؤوليات امام الفكر ، ومسؤوليات امام القراء الذين تأبى المجلة الا ان تسمو بروحهم وذوقهم ، وتفتح اعينهم على ينابيع الحق والخير والجمال ، ومسؤوليات امام الخطة والنهج السليم الذي ضمن للمجلة النجاح خلال اربع سنوات من عمرها ، والذي استطاعت بمقتضاه أن تجمع اكبر عدد من المثقفين على صعيد المعرفة الخالص من كل شوائب الحقد والضغينة .

انها حقا مسؤوليات جليلة بقدر ما هي رائعة ، بيد ان المجلة تنوي ــ بفضل رصيدها الكبير من ثقة القراء ، وتعاونها مع كل الكتاب والمعنيين بشؤون الفكر ــ مواصلة السير لتحقيق اهدافها وتوكيد شعاراتها ، وهي اذ تودع جميع المهتمين بامرها ، ــ على امل اللقاء بهم فى سنتها الخامسة ــ تتمنى لهم عاما سعيدا حافلا باليمن والبشر والبركات .

دعوة الحق

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 15 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

ان الحيوان المتولد من جنسين مختلفين يبدو في الظاهر كأنه مخلوق جديد تطور عن قصد ، كالكلاب السلوقية ، والكلاب البكينية والكلاب البوكية . وكلها كلاب . واذا اعتني بتربيتها تبقى على صفاتها المكتسبة واذا لم يعتن بتربيتها تعود الى حالتها الطبيعية وتفقد تلك الصفات التي اكتسبتها بالتربية وربما كانت في الاصل ذئابا . واذا حوفظ على تكييفها تكييفا مطابقا للبيئة التي وجدت انفسها فيها ولم تختلط بغيرها بالتوالد فانها بمرور الزمن تشكل نوعا جديدا من الكلاب .

وقد ربي الحمام بقصد احداث انواع جديدة منه منذ ابتداء التاريخ تقريبا . ومن تلك الانواع ذوات الاذناب التي تشبه المراوح ، والحمام المعروف بالهزاز وقد تكون هناك فلتات او شواذ ، ولكن الجنات تنتظر في هدوء لتعيدها الى نوعها الاول . ويمكنك ان تراها في طريقها الى الرجوع الى اصلها في اي شارع من شوارع المدن فتلحظ فيها العلامات المتشابهة والميل العام الى الانسجام التام في اللون . ونحن نكره الحيوان الشاذ بطبعنا ، فلو رأينا بقرة ذات خمس قوائم او بقرة ذات رأسين لاشمأززنا من رؤيتها ، ولكننا نعجب بالرجل الجميل الا اذا كانت اخلاقه ذميمة ، وكذلك نعجب بالمرأة الجميلة واحب شيء الى نفوسنا الام المتفانية في حب الخير لابنائها .

ان الجنات هي جزء من خلايا الوراثة ، ولكن خلايا الوراثة لا تشارك في التكوين العام للجسم ، ولكنها منعزلة ولا تشارك بأي وجه من الوجوه في الاعمال غير المهمة التي تقوم بها الكائنات الحية . وهذه الخلايا تحفظ المشابهة الكاملة الكائنة في الجنس . ويظهر انها لا تتأثر بسلوك الوالدين ، غير ان الاخلاق السيئة والامراض والحوادث يمكن ان تعطيها مادة رديئة لتشتغل بها . ان الوالدين القويين قد يلدان اطفالا اقوياء ، ولكن ذلك بسبب انه كان لهم جدود أقوياء ، ان الوالدين قد يعطيان ولدهما مكانا طبعيا جيدا ليعيش فيه ، وقد يهبانه مباءة لا تصلح ان تعيش فيها نفس خالدة . فالابوة والامومة أعظم مسؤولية يتحملها الانسان .

ان لحى الرجال لا تنبت اقصر مما كانت بسبب انهم يحلقونها . وقطط الجزيرة المعروفة بجزيرة الانسان ليس لها اذناب ولم يكن ذلك بسبب ان شخصا قد قطع ذنبي الهر والهرة اللذين وجدا لاول مرة في تلك الجزيرة . لعل الجنة الخاصة بنمو الذنب كانت مفقودة في الاصل الاول لقطط تلك الجزيرة ومع هذه المصيبة نشأت القطط المتنسلة منه صحيحة بدون تلك الجنة .

ان البيئة قد تحدث تغيرات بطيئة في انواع أعمال الجنة . فان كانت تلك التغيرات صالحة استمرت تلك التعديلات ، والا فان المخلوق الذي اصابه التغير يزول لانه غير صالح لملاقاة الاحوال . ان الكلب المكسيكي الذي لا شعر له قد ينشأ صحيحا في الاراضي البادية المتجمدة ، ولكن نسله قد يموت من شدة البرد . ان القائلين بنظرية التطور والنشوء والارتقاء لم يكونوا يعلمون شيئا من اخبار الجنات ــ وحدات الوراثة ــ ولذلك بقوا واقفين في المرحلة التي يبتدىء فيها التطور حقيقة ، أعني عند الخلية ، وهي الكيان الذي يحتوي على الجنات ويحملها .

كيف استطاعت هنة صغيرة تشتمل على بضعة ملايين من الذرات المجتمعة التي لاترى الا بالمجهر وهي

الجنة ، كيف استطاعت ان تدبر تدبيرا مطلقا جميع الحياة التي على وجه الارض . هذه القضية لا تزال اعظم اعجوبة من اعاجيب العالم .

«ايهما وجدت قبل الاخرى الدجاجة ام البيضة»

هذا لغز تعبت فيه الافكار زمانا طويلا وقد حل الان حلا نهائيا . والجواب هو لا هذه ولا هذه ، بل سبقتهما الوجود خلية اولية . والبيضة انما هي غذاء للجنين ، وهي تشتمل على الخلية المفردة التي التقت مع الفها اي عشيرها . فمتى اتحدت الجنات التي في الخلية وانقسمت ، فان هذه الجنات والستيوبلازم تجبر الآن على ان تنتج دجاجة تضع بيضة اخرى .

والمادة على هذا الشكل لا غرض لها ، فليست لها غاية حتى في طاعتها للقانون ، ولكن الحياة في كل مادة لها غرض محدود ، كان تنشيء شجرة او كرمة عنب او فيلا او انسانا باتفاق تام على خطة محدودة رسمتها الجنات .

ان الحياة ترغم على التناسل من اجل بقاء الجنس بدافع قوي حتى ان كل مخلوق يبذل اعظم تضحية لهذا الغرض .. ففي بعض انواع الحيوان كذباب مايو مثلا يموت دفعة واحدة عدد من افراد هذا النوع حين يتم عمله . وهذه القوة القاهرة لا توجد حيث تفقد الحياة . فمن اين نشأت هذه الدوافع المسيطرة ولماذا تستمر بعد نشأتها ملايين السنين ؟ انه قانون طبيعة الحياة ، وهو في قوته مثل التركيبات الكيمائية المسيطرة . انه يأتي من فوق اي ارادة الله عز وجل .

ان الاختلافات الجوهرية الموجودة بين جميع المواد العنصرية لام الجميع وهي الارض ، وبين كل ما فيه حياة هي انه على حين جميع العناصر يمكن ان تتحد وتتبلور وتتغير في المظهر ، لا يوجد اي تغير في الذرات ولا علاقة محسة اي مشعور بها بينها . بل بالعكس ، نرى الكائنات المتصفة بالحياة تنظم جميع العناصر في مجموعة من التراكيب الجديدة ، كل في مجاله من العمل ، تتنافس كلها في بذل الجهود لحفظ هذه الصلات الحية . وهذا التعاون المورث النشيط مفقود تماما الا حيث توجد الحياة . وانه لم يقدر حق قدره مع انه قانون عظيم لا يقل عن قانون الجاذبية ، ولابد ان يكون قد جاء من المصدر نفسه الذي صدر منه قانون الجاذبية . ان مثل هذه القوانين لهي جزء ناشيء عن ارادة الله التي تسيطر على جميع العوالم وليس ناشئا عن المصادفة .

لقد علمنا ان الجنات متفق على الاعتراف بأنها تنظيمات دقيقة اصغر من الذرات المكروسكوبية في خلايا الوراثة في جميع الاشياء المتصفة بالحياة . وهي تحفظ التقدير ، والسجل السلفي ، والخواص اللازمة لكل شيء حي . وتتحكم بالتفصيل في الجذر والجذع والورقة والزهرة والثمرة من كل نبات تحكما تاما في غاية الضبط كما تقرر الشكل ، والقشور والشعر والاجنحة لكل حيوان ويشمل ذلك الانسان. اذا سقطت حبة من تمر البلوط على الارض فالقشرة السمراء الخارجية تحفظها سالمة . فتتدحرج الى حفرة من الارض ، وفي الربيع تستيقظ الجرثومة فتنشق القشرة ويظهر الغذاء من اللب الشبيه بالبيضة الذي كانت فيه الجنات مختفية . فترسل العروق في الارض واذا بشطء يخرج من الارض في شكل نبتة ضئيلة وبعد سنين تصير شجرة . ان الجرثومة بما فيها من الجنات قد تضاعفت ملايين الملايين وكونت الجذع . والقشرة وكل ورقة وكل ثمرة كل ذلك مماثل تمام المماثلة لشجرة البلوط التي تولدت منها. وفي خلال مئات السنين بقي محفوظا في ثمار البلوط التي لا تحصى تنظيم الذرات نفسه بغاية الضبط مطابق للنظام الذي نشأت منه اول شجرة بلوط منذ ملايين السنين الماضية .

لم تحمل قط شجرة بلوط تمرا ، ولم يلد حوت قط سمكة . ومزارع القمح المتموجة متماثلة في كل حبة من حبوبها ، والحنطة هي الحنطة ، والقانون يتحكم في التنظيم الذري بالجنات التي تقرر كل نوع من الحياة من بدايتها الى نهايتها .

لقد قال هيغل اعطني هواء ومواد كيمائية ووقتا ، وانا اصنع انسانا ، ولكنه اغفل وحدات الوراثة الجنات واغفل الحياة نفسها . لقد كان عليه — لو استطاع ! — ان يجد الذرات غير المرئية وينظمها ووحدات الوراثة (الجنات) ويمنحها الحياة ! وحتى في هذه الحالة تكون النتيجة ، بنسبة ملايين الى واحد ، ولو انه نجح في ذلك لقال ان الامر لم يكن مصادفة مجردة ، ولكنه ثمرة عقله وارادته !

حقا ان الله هو الذي يخلق المعجزات والخوارق وينشئها بطرق واساليب تخفى على اذهان البشر .

تعليقـــات :

1) قوله .. ان الحيوان المتولد من جنسين الخ .. يعبر المترجمون عن الحيوان المتولد من جنسين مختلفين كالخيل والحمير والذئاب والكلاب مثلا بالهجين . وقد تركت هذا التعبير عمدا لانه لا يفي بالمعنى المطلوب ولا يطابق استعمال العرب لهذا اللفظ .

وحاصل كلام المؤلف كما تقدم ان الحيوان المتولد من جنسين لا يكون نوعا جديدا . ثم قال هنا .. ان الحيوان المتولد من جنسين اذا اعتنى بتربيته يبقى محافظا على الصفات المكتسبة بالتربية . واذا اهمل يرجع الى طبيعته الاصلية . ثم يبين ان ذلك الحيوان الذي اكتسب تلك الصفات والمزايا اذا طال به الزمان مع المحافظة على صفاته المكتسبة قد يكون نوعا جديدا . ويظهر لي ان هذا الكلام راجع الى الصفات المكتسبة ، وانها بمرور الزمان تصير ثابتة ، لا الى طبيعة التوالد والتطور فان ذلك لا يمكن ان يتغير بالمصادفة او بفعل خارجي كالسفاد الواقع بين جنسين . الا ترى ان البغل لا تسل له ولن يكون له نسل ولو طال الزمان . اما انواع الكلاب فهي جنس واحد والاختلاف بينها انما هو في الطباع وهي تتغير بالتربية خصوصا اذا طال الزمان عليها . وبهذا يظهر اتفاق كلام المؤلف السابق واللاحق .

2) قوله ان قطط الجزيرة المعروفة بجزيرة الانسان الخ .. اقول لعل السر في كون هذه الهرر قد خلقت بلا اذناب هو اظهار قدرة الله تعالى ومشيئته الشاملة لكل ما يقع في العالم ردا على الدهريين والطبيعيين الذين يزعمون ان الطبيعة المفترضة هي عمياء بكماء صماء مجبورة مقهورة جاهلة عاجزة هي التي تدبر امور العالم . واذا صح ما افترضه كريسي مورسن من ان الجنة التي تكون الذنب فقدت في تلك فليس فقدها واقعا على سبيل المصادفة . وانما وقع بقصد وارادة من الخالق الذي لا يضل ولا ينسى لحكمة عظيمة تظهر لقوم وتخفى على آخرين .

3) وقوله .. ولم يكن ذلك بسبب ان شخصا قد قطع ذنبي الهر والهرة الخ .. يدل على ان الانسان عاجز عن تغيير خلق الله ، ومثل ذلك الاعمى لا يكون اولاده عميا والاعرج لا يلد اولادا عرجا .

4) قوله .. ان القائلين بالنشوء والارتقاء لم يكونوا يعلمون من اخبار الجنات الخ .. اقول : ايها المؤمن اثبت على ايمانك بالله الواحد القهار ولا تكن من المذبذبين .

كريشة في مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق

لقد انتشرت نظرية داروين في العصر الماضي القريب اعظم انتشار وكفر بسببها كثير من الناس وكذبوا بآيات الله ، وظنوا انه جاءهم اليقين ، وبدلوا عقيدتهم وخرجوا من النور الى الظلمات . ثم تبين خطأ تلك النظرية وانها انما كانت مرحلة من مراحل البحث وان السفر بعدها لا يزال طويلا . وجاءت المرحلة التي بعدها فاكتشفت الخلايا والجنات وزيفت كثيرا من آراء داروين غير الناضجة ، واقرت ما كان منها صحيحا ، فاغتبط المؤمنون الذين ثبتوا على ايمانهم ولم يتركوا يقينهم لظن غيرهم . وما احسن ما قال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .

اذ المعضلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر

ولست بامعة في الرجال
اسائل هذا وذا ما الخبر

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال .. كنا في الجاهلية نسمي الرجل الذي يرى اناسا مدعوين الى وليمة فيتبعهم اليها دون ان يكون مدعوا ، كنا نسميه امعة . وهو فيكم المحقب لا دينه الرجال. قال كاتب هذا المقال .. يعني المقلد في العقائد الذي لا يستعمل عقله ولا علمه ولا بصره بل يغمض عينيه ويضع يده في يد شخص آخر يقوده فيهوي في مهاوي الضلال .

5) قوله . وانه لم يقدر حق قدره مع انه قانون عظيم لا يقل عن قانون الجاذبية الخ . اقول .. اظن ان السبب في ذلك هو التنافس على الحطام وحب السيطرة ، فان علماء الطبيعة لما رأوا رجال الكنيسة يحاربونهم ويكفرونهم ويضيقون عليهم الخنق ويحبون استغلال النفوذ الديني في الاستيلاء على الحكم اخذوا ينتقمون منهم بكل وسيلة . وبلغ بهم الامر الى ان اهملوا النظر في اسرار الحياة ، لان ذلك النظر

سيوصلهم لا محالة الى الاقرار بوجود الله وانه الخالق الرازق العليم القدير الذي يدبر الامر من السماء الى الارض . وهذا يفضي بهم الى الاعتراف برسالة الرسل فيستظهر عليهم رجال الدين . فلذلك قابلوا ظلما بظلم واجحافا باجحاف واهمالا باهمال وخير الامور الوسط وما عداه شطط .

6) قوله . وهي تحفظ التقدير والسجل السلفي الخ . المراد بالسلفي هنا العائد الى اسلافها من الجنات لا تختلف مع اسلافها فى شيء وذلك من الاسرار الربانية التي تدل دلالة قاطعة لا ريب فيها على ان لهذا الكون مدبرا عليما حكيما قديرا .

7) قوله . لم تحمل قط شجرة بلوط تمرا الخ. هذا التمر يترجم بالشاة بلوط وبالقسطل ابي فروة بعامية عرب الشرق . ومراد المصنف ان الهيئة التي حملت بها شجرة البلوط التي ولد بها الحوت اولاده والهيئة التي نمى بها الزرع الى ان صار حبا هي مطابقة تمام المطابقة لاول شجرة بلوط خلقها الله ولاول حبة نبتت منذ بدء الخلق الى يومنا . والحوت المذكور هنا هو نوع كبير جدا يكثر فى بحر الشمال وهو الذي تسميه العرب (القريش) .

8) هيقل فيلسوف الماني مشهور افضى به البحث الناقص الى ان زعم ان الحياة الانسانية وغيرها هي نتيجة تركيب كيمائي اجتمع مع الماء وطال عليه الزمان . ومتى وجد الزمان الطويل الذي يعد بملايين السنين مع التراكيب الكيميائية والماء وجد الحيوان والنبات . ولم تكن الخلايا الذرية والسيتوبلازم والجنات قد عرفت . فرد عليه المصنف بقوله .. هب انك وجدت ما ذكرت فلن تستطيع ان يخلق ذبابة فضلا عما هو فوقها من الحيوان والانسان. اذ يجب عليك قبل ان تتصدى لخلق الحيوان ان تجد الجنات وهي لا ترى بالبصر فكيف تجدها . وتجد الخلايا التي تتضمنها والسيتوبلازم لها ولن تجد ذلك ابدا ؛ ولو وجدته لبقي عليك ان تهبها الحياة ولن تستطيع ذلك ابدا . ولو استطعته لكان نصيبك من النجاح بنسبة واحد من ملايين . فقد بنيت فرضك على محال فى محال فى محال ؛ ظلمات بعضها فوق بعض .

وقل لمن يدعي بالعلم معرفة
علمت شيئا وغابت عنك اشياء

ثم قال مورسن لهيقل .. وهب انك قدرت على ذلك كله ونجحت النجاح التام فى خلق الانسان وما تتوقف عليه حياته من نبات وحيوان ، افترض ان يقال لك ان هذا الخلق كان مصادفة ، رمية من غير رام ؟ لا شك انك لا ترضى بذلك بل تقول بملء فمك انه نتيجة عقلك وارادتك . فكيف تجحد صنع الله الذي اوجد الاسباب والمسببات وخلق الارض والسموات . وتقول : ان ذلك من المصادفات ، بل قولك هذا من السخافات او المغالطات .

فيا عجبا كيف يعصي الالا
ه ام كيف يجحده الجاحد

وفى كل شيء له آية
تدل على انه الواحد

وقد انتهى الفصل العاشر من كتاب مورسن بانتهاء سنة المجلة . وموعدنا الجزء الاول من السنة الآتية ان شاء الله .

النظام الجديد للتعليم والتربية

للاستاذ : ابي الاعلى المودودي

- 4 -

التخصص :

امـــا درجة التخصص التي يلتحق بها الطالب بعد فراغه من دراسته في الكلية ، والتي يكون المقصود بها بلوغ الكمال في شعبة خاصة من شعب العلم فانما الذي نقول في شأنها هو اننا كما نهتم بالتخصص في سائر العلوم والفنون ، كذلك ينبغي ان نهتم بالتخصص في القرآن والحديث والفقه وما اليها من العلوم الاسلامية الاخرى حتى يكون عندنا المفسرون والمحدثون والفقهاء وعلماء العلوم الاسلامية الاخرى من الدرجة الاولى . اما الفقه ، فيجب تدريسه في كلياتنا للحقوق على نحو ما قد فصلت القول في طريق تدريسه في محاضرتين لي القيتهما سنة 1948 م في كلية الحقوق بلاهور وقد تحلتا بالطبع وظهرتا بصورة الكتاب فلا حاجة الى اعادة هذا البحث هينا (1) . واما القرآن والحديث والعلوم الاسلامية الاخرى ، فعلى جامعاتنا ان تبذل لتدريسها في درجة التخصص اهتماما خاصا. وعندي ان عليها لهذا الغرض ان تفتح كليات مستقلة جديدة او شعبا خاصا في الكليات الحاضرة لا يلتحق بها الا الطلبة الحاصلون على شهادة بكالوريا او الذين هم في مرحلة التعليم البكالوري ، ويدرس فيها ما ياتي من العلوم :

1 ـ **الادب العربي :** حتى ينشا في الطلاب من الكفاءة العلمية ما يؤهلهم لقراءة وفهم ادق الكتب العلمية ويكونوا مع ذلك قادرين على الكتابة والخطابة والكلام باللغة العربية .

2 ـ **علوم القرآن :** يعرف فيها الطلبة اولا باصول التفسير وتاريخ علم التفسير والمزايا لمختلف مدارس فن التفسير ، ثم يدرسون القرآن على تحقيق علمي كامل .

3 ـ **علوم الحديث :** وايضا يعرف فيها الطلبة اولا باصول الحديث وتاريخ علم الحديث وفن الجرح والتعديل ثم يدرسون امهات كتب الحديث بطريق يؤهلهم من جانب لنقد الاحاديث ومعرفة درجاتها في الصحة او الضعف ، ومن جانب آخر يكسبهم النظر في اكبر عدد ممكن من الاحاديث .

4 ـ **الفقه :** يكون تدريسه بطريق مختلف ـ اختلافا يسيرا ـ عن طريق تدريسه في كليات الحقوق ، فمما يكفي هنا ان يعرف الطلاب باصول وتاريخ علم الفقه والمزايا البارزة لمختلف المذاهب الفقهية وطرق استنباط الاحكام من نصوص القرآن والسنة .

5 ـ **علم العقائد وعلم الكلام وتاريخه :** يدرسه الطلاب بطريق يعرفون به حقيقة هذا الكلام ويكتسبون نظرا شاملا على اعمال المتكلمين في الاسلام .

6 ـ **المقارنة بين الاديان :** يعرف فيها الطلبة بتعاليم ما يوجد في الدنيا اليوم من الاديان الشهيرة الكبيرة بمزاياها البارزة وتاريخها .

والذين يفرغون من هذه المرحلة للتعليم ، لا يهمني ماذا تسمون به شهاداتهم ، غير ان هناك امرا لابد من ذكره ، هو انه لا ينبغي ان يسمى « علماء الدين » عندنا في المستقبل الا الحاصلون على هذه الشهادة ، وانه يجب ان تكون مفتوحة لهم ابواب سائر الوظائف العليا التي ينالها اليوم الحاصلون على شهادة ماجستير او الدكتوراة في سائر العلوم الاخرى .

1) قد نقلت هاتان المحاضرتان الى اللغة العربية وهما تحت الطبع عند كتابة هذه الاسطر .

التدابير اللازمة

هذا ما عندي من الخطة لذلك النظام التعليمي الجديد الذي يجب ان يقام في هذه البلاد بعد الغاء النظامين المستقلين للتعليم الديني والتعليم الدنيوي، الا ان كل الجهود لاصلاح الوضع الحالي ستذهب ادراج الرياح ما لم تتخذ ما ياتي من التدابير والخطوات اللازمة جنبا الى جنب للاصلاحات المذكورة اعلاه .

ان اول ما يجب بهذا الصدد ان نسلم بزمام سياستنا التعليمية الى ايدي اصحاب الفكر الاسلامي، ممن يعرفون نظام التعليم الاسلامي ويحبون اقامته ، اذ لا يمكن ان يتم هذا العمل الا على ايدي امثال هؤلاء ولا يمكن ان يتم ابدا على ايدي الذين لا يعرفون الاسلام ولا يعرفون نظامه للتعليم ولا يجدون من نفسهم رغبة في اقامته ، فان هؤلاء اذا ظلوا قابضين لزمام النظام التعليمي وبقينا نصيح ليل نهار للضغط عليهم وارغامهم على القيام بهذا العمل ، فان غاية ما يرجى منهم القيام به على كره منهم هو ان ينفذوا مثل تلك الاصلاحات السطحية التي ما زالت تتم على ايديهم حتى اليوم دون ان ترجع علينا بجدوى .

ومن اللازم كذلك عند اختيارنا المعلمين والمعلمات لمدارسنا وكلياتنا ان لا يهمنا في شانهم مقدرتهم العلمية وكفاءتهم للتدريس فحسب ، بل يهمنا مع كفاءتهم هذه، بل وقبلها ، سيرتهم واخلاقهم وحالتهم الدينية ، كما انه من اللازم ان لا نقترح الاصلاحات لتربية المعلمين والمعلمات في المستقبل الا وفقا لهذه الغاية المقصودة . ان كل من له ادنى المام بشؤون التعليم ، لا يخفى عليه ان المنهاج والكتب ليس لها في نظام التعليم من الاهمية مثل ما هو للمدرس واخلاقه وعاداته ، وعلى هذا فاذا كان المدرس فاسدا في عقيدته واخلاقه ، لا يرجى منه بحال ان يربي تلاميذه تربية فكرية وخلقية هي منشودنا في نظامنا الجديد للتعليم . ان شعب الحياة الاخرى ، انما يفسد فيها العمال الفاسدون الجيل الحاضر فقط ، واما التعليم فهو اذا كان بايدي المدرسين الفاسدين فانهم لا يفسدون الجيل الحاضر فحسب بل يفسدون كذلك الاجيال المتعاقبة القادمة .

وآخر ما اريد ذكره بهذا الشان ، هو ان علينا ان نغير اوساط مدارسنا وكلياتنا حتى نجعلها متفقة مع مبادىء الاسلام وروحه . اما هذا التعليم المختلط بين الطلاب والطالبات ، واما هذه المظاهرات للتفرنج ، واما هذا الاستيلاء لحضارة الغرب ومدنيته على حياة المعلمين والمعلمات والطالبين والطالبات ، واما هذه المباحثات وطرق الانتخاب التي تجري اليوم في الكليات، فهي اذا بقيت جارية في مجراها ولم تجدوا من انفسكم رغبة في الغائها ، فاطووا هذا الحديث لاصلاح مناهج التعليم والتربية في بلادكم ، لانه من المحال قطعا ان ينمو في وسط هذه العبودية الفكرية والمدنية مواطنون غيورون لدولة اسلامية وعمال ومديرون لمختلف دوائرها وشؤونها يعتزون بتمسكهم بحضارتهم القومية ، او ان يزدهر في هذا الجو غير الخلقي افراد متصفون بمتانة الاخلاق وطهارة السيرة لا يستعدون للمساومة في مبادئهم وضمائرهم بحال من الاحوال . اما اذا كان يعز عليكم ان تدخلوا اي تغيير على الوضع الحاضر في كلياتكم وجامعاتكم ، فانفضوا ايديكم عن فكرة ان تنشؤوا في بلادكم شعبا مومنا امينا له ضمير حي . افليس من الاستهزاء بالله ورسوله انكم في جانب تجلسون الشبان والشابات متلاحقين وبالجانب الآخر تريدون ان تنشأ فيهم تقوى الله والاحترام للقوانين الخلقية .. وانكم في جانب تطبعون اجيالكم الجديدة بطابع حضارة الغرب ومدنيته واسلوبه للحياة وترضعونهم بلبان حبه ، وبالجانب الآخر تحبون ان ينشا في قلوبهم الاحترام لحضارتهم القومية بمجرد اقوالكم الفارغة .. وانكم في جانب تمرنون شبابكم كل يوم في مباحثاتكم على قطع ما بين اللسان والضمير من الصلة والكلام بما يخالف الضمير ، وبالجانب الآخر تحبون ان يتخلقوا بالصدق والامانة والاخلاص .. وانكم في جانب تعودونهم استخدام كل المكايد والمراوغات الانتخابية التي قد نغصت علينا حياتنا السياسية كلها ، وبالجانب الآخر ترجون منهم ان يكونوا على جانب من الامانة والعفاف والصدق بعد فراغهم من مراحل التعليم . ان ظهور مثل هذه المعجزات من المحال قطعا ، فنحن اذا كنا نحب من صميم قلوبنا ان نطهر حياتنا القومية مما بها اليوم من الادناس والمفاسد والخبائث ، فلابد ان نشرع في ذلك بتطهير اوساط مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا .

تعليم البنات :

والتعليم للبنات ضروري على قدر ما هو ضروري للابناء ، اذ من المستحيل ان تتقدم في الدنيا امة اذا كانت نساؤها جاهلات متخلفات . فعلينا — لهذا — ان

تبذل جهودنا المستطاعة للاهتمام بتعليم البنات وتتخذ له احسن ماتقدرعليه من الخطوات حتى انه من اللازم ان نعني بتربيتهن العسكرية ايضا ، لاننا محافظون بامم لا تتحرج فى تعدي اي حد من حدود الشرف والانسانية والرجولة عند سنوح الفرصة ، فاذا نشبت الحرب لا سمح الله ، فلا يعلم الا الله ماذا عسى ان يصدر عنها من الاعمال الهمجية ، والوحشية ، فلا بد ان نعد نساءنا ايضا للدفاع عن البلاد . ولكن مما يجب ان لا نغفل عنه ابدا ، هو اننا قبل كل شيء وبعده مسلمون فلا ينبغي ان نعمل شيئا ابدا الا فى ضمن القيود الخلقية والحدود الانسانية والاجتماعية التي نؤمن بها ايمانا والتي نحن مامورون بحمل لوائها .

والذي يجب ان نكون على ذكر منه على كل حال ان حضارتنا مختلفة عن حضارة اهل الغرب اختلافا اساسيا بينا ، ومن الدلائل على هذا الاختلاف ان حضارة اهل الغرب تابى ان تعطي المراة شيئا من العزة والحقوق ما دامت لا تجعل نفسها رجلا صناعيا ولا تستعد لتحمل مسؤولياته وتبعاته ، واما حضارتنا ، نحن المسلمين ، فانها تعطي المراة كل ما تعطيها من العزة والحقوق مع المحافظة على انوثتها ولا تحملها من تبعات المدنية الا ما قد حملته اياها الفطرة . ولذلك يجب ان يكون الاهتمام عندنا بتعليم النساء وفقا لوظائفهن وحاجاتهن الفطرية ، لا وفقا لوظائف الرجال وحاجاتهم فمن الواجب ان لايكون التعليم عندنا مختلطا بين الاولاد والبنات من اول مراحل التعليم الى آخرها .

اما التدابير والاصلاحات العملية بصدد تعليم النساء ، فكل ما ذكرنا آنفا من الاصلاحات والتدابير اللازم ادخالها على مراحل التعليم من المدارس الابتدائية الى الكليات والجامعات بالنسبة لتعليم الرجال ، فهي بعينها لابد من الاخذ بها بالنسبة لتعليم النساء ايضا ، على انه مما يجب ملاحظته بصفة خاصة بصدد تعليم النساء ان ليست تبعاتهن الحقيقية الفطرية ادارة المزارع والمصانع والدواوين ، وانما هي ادارة شؤون المنزل واعداد الانسان . فعلى نظامنا للتعليم ان يعمل جهده لينشىء فيهن الكفاءة للاخراج الى حيز الوجود امة مسلمة تمثل لدينا ذلك النظام الفطري للحياة . الذي قد وضعه خالق السماوات والارض لبني الانسان .

رسم الكتابة :

ومن اعاجيب الوضع الراهن عندنا فى باكستان ان رجال الحكم يؤكدون – فى جانب – الحاجة الى الوحدة بين مختلف مناطق البلاد بينما هم – فى الجانب الآخر – لايكتفون بأن يجعلوا المسائل المفروغ منها سابقا مسائل مثيرة للنزاع من جديد فحسب ، بل يثيرون كذلك مسائل جديدة لا يكاد يخطر عنها ببال انها ذات نزاع بين الجمهور بوجه من الوجوه . ومن هذا القبيل المبحث الجديد الذي قد اثاروه حديثا حول كتابة اللغتين الاردية والبنغالية بالحروف اللاتينية .

اما بالنسبة للغة البنغالية ، فانه من المتعذر على ان اقول فيها بشيء لان اهل هذه اللغة هم اعرف بوضعيتها واحق بان يقولوا فيها برايهم . على ان من الحقيقة ان اهل بنغال ما زالوا الى القرن الماضي يكتبون لغتهم البنغالية ويطبعون فيها الكتب بالحروف العربية وان الحروف العربية هي التي كانوا مستأنسين بها الى ذلك الوقت ، وانما كانت المؤامرة التي تمت بين الانكليز والهنادك هي التي روجت الحروف السنسكريتية لكتابة اللغة البنغالية بين المسلمين لحاجة فى صدورهم هي ان يقطعوا المسلمين عن ماضيهم ويحولوا بينهم وبين القرآن والحديث وعلم الدين الاسلامي ويردوهم هكذا شيئا فشيئا الى الثقافة الهندوكية القديمة . ولهذه الغاية قد ابى الانكليز والهنادك ان يساعدوا المسلمين فى فتح المدارس الابتدائية الجديدة الا بشريطة ان يغلقوا اولا مدارسهم التي يتعلم فيها الطلبة اللغة البنغالية بالحروف العربية . فهكذا قد فرض الرسم السنسكريتي للغة البنغالية فرضا على المسلمين عن طريق القسر والتحريج . والمسلمون فى شرقي باكستان بما قد ظلوا فريسة هذا الظلم لمدة قرن كامل واستانسوا بهذا الرسم استئناسا لا ارى من السهل عليهم بعده ان يرضوا بغيره . وعلى كل ، فانه من الصعب على رجل غير بنغالي – مثلي – ان يقول فى هذا الشان بشيء قطعي ، وانما على اخواننا فى شرقي باكستان ان يقضوا بالرسم الذي يختارونه للغتهم .

اما بالنسبة للاردية ، فأن يعمل الى استبدال الرسم العربي بالرسم الفارسي لكتابتها ، فلا اعتراض لنا على ذلك البتة ، ومن الممكن ان يعمل على ترقية الحروف العربية الجديدة حتى تكون متناسبة مع ذوق عامة قراء الاردية فيستأنسوا بها ولا يلقوا صعوبة فى

قراءتها . واما الحروف اللاتينية فهي ان كانت مظنة – كما يقال – لقبول رجال الجيش اذ ان الانكليز قد عودوهم عليها منذ ذي قبل ، فان اختيارها لكتابة الاردية خطة مهلكة جدا من عدة وجوه ولها نتائج سيئة كثيرة بالنسبة لعامة شعبنا :

سيكون من الاولى ان كل ما يوجد اليوم من الكتب باللغة الاردية لا يبقى له اي قيمة بالنسبة لنشئنا الجديد . فاما ان نبذل ما لا ياتي تحت الحصر والعد من الاموال والاوقات والجهود لاعادة طبع كل ما ورثناه عن اسلافنا من الكتب الموجودة الآن بالعربية والفارسية والاردية بالحروف اللاتينية ، واما ان نصبر على ان تصبح اجيالنا الآتية اجنبية عن ماضيها لا حضارة لها ولا تقاليد مستقلة بنفسها ورثتها عن اسلافها منذ مئات السنين ولا يبقى لديها شيء تفتخر به البتة . ان تركيا قدماتت بهذه التجربةوذاقت وبالها قبلنا . فالثروة العلمية التي تركها علماء الاتراك وكتابهم بجهودهم المضنية طيلة عدة قرون ماضية ، موضوعة اليوم عندهم فى رفوف المكتبات كالآثار القديمة ولم يعد من الممكن لنشئهم الجديد ان يقراها فضلا عن ان يفهمها ويستفيد منها ، واخيرا لما شعرت الحكومة التركية بحاجة بلادها الى التعليم الديني من جديد ، واقامت لهذا الغرض مدارس لاعداد الخطباء والائمة للمساجد والمعلمين للمدارس الدينية ، فان الشبان ما تعلموا اللغة التركية القديمة – التي كانت رائجة فى بلادهم منذ نحو ثلاثين سنة الماضية – الا كلغة اجنبية بحت . فما الذي يدعونا اليوم الى اعادة هذه التجربة الفاشلة فى بلادنا ؟

والمضرة الثانية العظيمة التي ستكون لهذه التجربة ، هي ان رقينا العلمي سيقف عن التقدم دفعة واحدة ويذهب – هكذا – زمن غير يسير ضحية لهذا النزاع السخيف حول رسم الكتابة . ان عامة افراد شعبنا مستانسون كابرا عن كابر برسم خاص للكتابة فلا يكون من الممكن لهم بوجه من الوجوه بمجرد اصدار الحكومة امرها بتغيير رسم الكتابة ، ان يستانسوا من فورهم برسم جديد لا عهد لهم به سابقا . انهم لن يستانسوا به الى مدة غير يسيرة ، وانما سيجبرون على ترك رسمهم الذيهم به مستانسون ولايجدون اي مشقة فى القراءة او الكتابة به ابدا . وهكذا فان الاموال والاوقات والجهود التي ينبغي ان تنفق فى نشر الثقافة وبث التعليم بين عامة افراد الشعب ، ستذهب ادراج الرياح فى نزاع سخيف حول رسم الكتابة . الحقيقة اننا بهذه السياسة الجديدة سنحول المتعلمين فى بلادنا الى اميين بدل ان ننشر التعليم بين الاميين ؛ كما ان الكتاب والمؤلفين الموجودين عندنا الآن لن يستطيعوا ان يقوموا بعمل علمي يذكر لانهم سيحتاجون الى غير سنة واحدة لاستيناسهم بالرسم الجديد وتعودهم على الكتابة به قبل ان يشرعوا فى تاليف الكتب والمقالات به فعلا .

والمضرة الثالثة الكبرى التي ستلحقنا اذا اقدمنا على هذه الخطوة المعوجة ، اننا سننقطع عما حولنا من البلاد الاسلامية الاخرى ونعود على اهاليها المسلمين كالاجانب ، فان عامة الامم الاسلامية من اندونيسيا وافغانستان شرقا الى الشرق الاوسط وشمالي افريقية والمغرب العربي غربا لا تقرا ولا تكتب الا بالرسم العربي ولذا فان رسمنا الحالي لكتابة اللغة الاردية ليس بشيء اجنبي عليها ومن اجل ذلك تبقى الروابط الثقافية قوية مستحكمة بيننا وبينها . ولكننا اذا اخترنا لكتابة لغتنا الرسم اللاتيني فلابد ان نبتعد عنها ونعود عليها كالاجانب شان الاتراك ، لقد اراد الاتراك ان يعدوا من الامم الغربية ، ولكنهم ما رجعوا فى سياستهم هذه الا بخفي حنين : اوهنوا صلتهم بالامم الاسلامية فى جانب ولم يجدوا لهم مكانا بين الامم الغربية بالجانب الآخر . غير ان الاتراك كان لهم – على كل حال – نوع من الاتصال الجغرافي ببلاد الغرب ، واما نحن فاذا جئنا نقتفي آثارهم مبتغين بذلك التقرب الى الغرب ، فلا يكون من نتيجة ذلك الا ان بلادنا ستصبح بمثابة جزيرة مستعمرة لاهل الغرب لا يربطها شيء بما حولها من البلاد الاسلامية الاخرى .

هذا ؛ فهل لنا ان نتساءل بعد بيان هذه المضار الفادحة والنتائج الموبقة لسياسة اختيار الحروف اللاتينية للغة البلاد الاردية : ما هي المنافع او المصالح التي عسى ان نكتسبها بهذه السياسة حتى نتحمل فى سبيلها هذه المضار والنتائج ؟ فان كان المقصود من وراء هذه السياسة ان يكون لكل واحدة من لغتي البلاد – الاردية والبنغالية – رسم واحد ، فان هذا المقصود يمكن الظفر به على وجه احسن باختيار الرسم العربي اذ ان اخواننا فى شرقي باكستان مضطرون على كل حال الى ان يتعلموا الرسم العربي لمعرفتهم قراءة القرءان الحكيم ، وليس هناك فرق كبير بين الرسم العربي والرسم الحالي للغة الاردية . واما اذا كانت التسهيلات فى طباعة الحروف اللاتينية هي التي تدعو الى هذا التغيير ، فان هذا المقصود ايضا يمكن الحصول

عليه بكل سهولة باختيار الرسم النسخي ، لان الرسم النسخي قد تقدمت طباعته تقدما ملموسا حتى بلغت ذروة الكمال في ايران ومصر وسوريا وغيرها من بلاد الشرق الاوسط ، واما اذا كانت هناك للحروف اللاتينية فوائد اخرى لا نعرفها ، فنرجو التكرم ببيانها ، والا فالاحسن طي هذا المبحث والاحتراز عن اعادته في المستقبل . واني على مثل اليقين بأن الحكومة اذا اجرت في البلاد استفتاء عاما حول هذه القضية فانها لن تجد ولا واحدا من الف شخص يؤيدها في مشروع اختيار الرسم اللاتيني للغة الاردية . انه من المحال احداث هذا الانقلاب على رضا من الجمهور في البلاد ، وانما يمكن ان يفرض عليهم فرضا بالقوة والقسر ، مما لا يمكن ان يترك في قلوبهم آثارا محمودة ابدا .

مكانة اللغة الانكليزية في منهاج التعليم :

اما تعليم اللغة الانكليزية ، فاني لا انكر ما له من الاهمية وما للبلاد من الحاجة اليه لتلقي العلوم الجديدة . ولكن ليس من الخطأ فحسب ، بل مما يضر باخلاقنا ويتنافى مع غيرتنا القومية ايضا أن تكون اللغة الانكليزية هي اداة التدريس عندنا في اي مرحلة من مراحل التعليم . ان اي امة في الارض اذا كان عندها شيء من الوعي القومي ولها في الحياة غاية تهدف اليها لا تستعد ابدا لان تجعل لغة غير لغتها القومية اداة للتدريس في بلادها ، كما اني لا اعرف في الارض امة صغيرة او كبيرة رضيت لنفسها بهذا اللون من الذل والهوان . واما اذا كنا نجد بعض صعوبات دون جعل لغة البلاد لغة التدريس فيجب ان نتفكر في ازالة هذه الصعوبات حتى تكون لغة البلاد هي لغة التدريس من اول مراحل التعليم في المدارس الابتدائية الى آخرها في الكليات والجامعات . اما الانكليزية ، فلاشك انه من الواجب تدريسها كلغة مهمة بل لا بأس بان نجعل دراستها الزامية لطلاب العلوم التجريبية وغيرها من العلوم الجديدة الاخرى ، ولكن من الخطأ الفاحش المتنافي مع عزتنا القومية ان نصر على كونها اداة التدريس عندنا ولو في اي مرحلة من مراحل التعليم .

اني لا اريد الا الاصلاح وما توفيقي الا بالله ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الى قراء «دعوة الحق»

بهذا العدد تكون المجلة قد انهت سنتها الرابعة ، وفي شهر اكتوبر القادم بحول الله تبتدىء نشاطها من جديد ، مفتتحة سنتها الخامسة باصدار عدد ممتاز حول «السبل السليمة لبناء نهضة فكرية وثقافية بالمغرب»



للدكتور محمد البهي

-3-

لقد اوصى الاسلام صاحب الثروة بالانفاق ، وصاحب الصحة بالمعاونة ، وصاحب المعرفة بالتوجيه ، والكبير برحمة الصغير ، والصغير بتوقير الكبير . اوصى بذلك وبمثله . ولكنه شدد كثيرا في طلب بذل المال ، والاحسان لصاحب الحاجة من ذوي اليسار . وذلك لان المال من جانب ، من شانه ان يغري صاحبه على عدم الانفاق ، كما ان الحرمان من المال ، من جانب آخر ، من شانه ان يثير القلق النفسي ، والحسد والبغضاء في نفوس المحرومين ضد غيرهم من الموسرين . يقول الله تعالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة ، وانفقوا مما رزقناهم ، سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، اولئك لهم عقبى الدار » ويقول « اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون » .

والانفاق هنا ليس الزكاة . وانما هو اعطاء : وراء فريضة الزكاة ، سرا او علانية . وقد ربط الله سبحانه وتعالى هنا بين الصفات التي تدعو الى التحمل من صاحبها ، في سبيل استقامة الامور ، وعلاج المشكلات . فالصبر في المحنة والازمات . واقامة الصلاة التي من شانها ان تمسك المصلي عن الفحشاء والمنكر ، والانفاق في سبيل الخير وسبيل الله ، وابعاد السيئة عن طريق الحسنة ـ كلها خصائص تبعد الازمات وتسد طريق الشر ، ولكنها تتطلب الاحتمال وضبط النفس .

اوصى القرآن بهذا كله ، وبغيره مما يتصل بشان الجماعة العامة ، وهي الامة ، قاصدا ان يبقى على التكتل والتجمع ، وان يحول دون العوامل المخربة . والعوامل المخربة ترجع جميعها الى اختلال العدل ، او اختلال التعادل والتوازن في الجماعة .

فالولاء للاجنبي ، والتحيز في الفصل بين الناس ، والمسارعة في قبول الوشايات ، واستغلال القوي للضعيف ، وعدم تقرب الغني لصاحب الحاجة ، صاحب المال من الفقير ، وصاحب المعرفة من الجاهل ، والسليم من المريض ، الى غير ذلك ، كل هذه امور تؤدي الى اختلال في توازن الجماعة لا محالة . فرسالة القرءان للجماعة العامة هي رسالة توازن وتعادل ، كرسالته للفرد نفسه التي هي توازن وتعادل بين القوتين اللتين من شانهما السيطرة عليه .

الاسرة :

تلك هي وصايا القرءان الكريم للجماعة العامة . فاذا انتقلنا في نطاق هذه الجماعة الى الاسرة الصغيرة ـ وجدنا وصايا القرءان نفسه الى هذه الاسرة لا تخرج عن الهدف والغاية التي حددها للجماعة العامة ، كما حددها من قبل للفرد الواحد ، وهي رسالة العدل ، والتوازن ، والاستقامة .

بين الزوجين :

فاخلاق القرءان للزوجين في الاسرة هي مجموع :

ا) اخلاق القرءان للفرد نحو نفسه .

ب) واخلاقه للفرد نحو مجتمعه

جـ) واخلاقه للفرد ، كزوج او زوجة ، بالنسبة للطرف الآخر .

اذ الزواج اجتماع بين فردين ، هو تزاوج يجب ان يكون هدفه الانسجام ، حتى يبدو ان تصرف كل واحد من الزوجين نحو الآخر تصرف ناشيء عن فرد واحد ، ولغاية واحدة ، وفي طريق واحد .

وهذه الحال درجة في السلوك والمعاملة ، فوق درجة سلوك الفرد نحو مجتمعه على العموم يقول الله تعالى : « ومن ءاياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ، لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ويقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

فجعلت هاتان الآيتان غاية الزواج : ان يسكن كل من الزوجين الى الآخر ويطمئن اليه ، ويستريح لوجوده معه . ولا تكون حالة السكن هذه ، وحالة الاطمئنان والراحة في اجتماع فرد بآخر ، الا اذا كان هناك انسجام بينهما ، واقترب كل منهما نحو الآخر بسلوكه وطريقه في الحياة .

والطريق الى هذا الانسجام امران :

الاول – ان يحفظ الرجل على المراة حياءها وخفرها . وبالتالي يحفظ عليها كرامتها كانثى ويتجلى ذلك في ان يعبر الرجل عن تقديره للمراة بمنحة يتقدم بها اليها حين الرغبة في اتمام الزواج بها . وذلك هو ما يؤخذ من قول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . وتوكيدا لان لهذه المنحة اثرها في معنوية المراة ، وفي وضعها بعد ذلك من الزوج ، جعل القرآن الكريم هذه النحلة – وهي المنحة – حقا للمراة لايسترد الرجل شيئا منه الا عن طيب نفس من المراة ورضاء خالص منها .

هذه المنحة ، وهي التي تعرف بالمهر – مهما قلت قيمتها تشعر الزوجة في حياتها مع الزوج بان الزوج هو الذي سعى اليها . ولذلك تشعر بالتالي بانها موفورة الكرامة ، وليس لانوثتها عندئذ دخل في الغض من قيمتها كانسان ، كما كان الحال قبل الاسلام . وهي تعيش الآن في وضع متساو مع زوجها في الانسانية .

واذا استقر شعور المساواة في الانسانية بين الزوجين سارت حياتهما الى الانسجام ، واثمرت الزيجة المحبة وعدم الفرقة ، ونتج عنها خلف صالح ترعاه محبة الاثنين ، ويعيش هذا الخلف في ظل وئامهما ووفائهما .

الامر الثاني – في الاحتفاظ بالانسجام بين الزوجين : ان الحقوق والواجبات الزوجية متكافئة ومتعادلة بحسب طبيعة كل منهما :

للزوج حقوق وواجبات ، وللزوجة حقوق وواجبات . وكل واحد من النوعين من هذه الحقوق والواجبات متكافيء ومتعادل مع الآخر . ومعنى التكافؤ والتعادل هنا ان الحياة الزوجية – كي تصل الى غايتها ، وهي السكن والاطمئنان ، والانسجام – لابد من اسهام الرجل والمراة فيها سواء . ولابد من افادة كل منهما معا بهذه العلاقة : لايضار الرجل بالعلاقة الزوجية فيؤدي ما عليه دون مساهمة من المراة في هذه العلاقة ، ولا تضار المراة فتؤدي ما عليها دون مساهمة من الرجل فيها .

وهذا التكافؤ في الحقوق والواجبات هو الذي تشير اليه الآيتان الكريمتان : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما انفقوا من اموالهم » . « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

والمراد بالتماثل في الحقوق والواجبات هو التكافؤ والتعادل بينهما . فليس بلازم ان تكون كل حقوق الرجل وواجباته هي ذات حقوق المراة وواجباتها بالشخص . فالرجل عليه الانفاق مثلا ، بينما دور المراة في مقابل هذا في رعاية ولدها . وهكذا . .

اما درجة الرجال على النساء في الآية الثانية وهي القوامة والقيادة في الآية الاولى – فنسبتها الى الرجل لا تخرج دوره في الحياة الزوجية عن ان يكون بها مسهما لتبادل هذه الحياة وانسجامها . وهي لذلك ضرورة انسانية لصالح الزوجية ، وليست مظهرا عارضا على حسابها ، وفي سبيل تقويضها .

اذ لم يقصد القرءان مطلقا بما اوصى به في علاقة الزوجين بعضهما ببعض ، الى هدم السكن والاطمئنان ، الذي جعل غاية الزواج والا كان غير منطقي مع مبادئه ، وكان غير مستقيم بعد ذلك ان

يبحث على عدم الاضرار وعلى الصبر والتؤدة اذا ما تعرضت الحياة الزوجية لازمة طارئة ، على نحو ما يوصي به في قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . فمطالبة الاسلام الرجال بعدم الاضرار في العشرة ، وبالصبر عند الضيق بالزوجات ينبيء عن حرصه على بقاء السكن بين الزوجين .

والقرءان الكريم بعد ذلك ، فيما يتصل بالزواج وان هدف الى الانسجام ، لكنه لم يقصد الى الغاء احد الطرفين في حالة الزوجية، بل ابقى على فردية الاثنين، ونظم الحياة بينهما ، بحيث تكون متمرة لصالحهما وصالح الانسانية . ومن اجل ابقائه على فردية الاثنين لا يسلب من احدهما كفرد حقوقه الشخصية بعد الزواج . ولهذا كانت للفرد حقوق شخصية وحقوق اخرى زوجية بعد الزواج ، وعليه واجبات متنوعة كذلك . فالزوجة مع يسارها نفقتها في مال زوجها . ومع ارتباطها في عقد الزوجية بزوجها فلها وحدها حق استثمار مالها الخاص بالطريقة التي تراها ، ولها حق ممارسة عقيدتها الخاصة ، واتجاهها السياسي الخاص ، وحق التعبير عما ترى .

ولكن كفالة هذه الحرية ، لها او لزوجها ، في حدود عدم الاضرار بأحد الطرفين في الزوجية .

واذن رسالة القرءان في علاقة الزوجين ، بعضهما ببعض ، هي التوازن ، والتعادل ، والانسجام، على نحو رسالته في سلوك الفرد مع نفسه ، ونحو مجتمعه .

اما الاضرار في المعاشرة فالنهي عنه ليس وقفا على العلاقة الزوجية . بل هو منهى عنه في اية علاقة اخرى بين انسان وانسان . ولكنه هنا اشد والزم ، لانه يتنافى تماما مع الزواج وهدفه .

صلة الاولاد بالوالدين :

والقرءان الكريم في صلة الاولاد بالوالدين هدف ايضا الى التعادل ، والتوازن ، والانسجام . نظر الى هذه الصلة في صورتها الواقعية ، نظر اليها على انها صلة مرجوحة من جانب وراجحة من جانب آخر . نظر اليها على ان الطرفين في علاقة احدهما بالآخر ليسا في درجة متساوية ولا في وضع واحد ، علاقة الوالدين باولادهما اشد واقوى من علاقة الاولاد بوالديهم . فالوالدان . حسب الفطرة السليمة ، يتفوقان في ميلهما ومحبتهما لاولادهما اكثر من هؤلاء في ميلهم ومحبتهم لوالديهم .

والصلة بين الاولاد والوالدين في دائرة الميل والحب اذن صلة غير متكافئة ، وتعلق احد الجانبين بالآخر تعلق غير متعادل .

ويشير الى عدم التكافؤ والتعادل هذا ان القرءان في مخاطبة الآباء لم يذكر اولادهم — في آية من الآيات التي ذكرهم فيها — الا على انهم زينة ومتعة في حياة والديهم .

ومن اجل انهم زينة ، اي زينة ، ومتعة ، اي متعة جعلهم بالنسبة لوالديهم فتنة وموضع اغراء . ثم مع ذلك فيما ذكرهم لم يذكرهم الا مقترنين بالمال ، الذي هو ايضا زينة ومتعة ، وموضع فتنة واغراء . بل في بعض الآيات كاد يقصر القرءان الكريم الدنيا وزينتها على الاولاد والمال : يقول الله تعالى في سورة الكهف :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . ويقول في سورة التغابن : « انما اموالكم واولادكم فتنة » ويقول في سورة الحديد : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الاموال والاولاد » .

ومنطق التعبير عن الاولاد بانهم زينة الحياة ، او فتنة الدنيا ، او موضع التفاخر فيها — ان تعلق الوالدين باولادهم تعلق شديد ، بحيث يجعلهما لا يريان في الحياة الدنيا — سواء في مظهرها اومخبرها — الا الاولاد اما بجانب المال او في منزلة بعده .

بينما القرءان نفسه — في ذكره للوالدين لم يعبر عنهما بانهما في حياة الاولاد زينة ، او موضع فتنة وتفاخر لهم ، بل في ذكره لهما ذكرهما على انه يجب ان يكونا موضع رعاية من اولادهم ، فقال في سورة النساء : « وبالوالدين احسانا » . وفي سورة البقرة : « يسالونك ماذا ينفقون ، قل ما انفقتم من خير فللوالدين .. » وفي سورة لقمان « ووصينا الانسان بوالديه » . وفي سورة العنكبوت : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » وفي سورة الاحقاف : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » .

وهذا الفرق في تعبير القرءان الكريم عن الاولاد والوالدين يدل على ان الصلة في سيرها العادي بين الطرفين ليست متماثلة ، وانها في جانب الوالدين اقوى منها في جانب الاولاد .

ورسالة القرءان في هذه الصلة تهدف الى ان تبلغ الطرفين الى مستوى التكافؤ والتعادل في سلوك كل واحد منهما نحو الآخر : تهدف اذن الى ان تغير مجرى سيرها العادي حتى تصل الى نقطة التقاء بين الاثنين ، بحيث لا يمل احدهما الآخر ولا يزهد في لقائه .

وبما ان الدافع لهذا الالتقاء الوسط المتوفر لدى الوالدين بحكم الطبيعة والفطرة او بحكم الالفة والعادة ، اكثر من توفره عند الاولاد — كانت وصايا القرءان في الصلة بين الطرفين تكاد تكون موجهة الى الاولاد وحدهم وفي سورة تجعل طلب ذلك من الامور التي لا يغتفر التخلف فيها بحال . ومظهر ذلك في تعبير القرءان الكريم ، انه يقرن طلب الاحسان من الاولاد الى الوالدين بطلب عدم الشرك في العبادة ، يقول الله تعالى : « واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ، وبالوالدين احسانا .. » ويقول في سورة الاسراء : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » . ويقول في سورة الانعام : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا » .

ثم ان القرآن بينما لم يحدد تفصيل السلوك والتصرف الذي يتصرفه الوالدان نحو اولادهم اعتمادا على الدافع الطبيعي الفطري القوي عندهم — يعني بتحديد المطلوب من الاولاد نحو والديهم ، يقول تعالى في تكملة آية الاسراء السابقة ، وفي آية اخرى بعدها : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ، فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

وهو اذن يطلب من الاولاد هذه المعاملة الرقيقة المهذبة في صلاتهم بوالديهم ، فطلبه منهم رعايتهما بالانفاق والسكنى اوجب واشد ضرورة .

وقد يضيف القرءان الى اقتران طلب الاحسان الى الوالدين بطلب عدم الشرك في العبادة ، الاسباب والدوافع التي من شأنها ان تدفع الاولاد اصحاب الفطرة السليمة الى البر بالوالدين والاحسان اليهما ، لان هذه الاسباب منتزعة من تطور الاولاد انفسهم ، يقول الله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن » « ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها » ويقول : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

بينما لم يطلب القرءان من الوالدين في صلاتهما باولادهما الا عدم الافتتان بهم اذ الافتتان بالاولاد من شأنه ان يلهي الوالدين عن ذكر الله ، وتنفيذ تعاليمه في حياة الانسان ، يقول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ، ولا اولادكم عن ذكر الله » واذا تلهى الوالدان بالاولاد عن ذكر الله ساء تقديرهما للحياة . وعاقبة ذلك الانحراف في توجيه الاولاد ، وبالتالي الانحراف في الاستمتاع بهم ، فتكون حياة الطرفين حياة خالية من الاستقرار النفسي ، مليئة بالاحداث المفاجئة المزعجة .

هذا ما يطلبه القرءان في صلة الوالدين بالاولاد ، سواء من جهة الوالدين او من جهة الاولاد انفسهم . وما يطلبه هنا وهناك قائم على اعتبار الفطرة الانسانية ، التي لم يلحقها شذوذ ولا تخلف في نموها وتطورها وتلك هي حال الانسان السائدة ، وهذه الحال هي دائما الاساس في فهم توجيه القرءان لصلة الوالدين بالاولاد ، والاولاد بالوالدين .

اما نهي القرءان الآباء عن قتل اولادهم خشية الفقر ، كما في قوله تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » وقوله : « ولا تقتلوا اولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم » . وكذلك حديث القرءان عن عداوة بعض الاولاد لوالديهم ، اما هذا وذاك فانه لا يقوم على الطبيعة الانسانية السائدة ، ولا يرسم منهجا لطريقها العادي ، انما هو علاج لحالة طارئة ، علاج لانحراف غير شائع في طبيعة الآباء او طبيعة الاولاد ، هو علاج لانحراف تخلقه البيئة المنحرفة اذا طال انحرافها

فالاحسان من جانب الاولاد الى الآباء ، وعدم افتتان الآباء بالاولاد هو الطريق الامثل الى التكافؤ والتعادل في العلاقات بين الطرفين . وهذه سنة القرءان في كل جانب من جوانب الحياة الانسانية .

صلة الاقارب بعضهم ببعض :

وعلى نحو ما سبق فى صلة الفرد بنفسه ، وصلته بمجتمعه العام ، وصلته بأحد طرفي الزوجية ، وصلته بأحد طرفي الابوة والبنوة ، يعالج القرءان الكريم صلة الاقارب بعضهم ببعض ، وما ابتغاه هناك يقصده هنا . والذي ابتغاه هناك : التعادل والتكافؤ ، والانسجام وذلك هو الهدف هنا ايضا .

فاقارب الانسان مصدر قوة للانسان ان هم اخلصوا له ، لانهم عندئذ بالنسبة له اكثر من الانسان العادي ، هم شركاء له فى الدم ، وفى الطبائع الموروثة، وفى العادات المألوفة ، وفى الميول والاتجاهات ، هم عصبته عندئذ ، وعدته ، وقومه بالمعنى الخاص .

ولكن هم انفسهم قد يكونون مصدر ضعف وقلق له ، ان هم حقدوا عليه ، لان السبب الذي كانوا له قوة ، هو بعينه السبب الذي يكونون من اجله مصدر ضعف له .

تلك هي سنة الانسان مع اقربائه ، اما ان يقوى بهم ، او يضعف بسببهم ، والقرآن الكريم افصح عن هذين الجانبين فى صلة الانسان باقاربه فى الدم والنسب ، يقول الله تعالى فى بيان الجانب الاول : على لسان موسى عليه السلام مناجيا ربه : « واخي هرون هوافصح مني لسانا، فارسله معيردى يصدقني، اني اخاف أن يكذبون . قال : سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانافلا يصلون اليكما بآياتنا، انتما ومن اتبعكما الغالبون » ، فطلب موسى اخاه هارون عليهما السلام ، من مولاهما جل شانه ليكون فى صحبته وليعينه ويحميه فى رسالته .

وقد اجابه المولى سبحانه وتعالى الى ما طلبه وشد عضده بأخيه وقوى به سلطانه وامره، ووعدهما بعد ذلك بالغلبة والنصر هما ومن يستجيب لدعوتهما. فالقرابة هنا كانت قوة ، لانها بقيت فى صون من الانحراف لازمها الاخلاص ، ونقاء السريرة ، ووحدة الاتجاه .

اما الجانب الآخر فتمثله قصة يوسف عليه السلام مع اخوته : انحرفت علاقة القرابة بينه وبينهم ، فحقدوا عليه ، وحاولوا ان يكيدوا له فى ابشع صور الكيد ، وهي العمل على قتله ، والتخلص منه لتخلو لهم الحياة مع ابيهم . وينفردوا بصحبته يقول الله تعالى : « لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين ، اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ، ان ابانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا ، يخل لكم وجه ابيكم . وتكونوا من بعده قوما صالحين » . نعم هم قد ندموا بعد ذلك على ما عقدوا عليه العزم وحاولوا تنفيذه ، كما يدل عليه قوله تعالى : « تالله لقد آثرك الله علينا، وان كنا لخاطئين » وقوله : « قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا ، انا كنا خاطئين » . ولكن مع ذلك موقفهم كاخوة من اخ لهم اول الامر قبل ذلك ، يعطي ان الاقارب قد يدفعهم الحقد والانحراف فى علاقة بعضهم ببعض الى ان يكونوا مصدر ضعف وازعاج وقلق ، بدلا من ان يكونوا مصدر قوة ، وعون ، وجاه.

اذا كانت هذه سنة الانسان فى علاقته مع اقاربه وكانت قوته بهم او ضعفه عن طريقهم ، امرا غير عادي كان من السلامة فى توجيه الانسان نحو اقاربه ان تزداد علاقته بهم ، كما تقضي طبيعة صلتهم به . وان يكون هناك تعادل وتكافؤ بين اساس هذه الصلة ورعاية شأنها ، وهذا التوجيه هو ما يوحي به القرءان الكريم فى هذا الجانب .. فالقرءان يعني بهذه الصلة من الجهة النفسية والروحية ، ثم من الجهة المادية "

يقول الله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ، ان الله بكل شيء عليم » ويقول : « ذلك الذي يبشر اللهعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل : لا اسألكم عليه اجرا ، الا المودة فى القربى » ففي هاتين الآيتين الكريمتين ابرز القرءان : مدى حرصه على ان يعنى الاقارب بعضهم ببعض فى صلاتهم . فعبر فى الآية الاولى بأن كون الارحام والاقارب بعضهم اولى ببعض فى رعاية العلاقات والترابط ــ امر مسطور فى كتاب الله ، ولم تخل عنه رسالة من رسالات السماء ، حتى القرءان الكريم . ودلالة هذا التسجيل زيادة الحرص من قبل الله تعالى على ان يعنى الناس بعلاقة القربى عناية شاملة ، لا تقل فيها العناية بترضية النفوس والابقاء على صفائها ، عن العناية بمساعدة المعوزين ، عند القدرة ، من الاقوياء مساعدة مادية ، تقيهم شر الحقد على الاغنياء فيهم ، وشر الذل للحاجة نفسها .

ثم بجانب هاتين الآيتين اللتين تدلان على طلب الرعاية فى صورها المتنوعة لعلاقة القرابة ــ نجـــد آيات اخرى تطلب الى الموسرين ان يعنوا باقربائهـم ويسهموا فى سد حاجاتهم ، لا بعنـوان انهم فقـــراء او مساكين ، بل بعنوان انهم اقرباء ، يقول الله تعالى: « فآت ذا القربى حقه ، والمسكين ، وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، واولئك هـــم المفلحون » ، ويقول : « يسالونك ماذا ينفقون ، قـل ما انفقتم من خير فللوالديـن ، والاقربين ، واليتامى، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فـان الله به عليم » ويقول : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة ، والكتاب والنبيين ، وآتي المال علـى حبه : ذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابـن السبيـل ، والسائلين ، وفى الرقاب » .

ويدل على زيادة اهتمام القرءان بطلب العناية بعلاقة الاقرباء بعضهم ببعض ، حتى تتكافأ مع منزلة هذه العلاقة فى اصل وضعها ، وفى آثارها الطيبة اذا استقام امرها ــ تقديمه الاقرباء فى استحقاق الحصول على اموال البذل والعطاء ــ الذين ليس لهم يسار وبهم حاجة على غيرهم ممن هم خارج الاسرة : فـآت ذا القربى حقه ، والمسكين . « وآتي المال علـى حبـه ذوي القربى ، واليتامى » « قل ما انفقتـم من خيـر فللوالدين والاقربين واليتامى » . وسئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن الصدقة على القريب فقال : « له اجران : اجر القرابة واجر الصدقة » . ولفظ الحديث فى رواية النسائي والترمذي : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة » .

هذا هو الدين فى حياة الانسان ، ان قـــورن بالقانون والفلسفـة .

وهذا هو الاسلام على الخصوص فى حيـــاة الانسانية بعد ذلك ! وحدة فى المعبود ، وانسجام فى سلوك الانسان . وتعادل فى الاسرة بين الزوجين ، وتكافؤ فى علاقة الابناء بالآباء ، وتوازن فى علاقة الاقارب بعضهم ببعض : انه رسالة الله ، لتوجيه الانسان . وطريقـه هو الطريق المستقيم . اللهـم اهدنـا الصـــراط المستقيـم ، صراط الذين انعمت عليهم

ــ انتهـى ــ

المظهـــر والمخبـــر

راى بعض الفلاسفة قرويا عليه ثياب فاخرة وهو يتكلم كلاما قبيحـا فقال له : يا هذا اما ان تتكلم بما يشبـه لباسك واما أن تلبس ما يشبه كلامك



ان شر ما تصاب به امة انتشار سرطان المدارس الاجنبية فى بلادها ، وافساح المجال لتلك المدارس لكي تنمو وتترعرع حتى تؤدي رسالتها التخريبية بكل دقة وامانة . فتلك المدارس ثكنات خطيرة تضمن للاستعمار كثيرا من مصالحه وتخلق له شروطا مناسبة لوجوده واستمراره ..

وسنرى راي محمد عبده فى هذه المدارس .

تقدم ان اشرنا الى ان محمد عبده لم يكن يرى فى السياسة وسيلة مجدية لاصلاح العالم الاسلامي ، وانما الح على الاهتمام بالتربية والتعليم! تكوين الفرد المسلم الصالح ذي الارادة القوية والوجدان الحي وبذلك نضمن وجود مجتمع سليم من الامراض ، تسند اليه اموره ، وتفوض اليه بعد ذلك شؤون حكمه ودولته ، فيتصرف بوعي ويسير على هدى ، ويقلل من الاخطاء ما امكن ، لان خطواته تتحرك حينئذ وفق الفكرة الحية الناضجة ، والبصيرة ، الموفقة الثاقبة ، غير ان هذه التربية وذلك التعليم يجب ان لا يسندا الا للايادي الامينة ، والشخصيات التي تعتقد ما تعتقده الامة ، وتعيش مشاكلها ، وتتبنى آمالها واحلامها ، وتتجاوب مع وجدانها ، وتحس باحساساتها ، لان التربية ليست علما يلقن ، ولا قواعد تعلم ، ولا قوانين تلقى ، وانما هي تفاعلات نفسية متبادلة ، وتأثيرات وجدانية تتسرب من (المعلم) الى التلميذ بكيفية ما ، وتحت شروط خاصة ، وغالبا ما يكون ذلك فى جو لا شعورى ، فالمعلم بسلوكه وحركاته ومواقفه وآرائه ، ورضاه وغضبه وتصرفاته يمثل الفكرة الحية المؤثرة التي تملك القدرة على اختراق الافاق النفسية والشعورية ، والنفاذ الى اعماق الطفل ، الى عقله الباطن فتخلق فيه عواطف ، ونزعات ، وتكون فيه ميولات ، ومن ثم تحدد له — نفسيا — كثيرا من المواقف والمسالك فى الحياة ، ويختلف التأثير باختلاف شخصية الاستاذ ، فهناك من يستطيع الاستيلاء على ارادة (التلميذ) والتصرف فى احساساته وعواطفه ، والتأثير فى اتجاهاته وافكاره . .

فالمعلم فى الامم المتحضرة عامل فعال فى نهضة الامة وتطويرها وعظمتها ، ولهذا عندما سئل احد قادة اروبا عن سر تقدم امته وامجادها قال : « المدرسة » ، والحق ان جاجارين وصاروخه ليسا سوى دليلين واضحين على النجاح الخارق للمدرسة السوفياتية : المدرسة من روضة الاطفال الى الاكاديمية ومراكز البحوث الهامة ، (فالفكرة) والحزم فى تطبيقها على اسس تربوية علمية منبثقة من طبيعة الفكرة ، والنزعة العلمية فى معرفة الاخطاء وتلافيها ، كل ذلك اعطى للنهضة الاشتراكية مفهومها الفعال .. تلك النهضة التي شيدها ابناء « المدرسة » ففي المدرسة يتقرر مصير الامة ويصنع مستقبلها ، فاما الى الصدارة او القبر .

والاستعمار يعلم حق العلم قيمة المدرسة فى حياة الامم الحضارية ، وخطرها على وجوده واستمراره ، ولذلك فانه جعل « المدرسة » ميدان صراع خطير فى البلاد المتخلفة ..

وليضمن الاستعمار نجاح مشروعه فى الميدان الثقافي يعمل على :

1) عرقلة المدارس الوطنية ومحاربتها .

2) تأسيس مدارسه فى البلاد المتخلفة

3) جلب الطلاب الى بلاده وتطويقهم بجو خاص التاثير فيهم وطبعهم بطابع يخدم اغراضه

4) التدخل فى برامج المدارس الرسمية والتاثير فيهـــا .

5) دس (طابوره) الثقافي المخرب فى تلك المدارس، وتزويدهم بتعليمات صارمة لايجاد (وعـي) خـــاص واتجاه مدروس فى اوساط التلاميـذ .

ويجد من الجمعيـات الدينية مساعدة فعالة ، وسخاء كبيرا فى الرجال والبرامج والاحفاد ..

وقد كان محمد عبده يشاهد ذلك الصـــراع الثقافي فى لبنان وسوريا ومصر ، فادرك خطر تلـك المدارس بعد ما راى نتائجها الخطيرة ، ومفعولها فى تمزيق الشعب العربي وتقويض الخلافـة الاسلاميـة وقد وجد الاستعمار (حالة تفسخ) فى النفسيــة العربية ، واستعدادا لتقبل تعاليمه « بما غشيهم من ظلمات الجهل باصول دينهم وقد تبع الضعف فســاد فى الاخلاق وانتكاس فى الطبائع ، وانحطاط فى الانفس .. فهذا الضعف الديني قد نهج لشياطيـن الاجانب سبل الدخول الى قلـوب كثيـر مـن المسلميـن ، واستمالة اهوائهم الى الاخذ بدسائسهم والاصغـاء الى وساوسهم فخلفوا عقول عدد غير قليل » انه كان يتنبه للاخطار الناجمة عن انتشار تلـك المدارس فى الشرق حيث انشئت لعرقلة كـل تحـرر فكـري . وتحطيم كل محاولة للتخلص من الامراض الاجتماعية التي تعيث بجسم الامة الاسلامية ، وتشيع التعفـن الخلقي فى افرادهـا مما يسهل على الاستعمار التقاط الخونة والمساعدين ، واستخدامهم فى تحقيق اغراضه وتنفيذ اهدافه ، واستمرار سيطرته وكيانه ، ولقـد تكفلت تلك المدارس وبرامجها باخراج فـوج مـــن الشباب يؤمنـون بالغـرب ايمانا اهـوج واعمـى ، ويبغضون تراث اجدادهم ، ومبادىء دينهم بغضـا اشد حدة من بغض اسيادهم ، وحقدا ناقما يتضاءل امام حقد الاجانب (1) . لان الاستعمار الكافر تناولهم ونفوسهم ما تزال غضة طرية لينة ، فرباهم تربيـــة تمشي واغراضه ، تبعدهم عن دينهم بما يسمعـون عنه من مساوىء صباح مساء « فلا تنقضي سنـــو تعليمهم الا وقد خويت قلوبهم مـن كـل ما هـــو اسلامي واصبحوا كفارا تحت حجاب اسم الاسلام » (تاريخ الامام ج2 ص 507) .

ويرى محمد عبده ان اكبر ثغـرة يدلف منهـا المستعمرون هي عقول التلاميذ حيث يبثون فى روعهم ان المسلمين اقل من الغربيين وان سبب ذلك هـــو دينهم ، فيندفع الشباب الى التقليـد الاعمى بدافـع شعورهم بالنقص امام الغرب ، ويصيـر اولئـــك المقلدون طلائع الجيوش الاستعماريـة ، وارب‍ـــاب الغارات فهم يمهدون لها السبيل ويقتحمون لهــا الابواب وهم الذين يقومون بدور تثبيت اقدامهــم فى بلاد الاسلام . وهذه النظـرة البعيدة لمحمد عبـده قد تحققت اليوم باجلى مظهر اذ نشاهد (دعاة وقـادة وادباء وفلاسفة) تتلخص دعوتهم فى ابعاد المسلمين عن سر وجودهم وحضارتهم : عن الاسلام ، وترويج افكار استعماريـة وصهيونية والحادية باسم العلم والفكر فى البلاد الاسلامية واوساطها الثقافية .

وهكذا يكون الاستعمار قد استطاع ان يزيف المشاعر ، ويضلل الفكر ، ومن ثم يخلق زعزعـة فى العقائد ، وتفككا فى الوجدان ، وتناحرا فى الاهـداف ، واختلافا فى المبادىء ، وتعفنا فى الضمائر ، واذا فقدت بين افراد الامة وعناصر طليعتها الروابط الوجدانية، والوحدة العقائدية انهار المجتمع واصبح يتألف من شظايا ، وافراد لا صلة تربطهم ، ولا ديـن يجمعهم ، ولا آمال تنتظمهم ، ولا اهداف مشتركة تستحثهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهـم قـوم لا يفقهون) .

وبجانب تلك المدارس توجد « هيئـة ثقافيـة خاصة » مهمتها التقاط طلاب تتوفر فيهم شـروط خاصة لالحاقهم بجامعات الغرب ، وانتقاء العناصـر « الصالحة » من بين اولئك الذين يردون على عواصم الاستعمار للدراسة ، وهناك يحاطون باجواء مختلفة بحيث تلائم كل فرد ، ومن خلال تلك الاجواء تطعـم

---

1) صرح محمد ديب للعلم 23 يونيه 1961 بقوله : اننا ثمرة النظام الاستعماري ونحن ندرك ذلك ، وانني لاقول غير آسف باننا سننتهي بانتهاء هذا النظام ، وان كان القصاص الجزائري نحا بادبه بما يتفق وثورة بـلاده .

اخلاق « الطالب » وافكاره ونفسيته بتعاليم مجهزة تجهيزا علميا حتى اذا اتم دراسته اسبغوا عليه القابا فخمة وامدوه بلافتات علمية ورجع الى بلاده بافكار « اصلاحية » جذرية تقتضي القضاء على خرافة الدين الاسلامي وعلى اسباب الانحطاط ، كما يلقنها له كهنته . وهكذا يخرج من كنانته المتعفنة سهام الاحقاد المصنوعة في الغرب ليسددها نحو دينه ولغته ،وبذلك يساهم بحظ كبير في انتحار امته والقضاء على الاسباب الحقيقية لنهضتها في حين يضيف لتراث امراضنا الاجتماعية انواعا جديدة من الامراض ركبت تركيبا خاصا ، وطعمت بها افكار اصحاب اللافتات العلمية (وامروا) امرا شعوريا او لا شعوريا ببث تلك الميكروبات في الاوساط الجامعية والثقافية .

ومحمد عبده يعرف ما يقول ، فلا يلقي الكلام على عواهنه وانما يستمده من واقع شاهده : وتعزيزا لفكرة محمد عبده نسوق بعض اقوال المبشرين :

يقول المبشر تكلي : يجب ان نشجع انشاء المدارس وان نشجع على الاخص التعليم الغربي ، ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية ، ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس امرا صعبا جدا (1) .

ويقول استاذ اساتذة كثير من العرب والمسلمين لويس ماسينيون : ان الطلاب الشرقيين الذين ياتون الى فرنسا يجب ان يلونوا بالمدنية المسيحية (2) . ولويس ماسينيون له اكبرالاثر في افساد عقول كثير من شبابنا في العالم الاسلامي كما ان له فضلا عظيما في تخطيط البرامج الاستعمارية في البلاد الاسلامية لانه مستشار لوزارة المستعمرات الفرنسية .

ومن مؤامرات الاستعمار في هذا الميدان ــ ميدان الثقافة والعلم ــ على العالم الاسلامي محاولة الخفض من المستوى العلمي للشهادات العليا ، فنراه يتساهل تساهلا فاضحا في منح الالقاب العلمية ، بل انه ليضع شهادات خاصة لا تعطى الا لمن ينتمي للامم المتخلفة الضعيفة ، وان تلك الشهادات وان كانت تتشابه في الاسم ــ فقط ــ مع الشهادات التي يحصل عليها اصحاب البلاد من المستعمرين وابنائهم ، فشتان بين القيمة العلمية لها ولهذه .. وقد لام صديق لي احدالمشرفين على (منح) هذهالشهادات بسهولة مزرية فاعتذر قائلا : ان حاملها لا يزاحم ابناء بلادنا .. وعواصم (طبع هذه الشهادات) معروفة لدى الجميع ، ولقد تفطنت الجمهورية العربية المتحدة والعراق ــ حسب ما قيل لي ــ لهذه الدسائس ، وقد اتخذت ج.ع.م. اجراءات تستهدف منها مراقبة هذا النوع من السوق السوداء ، وصيانة مستواها العلمي والثقافي ، وكنت قد قرات في مجلة الاداب فضيحة بعض حاملي هذه الشهادات الاجنبية ، وسوف نعود لموضوع هذه القضة عندما تتم لنا المواد اللازمة لتحذير البلاد من شرور اخطارها .

اما التأثير في البرامج الرسمية فيتوصل الاستعمار اليه عن طريق (تلامذته) المخلصين المنبثين في مختلف الوزارات والمصالح وبالاخصوزارة التربية ، وعن طريق اتفاقيات ثقافية ، وقد تتاح الفرصة لابنائه البررة للاشراف على وضع البرامج والسهر على تنفيذها ، ومراقبة سير ونشاط الاساتذة وتوجيه التلاميذ الى حيث يراد لهم .

وباسم الفنية يستطيعون ان يحققوا انتصارات حاسمة على النوايا الطيبة ، والاتجاهات الوطنية ، بما يصنعون من وسائل العرقلة ، وعوامل التثبيط ، وقتل للنمو الفكري والتطور العلمي ، وبذلك يفرضون على التاريخ القهقرى ، ويضيعون على الامة كثيرا من الفرص والطاقات ، والمواهب ، والاموال ، والاوقات ، ويجبرونها على ان تظل في مؤخرة الركب الانساني مولية وجهها شطر الهاوية . ويركبون في جهاز سيرها نحو اهدافها المثلى (عامل تنقيص القوة) ليجذبها دائما الى الوراء ، وعامل (تحويل الاتجاه) ليحيد بها عن الطريق المستقيم ، وهكذا تسلب (حركة) الامة فعاليتها وتصبح مشلولة .. وبذلك تصبح المدارس الرسمية متناسقة الاهداف مع المدارس الاجنبية متجاوبة معها في افساد الجيل ، متفقة مع **(ضابط النغم الخبيث)** الذي يعزف مقطوعاته اليومية في مرح المؤامرات .

1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص 88 ــ 89
2) نفس المرجع

ويستفرب محمد عبده من اولئك الذين يبعثون بفلذات اكبادهم الى تلك المدارس زاعمين انهم يرغبون فى العلم « وكل هذه المكاتب دينية انشئت لغرضين : تحويل العقائد الى المسيحية ، وامالة المشارب الى الدولة المنسوبة اليها ، فكان من آثار ذلك ان المتعلمين فيها اما ان يخرجوا مسيحيين فى الاعتقاد مسلمين بالاسم او دهريين لا عقيدة لهم ، ولو دعيت الى توضيح ما فى تلك المدارس من الطرق لافساد قلوب المسلمين لاوضحتها كما هي عندهم » .

فالتعليم فى المدارس الاجنبية خاضع لاهداف استعمارية تبشيرية محض ، ولا يقصد به ترقية الامة ومساعدتها ، وانما يتخذ وسيلة لغايات محددة : وفى ذلك يقول هنري جب : ان التعليم فى مدارس الارساليات المسيحية انما هو واسطة الى غاية (1) فقط، والغاية هي محاولة التنصير وان لم يمكن فزعزعة العقائد الاسلامية ثم تكوين قيادة فكرية تؤمن بمذاهب الاستعمار ، وتزكي اعماله الاجرامية وتساعده على تنفيذ خططه ومؤامراته كما راينا فى ماساة فلسطين وفى تقسيم البلاد العربية ، فمبدأ تلك المدارس كما جاء فى منشور للجامعة الاميركية فى مادته الرابعة هو : وان كل طالب يدخل الى مؤسستنا يجب ان يعرف مسبقا ماذا يطلب منه ، وقد اولت تلك المدارس عناية كبرى للفتيات المسلمات ويقول جب : ان مدرسة البنات فى بيروت هي بؤبؤ عيني ، لقد شعرت دائما ان مستقبل سورية انما هو بتعليم بناتها ونسائها .

وهكذا يتبين لنا ان اصلاح التربية والتعليم فى نظر محمد عبده يجب ان يوضع على اسس بعيدة عن التأثيرات الاجنبية كما يجب القضاء على كل مؤامرة ثقافية على البلاد الاسلامية ، لان الاستعمار الثقافي اشد واقوى مفعولا من الاستعمار العسكري ، ولذلك راينا الجمهورية العربية المتحدة تؤمم تلك المدارس وقد كانت تبلغ المدارس الفرنسية فى مصر فقط حوالي ستمائة مدرسة ، واننا لننتظر من باقي الحكومات العربية ان تحذو حذوها وان تحمي الشعب وعقائده من سرطان المدارس الاجنبية التي استفحل امرها فى بعض البلاد العربية واصبحت تكون خطرا داهما .. وان مساعدة تلك المدارس او السكوت عنها يعتبران خرقا صريحا للميثاق الذي ابرم بين الشعوب الاسلامية وحكامها ذلك الميثاق الذي هو فى صميمه : المحافظة على عقائد الشعب المسلم ، وعلى تقاليده الصالحة ، واتجاهاته الاسلامية العربية ، وتأمينها من خطر الصليبيين الذين يضمرون العداء الخبيث للمسلمين ولدين المسلمين ورسولهم ..

---

1) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص 86 ـ 87

ومن اهم المراجع التي يجب على المثقف ان يطالعها فى هذا الباب :

1) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للدكتور : فروخ ـ خالدي
2) الغارة على العالم الاسلامي ـ تعريب : محب الدين الخطيب ـ اليافي .
3) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ـ دكتور محمد البهي
4) الصراع الفكري فى البلاد المستعمرة : مالك بن نبي
5) وجهة العالم الاسلامي : مالك بن نبي .



أمُ الشّهداء
مهداة إلى الأم العربية

للأستاذ
ابراهيم محمد الجمل

رحم الله اسماء بنت ابي بكر ، وسقى الغيث قبرها ، وطيب الله ضريحها ، فلقد قصر الزمان ان ياتي بمثلها ، وعيت الايام ان تلد نظيرها ، فليس لها ند ولا شبيه فى البأس وتحدي الردى والخطوب .

حفظت الايام سيرتها العطرة ، وشهدالليل والنهارما قدمت فى سبيل الحق ودعوته ، رائدها الشجاعة والقوة والحماس ، فتناقلت الاجيال تضحياتها الغالية ، لتكون نبراسا مضيئا ، وسنى لامعا ، يهدي الام العربية الى خلق جيل قوي الارادة ، يضحي فى سبيل دينه وبلاده بكل ما اوتي من غال ، فالام هي التي تخلق الرجال ، والى الام ينتسب الابطال . كانت اسماء اول امراة كلفت بمهمة سرية فى الاسلام ، فلعبت دورا خالدا ، يذكر التاريخ موقفها العظيم بالاجلال والاكبار ، وقد بلغت محنة الاضطهاد اقصاها ، وتسلل المسلمون تباعا من مكة ، وضيق الكفار على الرسول الخناق فى ليلة حرجة ، كان الموت فيها قاب قوسين او ادنى ، وفى كل لحظة ينظر القوم فيطمئنون لوجود محمد مكانه ، ويحسون ان ساعة الخلاص قد قربت ، وقد اجتمعوا لها من كل قبيلة ، ولكن شاهت الوجوه ، وعميت الابصار ، وخرج الرسول من بينهم ، ونام الذين اتعبهم السهر وسفك الدماء .

شغلت بتدبير الطعام للفارين بدينهما ، فكان اذا جن الليل ، انطلقت به وقريش منتشرة فى كل مكان تبحث عن محمد، فادت مهمتها فى خفاء وحرص منقطع النظير ، ثم حملت السفرة كعادتها ، وهناك امام الغار والصاحبان يستعدان للرحيل ، اسرعت لتعلق السفرة ولكنها لم تجد لها عصاما ، فشقت نطاقها وجعلت احدهما للطعام ، ووكأت بالثاني سقاء الماء ، واكبر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ صنيعها قائلا:

(سوف يعوضك الله من نطاقك هذا نطاقين فى الجنة) فلقبت بعدها بذات النطاقين ، ونالت اول وسام فى الاسلام .

طرق بابها ابو جهل ـ وكان فاحشا خبيثا ـ فسألها عن ابيها، والح فى السؤال فما تحولت اسماء ، وما استطاع ان يعرف منها شيئا ، ولما اعيته الحيل ، لطمها لطمة طيرت القرط واسالت الدم ، فكتمت اسماء غيظها ، واعتصمت بايمانها .

كانت عقيدتها اغلى ما فى الوجود ، ومن كل من فى الوجود ، ومن امها التي كانت سببا فى وجودها ، جاءت بهدية تطلب ودها ، وكانت على دين قريش ، فابتعدت عنها اسماء ، والحت الام ، فلم تلتفت اليها ، وتوجهت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة :

يا رسول الله : ان امي قدمت الي وهي راغبة، افاصلها ؟ فنزل قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » فقال لها : نعم . صلى امك . ولما وصل ركب الرسول المدينة ، وطلب الصديق ، رضي الله عنه ، من عبد الله بن اريط دليلهما فى الهجرة ان يخرج ابنه عبد الله بمكانه ، فاسرع عبد الله وعائشة رضي الله عنهم ، وفى المدينة تلاقت اسماء مع زوجها الزبير بن العوام الذي وصل من الحبشة ، وهناك جدد التعاون والكفاح الذي انقطع بترك الزبير لها ولمكة متجها الى افريقية فارا بدينه .

استقر بالمدينة ، وكان ابن العوام معدما ، ما له شيء غير جمله الذي يستقي عليه ، وغير فرسه ؛ فكانت اسماء تقوم بعلف الفرس فاذا فرغت منه ، خرجت لتملأ الماء ، ثم تعود لتصلح من امر بيتها ،

فاذا انتهت من عمل البيت انطلقت الى ارض الزبير التي اقطعها اياه رسول الله (ص) — وهي على ثلثي فرسخ من الدار — لتعمل بها ، حتى اذا غابت الشمس عادت الى الدار .

روي انها حملت النوى من ارض زوجها يوما ، وانطلقت الى الدار ، وفي الطريق قابلت رسول الله ، ومعه نفر من الانصار ، ورأى النبي حملها فشاء ان يحملها على راحلته خلفه ، فهتف باسماء ، ثم قال لبعيره : « اخ .. اخ » لينيخ بعيره . ولكن اسماء لم تتقدم ، فلقد تذكرت شدة غيرة الزبير ، فعرف رسول الله انها استحيت ان تسير مع الرجال .

مضت اسماء رضي الله عنها حتى بلغت الدار ، ولما اقبل الزبير ، قالت له : « لقيني رسول الله وعلى راسي النوى ، ومعه نفر من اصحابه ، فاناخ لاركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك » ، فاطرق الزبير ثم قال : « والله لحملك النوى كان اشد علي من ركوبك معه » .

وصل الى مسامع ابي بكر ما تكابده ابنته من المتاعب والمشاق ، وما تقدم من اعمال فارسل اليها خادمة تقوم بعملها ففرحت بذلك فرحا شديدا .

اشتركت اسماء رضي الله عنها في الجهاد ، وذهبت مع زوجها الى ميدان القتال ، وشاهدت اليرموك ، ووقفت مع النساء وبيدها سيف مشهور ، تنفذ امر القائد خالد بن الوليد الذي امر النساء بقتل كل مسلم يولي من المعركة ، فلما دارت رحى الحرب وحمي الوطيس ، واشتد الدفاع ، واخذ النساء يضربن من انهزم من المسلمين بالحجارة والخشب كانت بنت ابي بكر تصيح في الرجال وتحمسهم للقتال ، فعادوا الى المعركة وقد عزموا على النصر ، فانتصروا وانهزم الاعداء .

ضرب بها المثل في الشجاعة النادرة ، فكانت تعد لكل امر عدته ، ففي ايام الفتن كانت تضع خنجرا تحت وسادتها ، وخاصة في الفتنة زمن سعيد بن العاص ، وتجيب من يسالها عن ذلك قائلة : اذا دخل اللص بعجت بطنه .

اما امر ابنة الصديق رضي الله عنهما مع ابنها عبد الله فهو نادر في التاريخ ، بل لم يحدث لام ان تصرفت بمثل ما تصرفت به اسماء تجاه ابنها وفلذة كبدها حتى صار ذلك منتهى التضحية والثبات على الحق والوفاء للدين القويم : لقد حملت به في احرج ساعات المسلمين ، وقامت باعجب ادوارها وهي مثقلة به ثم هاجرت وهو بين احشائها ، وفي يثرب راحت تترقب مولده يوما بعد يوم ، ومضت مدة ولم يولد للمسلمين ، فشغلوا بذلك ، يقول ابن الاثير : « ظن المسلمون ان اليهود قد سحروا لهم حتى لا ينجبوا ، واصبح هذا الزعم حقيقة » . اهمهم هذا الامر ، وبينما النبي واصحابه جلوس ، اقبل البشير من قباء الى يثرب يحمل البشرى للمسلمين ، فلما دنا من الرسول هتف قائلا : « رزق الله الزبير بن العوام واسماء بنت ابي بكر مولودا » فما ان سرى النبأ حتى انطلقت الحناجر بالتكبير ، وامتلأت المدينة بالفرح والسرور .

اقبلت اسماء تحمل مولودها الاول مستبشرة ، حتى اذا دنت من رسول الله وضعته في حجره ، فبش النبي له ، ودعا له بالبركة ، وسماه « عبد الله » ثم احتضنته وانطلقت به ، وهي ترجو له خيرا كثيرا .

لم تأل جهدا في تربيته ، راجية ان يكون كجده وابيه واخواله ، فشب عبد الله كما ارادت ، تقيا ورعا شجاعا غيورا على الحق .

تعلم النضال والقتال ، وتمرن على الصبر في الجهاد ، فقد روى ان اباه كان يحمله خلفه في صباه ، ويهجم به ليبصره باساليب الكر والفر ، ولم يتركه الا رجلا قويا جلدا . ودعا دعي الجهاد ، فقد رأى ما آل اليه الاسلام ، وقد مزقته الاهواء ، وفرقته الخلافات ، واستبدت به الشهوات ، فدعا الناس الى الطريق القويم ، فخضع له جل البلاد ، ودانت له بالخلافة ، واصبح يلقب امير المومنين .

قرت به عين الام الشجاعة ، وفرحت والمسلمون يلتفون حوله ، وانصرفت للتعليم والعبادة ، وقد تعلمت من ابيها علم الانساب ، وتعبير الرؤيا ، وروت عن رسول الله (ص) الحديث وروى عنها ناس كثيرون .

ولكن الحجاج بن يوسف الثقفي قائد عبد الملك ابن مروان لم يمهلها لتتمتع برؤية ابنها وقد لبس حلة الخلافة فراح يؤلب عليه الامصار ، وحاصره في حاضرة ملكه ، وضيق عليه الخناق ، فاهم عبد الله وآلمه ان ترى امه نهايته .

تقدمت بها السنون ، وقاربت المائة ، وكف بصرها ، ولم يسقط لها سن ، ونضج عقلها ، وقويت ذاكرتها ، وحسن كلامها ، فأحب الناس حديثها . .

دخل عليها عبد الله وكانت وجعة ، فقال لها : كيف حالك يا اماه ؟ قالت : وجعة والله يا عبد الله ، قال : ان في الموت لعافية . قالت : لعلك تشتهي موتي ، لا تفعل وضحكت قائلة : والله ما اشتهي ان اموت حتى تاتي على احد طرفيك ، اما تقتل فاحتسبك ، واما ان تظهر فتقر عيني . . اياك ان تعرض على خطة فلاتوافق فتقبلها كراهية الموت .

تنهد عبد الله ثم قال : ان الناس قد انفضوا من حولي ، والقوم يمنونني ان استسلمت ، فاعتدلت في جلستها ، ووجهت وجهها ناحيته ، وصرخت قائلة : يا عبد الله ، يا بني ، ان كنت على حق فدافع عنه حتى الموت ، وان كنت على باطل هلكت واهلكت من معك .

قال : ولكني اخاف ان مت ان يمثلوا بي ، فقالت كلمتها الخالدة : « الشاة لايضيرها السلخ بعد الذبح »

❊ ❊ ❊

كان عبد الله يحس نهايته ، فلقد صبر على حصار الحجاج اكثر من سبعة شهور في غير حصن ولا منعة ، ومن غير طعام ولا شراب الا بئر زمزم ، ومل الناس الحرب فجنحوا للسلم ، وسئموا منظر القتلى والجرحى ، وفي كل لحظة ينتظرون امر الله وقضاءه في المتنازعين ، ولكن ذلك لم يمنع عبد الله من الاستماتة في القتال ، فلقد اعد آخر خطة في جعبته ، وصلى الفجر واستأذن البقية الباقية من اصحابه ، ان يودع امه اسماء بنت ابي بكر ، دخل عليها ، وقبل يدها : ومرت فترة رهيبة ، توالت في اثنائها ذكريات الماضي مرت سريعة متلاحقة ، لم يقطعها الا ذلك الصوت الحازم ينادي الخليفة ليقول له : « يا عبد الله ، يا بني ، انا امك التي حملتك واني احتسبتك فلا تهن ولا تجزع ، يابني ، ابذل مهجة نفسك ، ولا تبتعد الا من النار ، يا عبد الله لاتبتعد الا من النار ، استودعك الله » .

عاد عبد الله الى مركز قيادته ، وهو اكثر حماسة وشجاعة ، فوقف يحث اصحابه على الاستماتة في القتال قائلا : « ايها الناس عجلوا الدفاع ، ولا يرعكم وقع السيوف ، صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم ، فلينظر رجل كيف يضرب ، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروها ، فان الرجل اذا ذهب سلاحه ، كان اعزل أعضب ، يؤخذ كما تؤخذ المراة ، ليشغل كل امرىء قرنه ، ولا يلهينكم السؤال عني ، فاني في الرعيل الاول » .

❊ ❊ ❊

هجم عبد الله وجنوده على الحجاج ، ولكن القدر لم يمهل القائد كي يتم خطته ، فقد اصيب بضربة حجر من يد احد اعدائه فاصاب وجهه ، فسال الدم على لحيته ، ولم يقو على حمل السلاح ، وحدث هرج ومرج في قومه ، وشدد الحجاج الهجوم ولم يمض وقت طويل حتى انتهى كل شيء ، ولم يبق لجنود عبد الله اثر .

❊ ❊ ❊

وصل الخبر الى مسامع ام الشهداء ، فاخرست المصيبة لسانها ، وجف ريقها ، ولم تجد ما تتكلم به ، وماذا تقول وهذا ما كانت تنتظره بين عشية وضحاها ، فلقد حقق رغبتها فمات على الحق ، ودافع عنه ، حتى آخر نفس من حياته وسيلقي ربه فرحا مستبشرا .

اخذ تالكفن ، وشق الناس لها الطريق حتى وصلت الى الخشبة التي صلب عليها ابنها ، ورفعت وجهها اليه وكانها تراه ، ثم تقول مثنية عليه : « يا بني طبت حيا وميتا ، لا والله ما اجزع لفراقك يا عبد الله ، فمن يك قتل على باطل ، فلقد قتلت على حق ، والله لاثنين عليك بعلمي ، لقد قتلوك مسلما محرما ظمآن الهواجر ، مصليا في ليلك ونهارك » ثم توجه وجهها الى السماء وتمد يدها وتقول : « اللهم اني سلمته لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت له ، فاثبني في عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين ، اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب ، وبره بابيه وبي » .

وجم الناس ، واقشعرت ابدانهم من هول المصيبة ، واحاطوا بالام الحزينة يحاولون ان يتكلموا فتتكسر الكلمات على شفاههم ، فيغمغمون بكلمات غير مفهومة ، كي يخففوا عنها الالم ، ولكنهم ينسون انفسهم ، فيبكون ، ويجهشون بالبكاء ، وليس في استطاعتهم ان يفعلوا شيئا ، لقد خرج الامر من ايديهم ، واصبح الحجاج سيده ، واكل الحقد قلبه ، فشفى

غليله ، وانتصر لدنياه ، وثبت الملك لبني امية ، وارسل الى عبد الملك براس عبد الله ، ليقدم فروض الـولاء والطاعة لاسياده .

وتطوف الام بين الناس ساكتة صابـرة ثم تـردد : « يا بني ، اما آن لهذا الراكب ان ينـزل . يا بنـي ليستاذن احدكم حجاجكم هذا ان يدفع الي هـذه العظام ، ادوا عني ، رحم الله من ادى عني » .

❋ ❋ ❋

ارسل الحجاج الى بنت ابي بكر الصديـق فابت ان تاتيه ، فاعاد الرسول ، ولكنها قابلتـه ساخـرة مستهزئة ، فما كان من الحجـاج الا ان سحب نعليـه وانطلق حتى دخل عليها ، ثم قال : يا اماه ، هل لـك من حاجة ، قالت : لست لك بأم ، انا ام المصلوب على الثنية ، وما لي من حاجة ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير .. امـا المبير فلا اراك الا ايـاه » .

تشجع الحجاج ثم خاطب ام عبـد الله قائـلا : كيف رايتنـي صنعت بعبد اللـه ؟ قالت : رايتـك افسدت عليه دنياه ، وافسـد عليك آخرتك ، ولم يجد الحجاج مجالا للكلام ، فسحب نفسه راجعـا ، امـا اسماء فأغلقت عليها بابها .

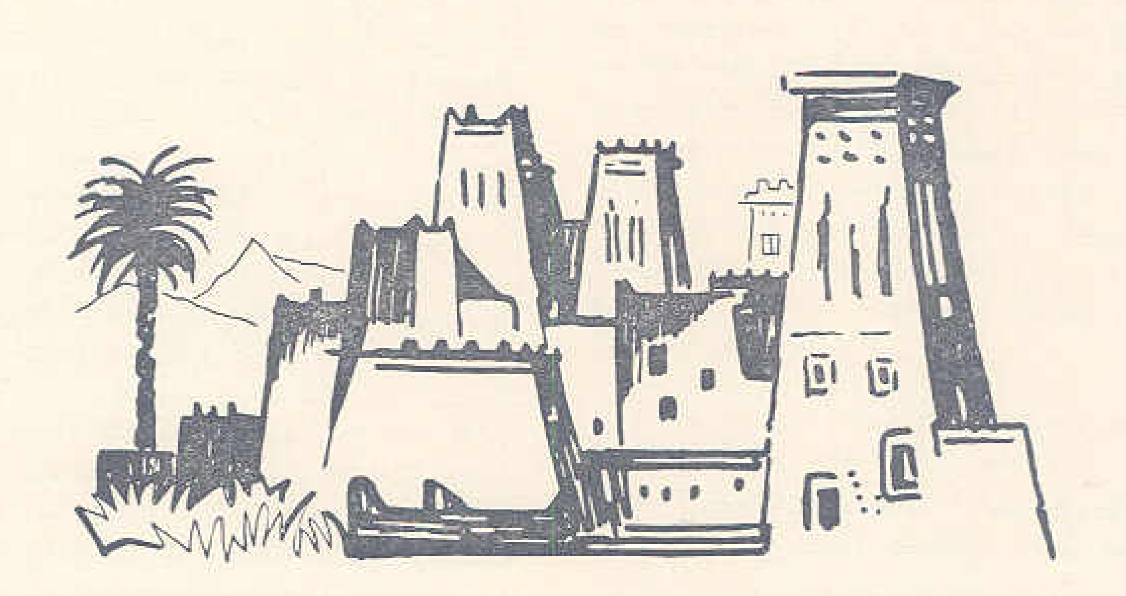
❋ ❋ ❋

فكر جماعة من اقاربهـا في تعزيتها ومواساتها ، طرقوا عليها الباب ، فأذنت لهم بالدخول ، ولم تترك مجالا لكلام احـد ، وراحت تتحـدث عن سيرتهـا وتاريخها وانهت كلامها قائلة :

« يا بني اني آخر المهاجرين والمهاجرات ، لـم يبق على ظهرها بعد عبد الله منهم غيري فلا والله ما حسن ان يجزع من هاجر — وان شأن الهجرة لشديد — وما حسـن ان يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله (ص) كيف وقد اربيت على المائة ، يا بني جزاكم الله عني وعن اخيكم خيـرا ، قوموا لشانكم وذرونـي وشانـي يرحمكم الله » .

❋ ❋ ❋

لم تمض خمس ليال على استشهاد عبد الله ، حتى قابلت ربها في اثنين وعشرين جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين فلحقت بابنهـا (ام حنت تكتم حنينها ، ولكانه عجل بها موته فقطع نياطها ، وصدع فؤادها ، وفلق كبدها عليه ، حنينها اليه »



الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 6 -

مع الشعراء الجماليين :

هنالك طائفة من الشعراء ينظرون الى الاشياء نظرة فنية بحت ، فيجعلون غايتهم المثلى هي الارتفاع نحو الجمال بجميع اشكاله وصوره ، سواء عن طريق الواقع او الخيال ، فالشعر كما يفهمونه ما هو الا طريقة للبحث عن الجمال ، ولذلك فهم ، حينما ينظمون الشعر ، لا يبقون فى مستوى العالم العادي المبتذل ، وانما ينتقلون رويدا رويدا فى اناة ورفق نحو عالم مسحور ، تشع فيه اضواء غريبة ، وتبرز فيه الاشياء فى صورة مثالية .

هكذا يبدو لنا الشاعر علي محمود طه المهندس فيما نظمه عن الربيع والطبيعة فهو يتقدم لنا كالفنان الهادىء الوادع الذي يرى الحياة تمر امامه بجميع مشاهدها ، فلا يفوته منها صغيرة ولا كبيرة ، ولكنه ، مع ذلك ، لا يستطيع ان يراها الا من وراء حلم عميق يغير جوهرها وحقيقتها ، ويضفي عليها حلة شعرية تجتهد الكلمات بما اوتيت من موسيقى وايحاء فى ابراز مفاتنها .

فهو ماخوذ من صورة المياه الدافقة ووسطها الزورق يجري منصوب الشراع ، كما يظهر ذلك فى قصيدته « الجندول » المشهورة ، وفى قصيدة « ليالي كليوبترة » وغيرهما ، فمن صور الجمال عنده الجمع بين هذين المتناقضين : سكون الماء وانطلاقه فى مساحات شاسعة وحركة الزورق الذي ينساب على سطحه بخفة ورشاقة .

كليوبترا / اي حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئان

وهفا كل فؤاد ، وشدا كل لسان :
هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان

بعثت فى زورق مستلهم من كل فن
مرح المجداف يختال بحوراء تغني

فالشاعر يقدم لنا هنا بفن ومهارة ليلة من ليالي كليوباترا ، فهو لا يصف لنا الليلة وصفا عاديا استقرائيا ، ينفثها فى حلم يطوف بالموج فتتراءى لنا وكانها بعثت الى الوجود من جديد وصار لها تاثير فى النفس كتاثير الاحداث الواقعية . ثم يصور لنا بعد هذا الزورق فى ابيات تمتلىء حياة وتنطوي على اشارات يسرح معها الفكر :

وتجلى الزورق الصاعد نشوان يميد
يتهاداه على الموج نواتي عبيد
المجاذيف بايديهم ، هتاف ، ونشيد
ومصلون لهم فى النهر محراب عتيد

سحرتهم روعة الليل فهم خلق جديد
كلهم رب يغني واله يستعيد

وياتي بعد هذا مقطع كله تصوير تمتزج فيه الالحان بالاضواء والليل بالنجوم والموج بالغيوم ، وكاننا امام رسام يتعمد المقابلة فى لوحته بين الالوان القاتمة والالوان الناصعة المشرقة :

أصدحي ايتها الارواح باللحن البديع
امرحي يا راقصات الضوء بالموج الخليع
زورقا بين ضفاف النيل فى ليل الربيع

رنحته موجة تلعب فى ضوء النجوم
وتنادي بشعاع راقص فوق الغيوم

فالشاعر في هذه القصيدة ، كما قلنا في الاول ، يبين عن روح فنان يتعشق الجمال ويجعله غايته لا يقصد شيئا غيره ، فهو لا تعترضه في حياته الباطنية مشكلة او ازمة من النوع الذي يقاسيه شعراء امثال الشابي ونازك الملائكة ، بل انه مشغول عن نفسه بالبحث عن صور الجمال ، سواء في الماضي او الحاضر، في الواقع او الخيال .

فقوة الشاعر هي في هذا التصوير الحي وفي تلك الالفاظ وذلك الاسلوب الذي « يشع الحلم الشاعري » على حد تعبير الدكتور شوقي ضيف (1) وخصوبة تصويره لا تتوقف على الموضوع الواسع الذي يفسح المجال للقول ، كما هو الشأن في قصيدة « ليالي كليوبترا » بل انها تتجلى ايضا في الموضوعات الصغيرة والضيقة .

فهو حين يحدثنا عن الزهرة وتفتحها لا يقف به الكلام ولا يقصر نفسه ، ولننظر اليه كيف يقدم هذا الحادث البسيط في قصيدته « ميلاد زهرة » :

يا شعراء اين البيان
اين اغاريد الهوى والحنان ؟

قد ولدت في روضكم زهرة
يا حسنها بين الزهور الحسان

حلم الفراشات ، وحب الندى
وخمرة النحل ، وسحر الاوان

قد بشر الارض بها مرسل
مجنح من نسمات الجنان

والنور سر في ضمير الدجى
والفجر طيف لم يبن للعيان

ابصرتها تهفو على غصنها
في وحشة الليل وصمت المكان

بيضاء ، او حمراء ، تزهى بها
عرائس النرجس ، والاقحوان

وشعراء الروض الذين يخاطبهم الشاعر هم الطيور التي ظلت نائمة في اعشاشها قبيل الفجر ، فلم تحضر لميلاد الزهرة ولم تحتفل بهذا الحادث كما يقتضي المقام ، ولذلك فهو يلوم هؤلاء الشعراء الكسالى :

تظل تصغي ، وتظل الربى
والعشب ، والجدول ، والشاطئان

وليس منكم حولها هاتف
تسكب موسيقاه سحر البيان

هل ملت الخمرة اقداحكم ؟
ام نضبت من خمرهن الدنان ؟

قوموا انظروا الظل على مهدها
يرقص فيه القمر الاضحيان

لو تقدر الانسام زفت لها
اربعة الفردوس في مهرجان

واسمعت من خفق انفاسها
صوت البشيرات ، وشدو القيان

يا شعراء الروض عم زهرة
ميلادها من حسنات الزمان

فالشاعر في هاته القصيدة ، ايضا ، ينبيء عن روح هائمة في الجمال ، منسجمة مع الجانب المشرق الضحوك في الحياة ، فهو يجهل التعقيدات النفسانية، ويجهل التأوهات الرومانطيقية ، ويسد الباب في وجه الهموم والاتراح ، ويدعو الى التفاؤل والفرح بايام الربيع ، فها هو في قطعة « اغنية الحب » يرفع عقيرته بهاته الدعوة :

يا رفاقي هذه الساعة من حلم الزمان
ان هذا زمن الحب ، فضجوا بالاغاني
ارفعوا الاقداح ملأى واشربوا نخب الحسان
فالربيع السمح يدعوكم الى اقرب حان

* * *

الربيع المرح الجذلان يختال فخورا
انه الحب الذي يملأ بالحب الصدورا
كيف لا نقطف منه الثمر الحلو النضيرا
انت ايتها الشمس املاي الافاق نورا

* * *

يا رفاقي ، قد دعانا زمن الحب فهيا
اطلع الروض جنى الكرمة والزهر النديا
اقطفوا الازهار منه واعصروا الكرم الجنيا
يا رفاقي قد دعانا زمن الحب فهيا

---

1) انظر كتاب : دراسات في الشعر العربي المعاصر ص 139 وما بعدها

يتضح من هذه النظرة العابرة على شعر المهندس ان الشاعر جدير بان يحتل مكانا خاصا في شعرنا المعاصر لانه ادخل اسلوبا جديدا في الشعر العربي ونطق بلهجة جديدة ، وقد غمط بعض النقاد حقه لانهم لم يفهموه ، وربما لم يكونوا مستعدين لفهمه ، فالتجديد ، وخاصة في الشعر ، يصعب تقبله لاول وهلة ودون ترويض .

فالدكتور شوقي ضيف مثلا ، لا يرى في قصائد المهندس الا « ضجيج الالفاظ الخلابة » ويقول في هذا الصدد : « ليس علي محمود طه صاحب نزعة فلسفية في شعره ، ولا هو صاحب نزعة نفسية ، انما هو صاحب الفاظ ينفخ فيها ، وكأنما ينفخ في ابواق ، فيحدث ضجيجا يشبه ضجيج الطبل في الافراح ، ضجيجا فيه طنين ورنين ، ولكن ليس فيه فكر ولا معنى ولا روح ، وانما فيه الالفاظ التي تضغط على الاعصاب بكثرتها واختلاطها واضطراب اصواتها وانغامها » .

والحقيقة ان الدكتور شوقي ضيف لم يقدر باتصاف ملكة التصوير والخيال التي يمتاز بها علي محمود طه ولم يفتح نفسه لتفهم شاعريته وادراك مقاصده ، وقد بالغ في نكران فضله .

ولست اريد هنا الدفاع عن الشاعر ولا يتسع المقام لذلك ، ولكن ، ارى من الواجب الاعتراف له بما اداه من خدمة صادقة في ميدان تجديد الشعر العربي ، ومجهوده يتجلى ، اولا ، في ناحية اللفظ والاسلوب ، فهو يتخير الفاظه ويحسن وضعها في اماكنها ، اما اسلوبه ، فهو يمتاز بتلك الموسيقى التي تنسجم مع المعاني وتتناسق مع الشعور .

كما يتجلى هذا المجهود في ناحية الافكار والمضمون ، فهو يختار موضوعاته بروية واجتهاد ، ولا ينظم في اي شيء كان ، فاذا تكلم لنا عن الطبيعة ، استطاع ان يستغني عن تلك الصور المبتذلة والتعابير الماكولة لينقلنا الى جوه الطريف ويثير في نفوسنا شعورا غريبا عنا ولكنا نرتاح اليه ونجد فيه متعة والتذاذا .

اجل ، قد يلاحظ على علي محمود طه انه كغيره من الشعراء الجماليين ، ينظر الى الاشياء من زاوية خاصة يضيق معها احيانا الافق الشعري والفلسفي ، وقد يؤخذ عليه ان مذهبه الجمالي جعله يظل مغلقا على بعض المواطف الانسانية التي لها وزنها في الادب والشعر ، فهو لا يعرف جانب الالم والشقاء والبؤس ، وشعره لا يدخل في عداد ادب الكفاح والالتزام الذي قامت دولته في هذه الايام ، ومع ذلك ، فان هذا لا يطعن في قيمة شعره ولا يعطينا الحق في ان نلومه على كونه لم يقل الشعر الا في المواضيع التي اختارها هو بنفسه .

وهناك شاعر جمالي آخر لمع اسمه في سماء الشرق هو عمر ابو ريشة ، وهو ايضا ذو مهارة في التصوير والرسم الا انه ظل متأثرا في اخيلته ومعانيه بشعرائنا التقليديين امثال ابي تمام وابن الرومي ، ولم يستطع ان يتحرر تماما من ثقافته الكلاسيكية مثل علي محمود طه ، فهو حين يصف لنا قدوم المساء ينحصر مجهوده الفني في السلسلة المتماسكة من التشبيهات والاستعارات ، اي انه لا يخرج عن نطاق الوسائل البيانيةالتيورثناها عن القدامى ولذلك فنحن لا نحس لدى قراءته بان عنصرا جديدا دخل على الشعر العربي :

ماتم الشمس ضج في كبد الافـ
ـق واهوى بطعنة نجلاء

عصبت ارؤس الروابي الحزانى
بعصاب من جامدات الدماء

فاطلقت من خدرها غادة الليـ
ـل وتاهت في ميسة الخيلاء

واكبت تحل ذاك العصاب الارجـ
ـواني باليد السمراء

وذؤابات شعرها تترامى
في فسيح الآفاق والاجواء

وعيون السماء ترنو اليها
من شقوق الملاءة السوداء

فاذا الكون من جلال
فجرتها انامل الظلماء

يرسف الطرف في مداها ويطفو
ثم يرتد فاقد الارتواء

فتظـل الاشـباح مـن كـوة الوهـ
ـم وتعـوي مجنونـة في العـراء

وتموج الاصـداء مـن زفـرة الار
ض بـأذن المهـابـة الصـمـاء

صـور افـرغت علـى اذن الشـا
عـر نجـوى علـويـة الايـحـاء

وما اخال القارىء الا يتساءل معنا امـام هـذه القصيدة هل هو يقرا شعرا لابن حمديس الصقلي او لشاعر معاصـر .

وقد تحدث ابو ريشة كذلك على الزهرة ، ولكن، شتان بين حديثه وحديث علي محمود طه في « ميـلاد زهـرة » فهو في قطعته « زنبقة » ان كان ينبيء عن احساس مرهف وقدرة على الوصف والتصوير ، فانه لا يتوفر على سعة الخيال وطول النفس اللذيـن نجدهما عند الشاعر المصري :

الفيتهـا مخضلـة في روضـهـا
والفجـر بيـن ذيولـه يطـويهـا

حتى اذا انتفضت عليـه ، تجمعت
انفـاسـه ، وتجمـدت في فيهـا

وتمايلت تيهـا ، بعـرس فتونهـا
زهت وعرس فتونهـا يبكيهـا

والطيب مسفـوح علـى جنباتهـا
يهمي علـى روحي بمـا يشجيهـا

فلويت في شبـه الذهـول انامـلي
وقطفتها .. لهفـي لمـن اهديهـا

* * *

الشعـر المعاصر بين التقليـد والابتكـار :

هؤلاء الشـعراء المجاليون نستطيع ان نسميهم ايضا شعراء الذوق ، فهم حينما يطلعوننا على افانين جديدة من الشعور والخيال ، وحينما يقدمون لنـا صورهم المختلفة الاشكال والالوان ، انمـا يعملـون ، عن قصد ، على تطوير ذوقنـا وترقيتـه .

والمجتمعات والامم قد تكون بارعة في العلـوم والصناعات ، وقد تكون لديها انظمة ومؤسسـات محكمة، وقد تكون غنية بثروتها الاقتصادية وتجارتها، ولكن ،اذا اعوزها الذوق ، فان حضارتها تصبح ناقصة من عنصر اساسي ، لان الذوق الصق بكيانها وذاتيتها ولانه عنوان على الشخصية وما تنطوي عليه .

ولذلك ، فان الطائفة من الشعراء التي راينـا ، وان عاب عليها بعض النقاد كونها تدين بمذهب الفن للفن وتفضل الانزواء في الابراج العاجية على مخالطة الجمهور ، لها كذلك دورها في المجتمع وان كان دورا لا يظهر اثره الا بعد حين ، هذا الدور يتجلى ، كمـا راينا، في تطور الذوق العام وتغير الشعور والاحساس لدى الجمهور ، الشيء الذي يكون له المفعول البيـن في مختلف الفنون والصناعات الشعبية .

ولعله قد حان الوقت لنخـرج بنتيجة من هـذه النظرة الخاطفة التي القيناها على شعرنا المعاصر فيما يخص موضوع الطبيعة ، وقد كنـا وضعنا سؤالا في الاول لنرى هل استطاع شعراؤنـا ان يتحـرروا في آن واحد من تقليد القدامى ومن تقليد الغربيين ليأتوا بشعر عربي اصيل ، ولكنه جديد في اتجاهاته وينابيع وحيـه .

وقدامكننا ان نتحقق من خلال نظرتنا القصيرة ان شعراءنا في الغالب لا زالوا لم يستطيعوا الانعتاق من التقليد ، وخاصة في المعاني والافكار ، فهم اما تجذبهم فحولة القدامى وجزالتهم وعبقريتهم فينحون نحوهم ويأتوننا بقريض قد يكون جميلا وجليلا ، ولكنه تعلوه مسحة القدم والبلـى ، وتتقبلـه نفوسنـا ان هـي ارتاحت اليه كتحفة اثرية ، واما يفتتنون بالشعـر الغربي وتغريهم آفاقه الرحبة واغراضـه المتعـددة ومدارسـه المتخلفة ، فيطمحون الـى اقتفـاء اثـره والنسج على منواله ، وانهم ، والحق يقال ، ليركبون، في هذه الحالة الاخيرة ، مغامرة ليست بالقصيـرة ولا بالسهلة ، اذ لم يكن من اليسير على اللغة العربية التي لم تتغير منذ القرن الرابع الهجـري ان تستسيـغ وتهضم اساليب واخيلة وافكارا انتهجت في هـذا العصر الذي اصبح التطور يسير فيه بخطى حثيثة .

كان ، اذن ، من المفروض على شعرائنا ان يقوموا بتجديد اللغة ، وينفثوا فيها القوة والحياة حتى تتسع للتعبير عن الاغراض الجديدة التي بدأ الشعر العربي يرنو اليها ، فاذا ما كونوا الاداة الصالحة ، امكنهـم حينئذ ان يدخلوا في طور الانتاج الصحيح .

واذا علمنا ان محاولة تجديد اللغة وتوسيع ملكاتها التعبيرية لم تبدا الا منذ ثلاثين سنة ، ادركنا السبب الذي جعل هذا الجيل من الشعراء لا يتجاوز مستوى التقليد والتأثير بالغير ، فهو يبذل من الوقت والمجهود فى سبيل تطوير العبارة العربية وترويضها ما لا يترك له المجال للتفرغ كما يجب لمحتوى القصيدة.

فاللغة العربية تجتاز الان ، فى الواقع ، عصر انتقال ، والاطوار الانتقالية فى التاريخ لم تكن ، فى الغالب ، تقترن بالفترة التي يعظم فيها الانتاج وتبلغ الصنعة اوج كمالها وتنضج المحاولات والابتكارات الفنية .

ومع ذلك ، فالانصاف يقتضي منا ان نسلم لبعض الشعراء امثال الشابي ونازك الملائكة وعلي محمود طه بالمهارة والذوق الفني الرفيع ، فقد ساهموا خير مساهمة فى اصلاح اللغة العربية ، معيدين لها شيئا من ماء شبابها ، ومبرزين جوانب طريفة من جمالها .

خاتمة :

راينا فى هذه السلسلة من المقالات كيف نشات وتطورت نظرة شعرائنا الى الربيع والى الطبيعة ، بوجه عام ، فبعد ان راوا الطبيعة فى ازدهارها كالحسناء التي يستمتع بجمالها ، وبعد ان راوا فيها الخلوة الملائمة لحياتهم الابيقورية ، ولايامهم ولياليهم القاصفة الراقصة ، اذا بهم ، بعد الاطلاع على الاداب الاروبية ، يكتشفون لنا وجوها اخرى اكثر صفاء واشد خلوصا من شوائب اللذة الحسية ، فاذا هي ملجا الشاعر الوحيد عندما تضايقه الحياة الاجتماعية بكذبها ونفاقها ، واذا هي فى عينيه صورة المثل الاعلى فى الطهارة والبراءة والحب الصادق ، واذا هي انعكاس لما يتكاءد نفسه من وحزن والم ، واذا هي مسرح احلامه الطويلة العميقة .

نعم ، لقد تبدلت النظرة ، وتغيرت المفاهيم ، ولكن الشاعر ظل كما هو ، وفيا للطبيعة ، متجاوبا معها ، فحواره الطويل معها لا زال مسترسلا مهما تغيرت الاساليب والاشكال ، واقباله عليها يستوحيها ويرى فيها احد ينابيع الشعور الغزيرة لم يطرأ عليه اي فتور .

وهذا التعلق انما يدل على ان الشاعر لم يكتشف بعد سر الطبيعة ، فهو يحوم حوله متلهفا مشوقا ، وهو فى بحثه عن هذا السر المكتون ، يكشف لنا اسرارا اخرى ربما لم يكن يتوقعها ، فما اشبهه بعالم الكيمياء فى القرون الوسطى الذي كان يبحث عن الذهب فلم يتوصل اليه ولكنه اكتسب بتجاربه العديدة ثروة من المعلومات عن العناصر والمركبات صارت فيما بعد نواة لعلم الكيمياء الحديث .

وبعد ، هل يحق لنا ان نقول اننا استنفدنا دراسة الموضوع واحطنا بسائر جوانبه ؟ سيكون من من قبيل الدعوى ان نتقدم بمثل هذا القول ، فلا زالت هنالك مسائل جوهرية لم نتعرض لها ولو باشارة وكان بودنا ان نقف عندها ، ولا زالت هنالك تحليلات جد شيقة عن شعر الربيع وانواعه وفنونه ، ولكن المواضيع الادبية لا ينضب معينها لمن يريد ان يتتبعها ، فهي كالاكلة الشهية التي تثير شراهة من ليس بشره ، ولذلك ، فاننا سنرفع يدنا عن الطعام ونحن نشتهيه .

— انتهى —

المراحل الفكرية لحياة الغزالي

للاستاذ محمد صالح الزعيمي

- 2 -

هـــل يمكننا حقا ان نطمئن الى قصة الغزالي عن نفسه ، ونعتمد عليها اعتمادا موضوعيا للتعرف على افكار الغزالي ، وتطوراته النفسية ؟

لقد كان هذا حال معظم الباحثين المستشرقين منهم وغيرهم ، اذ كانوا يتقبلون ما اورده ابو حامد فى كتاب (المنقذ) تقبلا تاما .

الا ان الشك قد تسرب الى نفوس بعض الباحثين فى القيمة التاريخية لكتاب (المنقذ من الضلال) ، ومن بين اولئك الاستاذ ابو العطا عبد الدايم البقري الذي حرر كتيبا بعنوان (اعترافات الغزالي او كيف ارخ الغزالي لنفسه) .

هذا الباحث لا يثق بكلمة مما قاله ابو حامد فى منقذه باستثناء شيء واحد هو ما اعلن عنه الغزالي من انه قبل خروجه من بغداد كان يطلب الجاه ، وانتشار الصيت ، وان احسن اعماله ـ التدريس ـ لم يكن خالصا لوجه الله .

والبقري يتتبع الغزالي خطوة خطوة ، وينتقد كل ما مر به محاولا استخراج التناقضات بين ما يدلي به الغزالي من آراء .. يشك البقري فيما يرويه ابو حامد عن شكه وما يمثل به من الامثلة ويرى ان ذلك الشك قد اصطنعه اصطناعا عندما هم بتأليف كتابه . اما الامثلة التي اتى بها الغزالي فهي قديمة اوردها السفسطائيون الاقدمون ، ولكن الغزالي حورها وعدل فيها ، وهو نفسه كان قد انتقدها عندما هاجم التعليمية .

ويقارن البقري بين شك ابي حامد وشك ديكارت ، فيفضل الثاني على الاول ويرى ان ديكارت قد اشركنا فى الخروج من الشك واخرجنا معه منه .. بينما اعتمد الغزالي على نور قذفه الله فى قلبه ، فخرج من الشك وحده وتركنا حيارى ، فديكارت قرب بين مرحلتي الشك واليقين حتى جمع بينهما ، بينما باعد الغزالي بين يقين لا يتطرق اليه الريب ، وشك لا يخرج منه ، لم انفلت منه وحده ، وتركنا فى ظلماته ، ولذلك يقرر البقري ان الغزالي لم يشك مطلقا ، وانما تجمل بايراد ما اورده لكي يتميز عن جمهور المقلدين فيصبح بذلك مرموقا .

ويلاحظ البقري ان ابا حامد لم يخرج عن ربقة التقليد عندما حصر الحقيقة فى الفرق الاربع فاذا درس الغزالي علم الكلام ثم انصرف عنه ، كان فى ذلك مجال واسع لتساؤلات البقري : كيف يخرج الغزالي عن جماعة المتكلمين ؟ .. كيف لا يجد الشفاء فيما يقول هؤلاء ، وهم اهل السنة ، وليس ما يقولونه الا القرءان والحديث ؟ .. هذا ليقول البقري فى الاخير ان مقصد الغزالي هنا ايضا ان يبين ان هؤلاء المتكلمين لا ينتفع بهم الا العامة ، اما امثاله فلا . .لان ما يحصل من الاستفادة للناس من المتكلمين انما هو (حصول مشوب بالتقليد فيما ليس من الاوليات) .

اما فى موضوع الفلسفة فيرى البقري ان هناك تناقضا فى كلام الغزالي تنشا عنها نظريتان :

ا ـ ان الغزالي درس الفلسفة ليعثر على الحقيقة .

ب ـ ان الغزالي درس الفلسفة ليهدمها .

ا) ـ ففي الاولى يلاحظ ابو العطا عبد الدايم البقري ان ابا حامد اعلن مرارا وتكرارا بانه في هذه الجولة الدراسية بين علم الكلام وبين الفلسفة وغيرها من العلوم انما هو باحث عن الحقيقة .

ويرى البقري ان القول بان الغزالي درس الفلسفة ليجد مخرجا من الشكوك التي اعترته ، هو قول عام غير محدد المعالم .

ب) ـ ولكن يلاحظ البقري بوضوح ان الغزالي يقول في مقدمة (مقاصد الفلاسفة) انه التمس كلاما شافيا في الكشف عن تهافت الفلاسفة فرأى ان يقدم بكلام وجيز يشتمل على حكاية مقاصدهم ، كما ان الغزالي يؤكد في (تهافت الفلاسفة) انه درس الفلسفة ليفهمها وينقضها .

والبقري هنا يحترز احترازا ، اذ قد يفهم من كلام الغزالي انه قرأ الفلسفة كباحث عن الحقيقة . فلما وجد الحق نابيا عنها اراد الرد عليها في التهافت، ولكنه اضطر الى بيان فهمه لكلام (المقاصد) .. الا ان هذا التفسير يبطل كله اذا علمنا ان ابا حامد قد صرح في (المنقذ) بانه راى ان المتكلمين لم يستطيعوا ان ياتوا الا بكلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد في الرد على الفلاسفة ، ولانه احس بانه مطالب عندما بدأ التدريس سنة 484 هـ ببغداد بسد هذا النقص ، وباحالة ذلك الكلام المعقد المبدد الى براهين سليمة واضحة سيما وهو (تلميذ ذلك البطل المنقذ ، بطل علم الكلام ورجله الفذ امام الحرمين) كما يقول الاستاذ البقري .

لهذا ـ اذن ـ قام الغزالي بتاليف كتبه الثلاثة في الفلسفة ..

وهنا يتساءل البقري : افلا يمكن الجزم بانه درس الفلسفة لينقضها ويشوش عليها .. كما قال هو نفسه واعترف به في كتابه (المنقذ) وفي (التهافت) ايضا ؟ من هنا ينطلق البقري مؤيدا نظريته ، لماذا نقض الغزالي الفلسفة وسفه اصحابها ؟ لكي يكون هو المتكلم الذي عرف كيف يغالبها ويصرعها فيكبت بذلك انفاس الفلاسفة ويصبح عن جدارة صارع وهادم المتفلسفين .

ويعيد البقري التاكيد كنتيجة نهائية ـ ان هناك تناقضا في كلام الغزالي : دراسة الفلسفة بحثا عن الحقيقة ودراستها لنقدها وهدم اصحابها ، فيرضى البقري بالشق الثاني ويتبناه ، ويطرح الشق الاول .

اما في موضوع التعليمية فيجد البقري مجالا واسعا ، ولا يصدق ان باعثا داخليا من نفس الغزالي قد انضم الى الباعث الخارجي الوارد من قبل الخليفة للرد على اتباع الامام المعصوم .. بل يرى البقري امر الخليفة هو الذي جعل ابا حامد يحرر كتاب (المستظهري) في الرد على التعليمية فلم يكن غرضه اذن الا ارضاء للخليفة وانتصارا للمذهب الرسمي .

وفي موضوع لجوء الغزالي الى التصوف يرى البقري ان ابا حامد قد وجد عنه الصوفية ما يكمل به المجد ، ويحيط من حوله هالة من التقديس والاكبار لدى العامة .

ويستدل البقري على ذلك بعدم استقرار الغزالي على حالة التصوف ، وما اورده عن نفسه من الانشغال الذي لا يسمح له بالخلو الى نفسه الا لحظات .. كما يرى ان خروج الغزالي من بغداد ثم عودته الى التدريس بعد ذلك لم يكن القصد منه الا اكتساب امجاد جديدة .

وبذلك يفهم البقري من عبارة وردت في (المنقذ) ونصها : (واستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن من يجوز منهم ان يكون للاعراض عما كنت فيه سبب ديني اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم) .. هذه العبارة يفهم منها البقري ان الغزالي كان يسعى الى منصب اعلى من الذي كان فيه ،وذلك ما لم يستطع ائمة العراق ادراكه .

وبصفة عامة ، فان الاستاذ البقري قد فسر كل ما قاله الغزالي عن نفسه على ضوء فكرة ثابتة هي عدم اخلاص العمل لوجه الله .

وينتهي البقري الى القول ان كل ما جاء في (المنقذ) ليس صادقا ولا ينم عن اخلاص . اننا هنا بصدد قصة بطلها ابو حامد الغزالي .. فلقد كان

يسعى لان يترك للجيل القادم صورة جميلـة عـن شخصيته ، وان يجعل من حياته انموذجا يحلـه ـ دون منازع ـ المحل الاسمى في مختلـف مجـالات الفكر وشتى مظاهر الحياة الاسلاميـة في عصـره ، وخاصة في المجال الصـوفي العملي ، وفي سبيل ذلك قدم لنا اعترافات ان لم تكن كلها مغلوطة فهي لا تقابل اي واقع تاريخـي ...

ان البقري يستعمل في كتابه لهجة عنيفة قوية .. وقد بدا له ذلك ضروريا لخطـورة الموضـوع وللاهمية التي اعطيت لكتاب (المنقذ) في بيان الحقيقة التاريخية لحياة الغزالي .

فاذا انتهى البقري من ابداء رايه الاخير ، بـدا يحاول تلمس الاعذار لابي حامد .. ان الغزالي يحدد في كتاب (احياء علوم الدين) المواضيع والظروف التي يجوز فيها الكذب من الناحية الشرعية .. والغزالي يحاول هنا اصلاح الناس ، وهو لا يضر احدا بتلـك الاقوال واذن فكذبه هنا مسموح بـه .

* * *

والان ما موقفنا من كل ذلك ؟

نحن متاكدون من ان الغزالي قبل خروجه من بغداد كان يطلب العلم لغير الله ، وكان يقصد الـى الشهرة والصيت ، وذلك لانه يخبرنا بهذا بنفسـه بكل وضوح وصراحـة ..

ومن ذلك نعلم ان الغزالي لم يكن يقرر الحقيقة التي يمن بها عندما حاول دحـض آراء الفلاسفة في كتاب (التهافت) وانما كان يقصد الى اظهار براعتـه وحيازته قصب السبق امام جميع المتكلميـن الذيـن حاولوا فلم ينجحوا الا قليلا ، ولم يكن ما ساقـوه ـ كما ذكر الغزالي ـ الا كلمات مبددة معقدة ظاهـرة التناقض .

وصحيح ايضا ان الغزالي قد استمع الى اوامر الخليفة فالف (المستظهري) في الرد علـى التعليمية ، وانه كان يسعى من وراء ذلك الى افحام هؤلاء الذين اشتهر امرهم ، والى نيل الحظوة وارضاء الحكام .

وصحيح ايضا انه اقتبس الامثلة التي تـؤدي الى الشك في المحسوسات والمعقولات من السفسطائيين الاوليـن .

وصحيح كذلك انه قد خرج من الشك وحـده بنور قذفه الله في قلبه وتركنا نحن حيارى .. الى ان يقذف الله في قلوبنـا نورا مشابهـا .

ولكن هذا كله لا يقوم دليلا على ان الغزالي لم يكن يتطلع الى الحقيقة ، ولم يكن يسعى اليها بل من المؤكد ان ابا حامد كان وراء تلك التهجمات والمجادلات، ووراء ارضاء الخليفة بالكشف عن اباطيل التعليميـة ـ كان يحاول التعرف على الحق ، وليس ذلك بأمـر غريب .

نعم ان الغزالي عندما كان يناقش الفلاسفـة ويحاربهم لم يكن ـ كما ادعى ـ غير ذاب عن مذهب معين بل من الواضح انه كان يدافع عن مذهب اهـل السنة ، وان لم يكن ذلك قصـده الاول ، بل كـان يستعمل مذهب اهل السنة كمقابل يعاكـس بـه الفلاسفة ويشاكسهم .

ويجب الا يغرب عن بالنـا ان الذي يريد تشويه سمعة الفلاسفة لدى الناس يجب ان يظهـر انهم مخالفون للمذهب الذي يرى الناس فيه المذهب الحق، وذلك لان الغزالي عندما كتب في الفلسفة والرد علـى الفلاسفة لم يكن قد انكشف له شيء من الحق الذي لا غبار عليه، ولكنه كما ذكرنا كان ساعيا نحو الحقيقة من جهة ، ومستعملا لمذهب اهل السنـة الشائع في الرد على الفلاسفـة .

ان الاستاذ البقري اراد ان يبرز طلب الحقيقة ومحاولة الهدم لاجل الشهرة وطاعة الخليفة علـى انهما امران متناقضان لا يمكن اجتماعهمـا ، ولسنـا نرى ان الامر يبلغ هذا الحد .

وقد لاحظنا ان الغزالي يقول قبل انتقاله الـى وصف تجربته العملية وخروجه من بغداد (وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التـي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلـوم الشرعيـة والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليـوم الاخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت قـد رسخت في نفسي لا بدليل معين محرر بل باسبـاب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها) .

ان هذا الذي يقصه علينا ابو حامد امـر يقـع كثيرا ، فطالما خاض باحث في موضوع واكثر مـن

التردد عليه حتى تأثر به تأثرا عميقا يبدأ غير مشعور به في الاول ، ولكنه يتضح شيئا فشيئا حتى لكأنه يشمل النفس الانسانية كلها .

ان مجرد ممارسة عمل من الاعمال لمدة طويلة يطبع الممارس بطابع لا يفارقه ، فالغزالي الذي خاض في المسائل العقائدية وبحث في كلام الفلاسفة وتعمق في دراسة مسائل علم الكلام ، وقام بتدريسها واستكشف افكار التعليمية وناظرهم لابد ان يخرج من ذلك باثر يطبع عقليته بطابع ما .

ومن ذلك يبدو واضحا ان الغزالي عندما خرج من بغداد ليقوم بتجربته الصوفية الكبرى ، لم يكن يسعى الى الحقيقة ـ كما قد يفهم الكثيرون ـ فقد انكشفت له الحقيقة ورسخت في نفسه الاصول الثلاثة : الايمان بالله وبالنبوة واليوم الاخر . فكيف انكشفت له هذه الحقيقة ؟ .. بقرائن وتجارب ذات تفاصيل لا تدخل تحت الحصر .. ان الغزالي لم يستطع التعبير عن كيفية ادراكه للحقيقة .. لان الامر لم يتعلق بدليل عقلي بل بتجمع لا شعوري لاثار الدراسات الماضية . .

لهذا نقول ان الغزالي عند خروجه من بغداد لم يكن يسعى نحو ادراك الحقيقة بل كان يسعى نحو مطابقة الفكر للعمل .

نعم لقد وصل الغزالي الى الحقيقة الالهية والى النبوة ، والى الايمان باليوم الآخر فما موقفه من الوضع الذي كان فيه ؟

لقد التفت الى نفسه فوجد انه منغمس في العلائق ، وان نيته من اعماله حتى اشرفها ـ وهو التدريس ـ لم تكن خالصة لله ، بل كان القصد منها طلب الجاه وانتشار الصيت .

ان ذلك لا ينسجم مع ما وصل اليه من الحقائق

.. لا ينسجم مع الايمان باليوم الآخر وما يجب ان يقدمه فيه من اعمال صالحة صادرة عن نيات صالحة .. عليه اذن ان يتزود ليوم القيامة بما ينفعه ، فان هذا الذي هو فيه ليس الا بضاعة الدنيا الفانية وان الآخرة لهي دار القرار .

هنالك نشأ الصراع بين الفكر والعمل .. ذلك الذي ينشأ دائما عند اصحاب الضمائر الحية والنفوس الواعية الكبيرة الذين لا يرضون لانفسهم التناقض ولشخصياتهم الانقسام .

يجب ان تنسجم الفكرة والعمل .. هذه هي الازمة .

وكذلك تقلب الفكر عند الغزالي فقام بارادة من حديد يحطم جميع الاسس التي كان قد بني عليها شخصية زائفة لا تليق به .. لا تليق بنفس كريمة كتبت لها السعادة فحرصت عليها .

قام ابو حامد الغزالي اذن بانقلاب شامل في حياته العملية مبرهنا على ان العمل يجب ان يخضع دائما للفكر والا فلا قيمة لاي منهما .. وكذلك خرج الغزالي من بغداد يطلب التجربة الصوفية .

فلماذا تتهم الرجل بانه كان يسعى فقط نحو الشهرة وانتشار الصيت ؟ ان الاستاذ البقري لا يعتمد في الواقع الا على تصريح الغزالي الذي طالما اشرنا اليه ، ولسنا نرى في تصريح الغزالي بانه كان يطلب الشهرة قبل خروجه من بغداد دليلا كافيا لان نشيع ذلك على حياته كلها .

يرى الاستاذ عبد الجليل في احدى مقالاته في موضوع اخلاص الغزالي ان البقري قد اهمل دراسة الظروف التاريخية وان النصوص التي اقتبسها من كتب الغزالي الاخرى على ندرتها واختصارها وما صرح به الغزالي في المنقذ .. كل ذلك قد استغله البقري استغلالا مذهبيا في تاييد اتجاهه الذي يحاول تارة ان يجعل الغزالي متناقضا مع نفسه وتارة اخرى ان يبين الاكاذيب الملفقة في سرده للحوادث .

ومعظم ما يستنتجه البقري ليس استنتاجا بالمعنى الصحيح بل هو ـ كما يرى الاستاذ عبد الجليل ـ عبارة عن تحليلات نفسية وفهم خاص لعبارات الغزالي يتوافق مع نظرية البقري الخاصة .

ان التحليلات النفسية لا تغني عن الادلة الواضحة شيئا ، ولا يمكن ان تقام عليها النظريات الثابتة ، بل ان غاية ما تصلح له ان تكون موجهة للباحث نحو فرضيات مشكوك فيها ، وعليه ان يدعمها بعد ذلك بالبراهين ، والا بقيت مجرد فرضيات تحتاج الى ما يؤيدها .

والحق انه ليس من المفيد فى شيء ان نمسك بكتاب (المنقذ) فنحلله تحليلا خاصا ونوجهه دون وجه حق توجيها مغرضا قصد ان نقول فى النهاية ان الغزالي لم يكن يطلب الحقيقة بل كان يسعى نحو المجد والشهرة وان ينصب نفسه حجة للاسلام ومصلحا للجمهور فى عصره وفى الاجيال القادمة ، ثم نعود فنحاول الاعتذار له عن كذبه ذلك بأنه كان يقصد الاصلاح ، وان ذلك لفائدة الناس وان الكذب فى هذه المواضيع ليس حراما ، لاننا اذا جردنا الغزالي من نياته الصالحة واقترن اسمه عندنا بالسعي الى الشهرة والمجد ، فلا موجب لان نعتذر له بما سعى اليهمن الاصلاح. ولكننا ـ وقدقلنا كل هذا ـ هل نرى ان الغزالي لم يجاوز الحقيقة المطلقة فيما حكاه عن نفسه ؟ .

ان اللهجة الخطابية المؤثرة والاسلوب القوي الجميل اللذين استعملهما الغزالي فى هذا الكتاب بالاضافة الى وقوفه عند بعض النقط وتحليلها اكثر مما يجب ، وكذلك الشروح والمواعظ والارشادات التي يضعها ضمن الكتاب .. كل هذا يحملنا على القول بان القصد من هذا التاليف ليس مجرد سرد الحقائق ووصف المراحل التي مر بها الغزالي سردا تاريخيا محكما .

ان الغزالي ليس مؤرخا ، انه (فقيه) كما يقول الاستاذ عبد الجليل .

لقد قصد الغزالي زيادة على وصف حقيقة احواله الوعظ والارشاد وتقديم المثال ، ولذلك فلسنا ننتظر من الغزالي ان يذكر التفاصيل التي مر بها فى حياته ، وما الذي سوف يستفيده الناس من تفاصيل حياة الغزالي ؟ وما الذي يلزمه ان يعترف لنا اكثر مما اعترف ؟ لقد كان يشير الى الحقائق اشارة لا تخفى عندما كان يفصل بين مرحلتي حياته ما قبل الخروج من بغداد وما بعده .. انه لم ينكر ما كان عليه امره قبل عزلته، لم ينكرانه يطلب العلم لغير الله وانه بعد ذلك عاد فاصلح من شانه وراجع موقفه واعتزل العالم رغبة فيما ينفعه يوم القيامة ، وانه رغم عودته من سياحته فى بلاد الله بقي معتزلا ولم يعد الى التدريس حتى علم ان عزلته لن تفيد فى اصلاح ما فسد من امر المسلمين ولن تقوم ما اعوج من سلوكهم .

لقد كان عليه اذن ان يستجيب مرة اخرى لضميره فذلك الضمير الذي اشار عليه باعتزال الناس والمجد الزائف هو الذي نبهه الى خطر سكوته على فتور العقيدة وتدهور حال المسلمين .

ان الغزالي قد صور هذه الحقائق التي عاشها تصويرا جميلا واكسبها روعة من اسلوبه النابض بالحياة فجعلها مؤثرة تطرق القلوب قبل الاسماع ، لان ابا حامد كان يسعى الى الارشاد والتهذيب والتعليم .

فهو لم يلق الى الناس بقصة حياته جزافا او على طريقة الاوروبيين فى (الاعترافات) بل هو قد اغتنم حكاية حياته لكي يرشد الناس ويعلمهم ويبث فيهم الحماس للدين الذي كان يلاحظ بأنه يضعف وينهار . . واذا رجعنا الى ما وصفه لنا الغزالي فى (المنقذ) مما يدل على تدهور حالة الناس فى عصره من الناحية الدينية لالفينا انه كان واجبا على رجل كابي حامد ان ينهض فيتحمل مسؤولياته كاملة .

فليس لنا اذن ان نتهم بغير وجه حق رجلا مخلصا فى الدين منافحا عنه بسوء النية والقصد الى الشهرة وحب التقديس ، فهذه امور لا يستطيع احد ان يتاكد منها تأكيدا تاما خاليا من الشك .

ونحن نظلم ابا حامد ظلما كبيرا اذا جعلنا حياته سلسلة من الحيل والخداعات ومحاولات الشهرة بجميع الطرق والاشكال .

وبذلك يمكن القول ان كتاب (المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال) يمكن الاعتماد عليه الى حد كبير فى التعرف على حياة ابي حامد الغزالي ومراحلها الفكرية ، حقا انه ليس مصدرا للحقائق التاريخية المجردة عن كل عامل شخصي ، لما يتسم به من طابع محاولة الارشاد والتعليم وذلك ما يستطيع الاستاذ عبد الدايم البقري ان يأخذه على الكتاب ، ولا زائد على ذلك .

« انتهى »



حازم القرطاجني وآثاره

للأستاذ عبد القادر زمامة

عرفت حازم القرطاجني من خلال مقصورته الشهيرة التي مدح بها امير المومنين المستنصر الحفصي ، وكنت اتتبع هذا النص البديع في الادب العربي بغاية الاهتمام والدرس ، ولا سيما وفن المقصورات ما زال من الفنون التي لم تنل حظها من البحث والدرس والمقارنة ، وما زال شعراء المقصورات يعيشون على هامش البحث الادبي ، بينما شعراء المعلقات والمذهبات والاراجيز والبديعيات ينالون حظا وافرا من الترجمة والبحث عند مؤرخي الادب العربي ونقاده من عرب ومستشرقين ..

وقد حظي ابن دريد بنصيب لا بأس به من الدراسة والبحث وهو من شعراء المقصورات المبرزين .. لكن ابن دريد حظي بهذه الدراسة لكونه خصب الانتاج في اللغة والنحو والفنون الادبية الاخرى وقد نسجت حوله هالة كبرى من الاوليات .. فهو في نظر بعض الباحثين – اول – من فكر في فن المقامات باحاديثه المبتكرة والمنشورة في الامالي لابي علي القالي .. كما انه في نظر آخرين – اول – من ابتكر فن المقصورات .. ولسنا بصدد مناقشة هذه الاراء الآن .. وانما هي التفاتة الى هذا الفن المهجور .. لعلنا نوفق الى دراستها فيما يستقبل من ابحاث .. وهمنا الآن البحث عن حازم القرطاجني الاديب الفحل الذي اشتهر بمقصورته البديعة التي اطال فيها النفس الشعري حتى بلغت ابياتها الالف .. وبحثنا عن هذا الشاعر ينحصر في نقطتين اثنتين :

الاولى : عصر حازم من الناحية السياسية والادبية .

الثانية : شخصية حازم وآثاره .

ابتسم الدهر للمغرب العربي والاندلسي يوم اظلته الوية الخلافة الموحدية فعاش المغاربة في تونس والمهدية وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش واشبيلية والمرية وقرطبة عصرهم الذهبي ، وزخرت امصارهم باعلام اللغة والدين والادب والتاريخ والفلسفة والسياسة والحرب .. ونضجت حضارة المغرب والاندلس نضجا ما زال يلفت انظار الباحثين والمؤرخين .. وما زالت الايام ترينا من معالم ذلك العصر ما يعد دليلا قاطعا وبرهانا صادقا على ان الحضارة المغربية الاندلسية كانت في عصر الموحدين مثلا اعلى لشعوب آسيا واوربا وافريقيا .. وكان عصر المنصور بنوع خاص عصرا سجل مفاخر لا تبلى جدتها ، وعظمة لا تذوى زهرتها .. فالى جانب النبوغ الادبي والتقدم العلمي والازدهار الاقتصادي والعمراني .. كان التفوق الحربي ممثلا في الاساطيل البحرية التي تمخر عباب البحر الابيض المتوسط .. والجيوش البرية التي كانت تحمي سواحل البلاد من اعماق الصحراء الى برقة .. وتنتزع النصر على القوى الزاحفة من جيوش قشتالة النصرانية في الاندلس .. ولا سيما في معركة الارك سنة احدى وتسعين وخمسمائة حيث كان نصرا باهرا سجله الاسلام على الصليبيين في الاندلس بقيادة يعقوب المنصور الموحدي .. كما سجل نفس الانتصار صلاح الدين الايوبي على الصليبيين في الشرق وذلك بفتح القدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة مما جعل البطلين رمزا لعظمة العصر الذي نتحدث عنه ، وعنوانا يشع بالبطولة والعبقرية في سائر الميادين ..

وودع المنصور الحياة ودخلت الدولة فى مرحلة اخرى من حياتها ، وحاول الناصر ان يحتفظ بمكاسب الدولة وان يطيل حبل الاستقرار والازدهار اللذين كانا شعار المنصور وعنوان عصره ، وثمرة مجهوده فسجل انتصاراته على ابن غانية فى تونس ، وعلى الصليبيين فى الاندلس ، غير ان كارثة العقاب سنة 609 هـ كانت النذير الاول بتفتت الوحدة وانحلال الرابطة ، وتقلص الظل الوارف الذي تعيش تحت الويته كل من الاندلس والمغرب ، وتلا هذه الكارثة ما سجله التاريخ من ضعف فى ملوك الموحدين الذين جلسوا على عرش مراكش وقنعوا من الحياة بما تيسر ولان .

وبعض هذا كان كافيا لقيام دول وحكومات فى تونس والجزائر والمغرب والاندلس .. على انقاض دولة الموحدين واشلاء امبراطوريتها وهو ما كان بالفعل .. فاصبحت كل من غرناطة وتونس وتلمسان عاصمة دولة على راسها امير او ملك او خليفة امير المومنين ..

هكذا يصور لنا التاريخ عصر حازم القرطاجني وهو كما ترى عصر تحول وانتقال ، عصر نشوء دول وقيام حكومات كل منها تطمح لان تنال من وسائل التأييد وفرض الوجود ما يثبت اقدامها ، ويعلي شانها ويكسبها العظمة والخلود ..

وقد عودنا التاريخ العلمي والادبي ان مثل هذا العصر يكون طافحا بالاعلام والعباقرة والشعراء والمؤلفين والمؤرخين ، لان هؤلاء هم السند المعنوي للدول الناشئة وهم عنوانها البارز فى الداخل والخارج وهم فى الوقت نفسه محل تنافسها لجلب اكبر عدد منهم الى بلاطها .. والامثلة الحية لهذه الظاهرة التاريخية كثيرة فى عصر ملوك الطوائف بالاندلس ، وعصر انحلال دولة بني العباس فى المشرق ، ودولة الموحدين فى المغرب .

وصاحبنا حازم خضع لهذه العادة فقد عاش فى مسقط راسه بالاندلس ، ثم هاجر الى بلاط الموحدين بمراكش ثم استقر به المقام فى بلاط الحفصيين بتونس .

وكان سقوط العواصم الاندلسية فى ايدي الصليبيين الزاحفين من الشمال والشرق والغرب عاملا اساسيا فى هجرة هؤلاء الاعلام الاندلسيين الى المغرب وتونس ومصر وغيرها من اقطار الاسلام طلبا للامن والاستقرار .

وكتب التراجم طافحة بهؤلاء الذين تركوا مساقط رؤوسهم فى الحواضر الاندلسية ورحلوا عنها وهم يندبون صفحات من الماضي تطوى ، ومجدا يدفن ، وتاريخا اصبح فى خبر كان .. فتكملة ابن الابار 659 وصلة ابن الزبير 708 ، والذيل والتكملة لابن عبد الملك 703 ، وغيرها من المصادر التاريخية تضم عددا لا يحصى من هؤلاء الذين عاصروا الفواجع الاندلسية وطوح بهم الدهر هنا وهناك ..

بعد هذا التصوير المجمل لعصر حازم ننتقل الى ترجمته الشخصية ومراحل حياته فى الاندلس والمغرب وتونس .

ولد حازم على ما يظن بقرطاجنة الحلفاء كما يسميها ابن عبد المنعم فى الروض(1) المعطار وهي مدينة ازلية فى شرق الاندلس على شاطىء البحر المتوسط ، جيدة التربة والمناخ ، تقع وسط اقليم تدمير الشهير بمحصولاته وغلاته قديما وحديثا .. وكان مولده سنة 608 هـ (2) وهي السنة التي عبر فيها الناصر الى الاندلس ليخوض فيها غمار معركة العقاب المشؤومة على الاندلس والمغرب معا .. ولا نكاد نعرف عن نشأة حازم وتربيته ودراسته الاولية شيئا يذكر سوى بعض الاستنتاجات التي نستنتجها من اقوال المقري فى نفح الطيب ، وازهار الرياض ، والسيوطي فى بغية الوعاة ..

ويظهر من آثار حازم انه درس فى الاندلس دراسة متينة ولا سيما فنون الادب واللغة متنقلا بين الحواضر الشرقية منها بنوع خاص ، ويقول السيوطي « انه

---

1) طبعة القاهرة \1937\ص 151 مع تصحيف .
2) ازهار الرياض \ ط. القاهرة \ ج 3 ص 172

روى عن جماعة يقاربون الفا (1)» وكان في مقدمة الآخذين عليه الامام ابو حيان النحوي الذي يقول عن شيخه حازم : « وهو اوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان (2) » .

كما يظهر ان نبوغ حازم كان في سن مبكرة جدا لاننا نجده يغادر وطنه الى المغرب الاقصى بعد ان يترك هناك شهرة ذائعة الصيت ، وينزل عاصمة مراكش ويمدح الرشيد الموحدي امداحا كثيرة كما يقول صاحب ازهار الرياض (3) .

اما سبب هذه الهجرة فهو ولا شك ما هب على الاندلس من اهوال الغزو الصليبي الزاحف من الشمال والشرق والغرب ، واما زمانها فمنحصر بين سنة 630 هـ 640 هـ ، وهي المدة التي جلس فيها الرشيد على عرش مراكش ، فيكون سنه اذ ذاك ما بين الثانية والعشرين والثانية والثلاثين .. ولم يطب لصاحبنا المقام بمراكش بسبب الحروب والفتن الداخلية المندلعة في كل مكان ايام الرشيد ومن تلاه من ملوك الموحدين .. ولا يتسع المقام هنا لتسجيل جميع الفواجع والاحداث في العدوتين كثورة ابن هود .. وسقوط قرطبة في يد الاسبان سنة 636(4) وقيام دولة بني الاحمر في غرناطة .. وبني مرين في المغرب الشرقي .. واستقلال الحفصيين بتونس .. وبني عبد الواد بتلمسان .

فالاحداث والفواجع في عصر حازم تتابع بكيفية مهولة لا في المغرب والاندلس فحسب بل في الشرق ايضا حيث ستلفظ الخلافة العباسية انفاسها في بغداد سنة 656 هـ تحت ضربات التتار السفاحين ..

ويرحل حازم من مراكش الى تونس ولا تدرى زمن الرحلة بالضبط ، غير ان قول المؤرخين انه اتصل بابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد الحفصي امير تونس ومدحه ، يجعلنا نعتقد ان هذه الرحلة من مراكش الى تونس كانت قبل سنة 647 هـ وهي السنة التي توفي فيها ابو زكرياء (5) .

شاهد حازم في تونس املا ينبعث وماضيا يتجدد ودولة فتية تريد ان تبعث في تونس ما اناخت عليه الاحداث بكلكلها في مراكش من مجد الموحدين وعظمتهم ، اذ لا يخفى ان الحفصيين يرجعون في نسبتهم الى قبيلة هنتاتة البربرية وهي احدى فروع المصامدة القائمين بدعوة الموحدين في المغرب (6) .
واول من تولى منهم امارة تونس هو الامير عبد الواحد بن عمر الهنتاتي ، بامر الخليفة الناصر الموحدي سنة 603 هـ عندما استرجعها من يد ابن غانية ثم اصبحت هذه الامارة — خلافة — بعد ما وصلت امراءها بيعة شاطبة يحملها العلامة ابن الابار ، وبيعة سبتة وسجلماسة ثم بيعة اشبيلية .. واخيرا بيعة مكة المكرمة ؟! سنة 657 هـ (7) .

واستمر المقام بحازم في تونس في ظل الحفصيين ، وامتدت حياته بها الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة 684هـ (8) واتصل كشاعر للدولة بملوك ثلاثة : ابى زكرياء الاول (625\647) وابي عبد الله المستنصر 647\675 وابى زكرياء الثاني 675\678 (9) غير ان الحظوة الكاملة والجاه الرفيع انما نالهما حازم ايام دولة ابن عبد الله المستنصر والى مقامه رفع مقصورته الخالدة ، ويحدثنا لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة (10) عن الشيخ ابن العباس ابن الكاتب عن حازم بقصة لا تخلو من طرافة وهي في الوقت نفسه تدلنا على مكانة حازم عند مخدومه ابن عبد الله المستنصر ...

آثار حازم

1) **المقصورة :** هي اعظم آثار حازم الادبية تشتمل على الف بيت من الشعر الجيد المسبوك في في بحر الرجز ، رفعها الى متبوعه ابن عبد الله

---

1) بغية الوعاة — ص 214
2) نفس المصدر
3) ج 3 — ص 173
4) الاستقصاء — دار الكتاب — ج 2 — ص 246
5) ازهار الرياض — ج 3 — ص 173
6) الادلة البينة — ص 37
7) الادلة البينة — ص 48- 61
8) المؤنس— ط تونس — ص 119
9) اعتمدت في الالقاب والتاريخ على ابن الشماع في الادلة البينة
10) طبعة دار المعارف — ج 1 — ص 208

الحفصي وهي من الملاحم المطولات الجديرة بالدرس والبحث لا عن لغتها التي تبدو مثلا عاليا في الاحكام والدقة في التعبير فحسب ، بل وعن وصفها البديع الرائق وخيالها الواسع المتعدد الاطراف .

فحازم قد تناول ممدوحه بمناقبه ومفاخره ومآثره في العلم والعمران بخمس المقصورة ، اما اربعة اخماسها فقد افاض في الوصفيات والوجدانيات والاخوانيات .. وهو في كل ذلك هادىء الاعصاب ، قوي الذاكرة .. يغرف من فيض ، وينفق من جم ، لا تضيق به قافية .. ولا يحرجه عروض ..

لله ما قد هجت يا يوم النوى
على فؤادي من تباريح الهوى
لقد جمعت الظلم والاظلام اذ
واريت شمس الحسن في وقت الضحى
فخلت يومي اذ توارى نورها
قبل انتهاء وقته قد انتهى

واقرا وصف معركة صيد خرج لها الامير في رفقة اسفرت عن ضحايا من الوحش وقعت صريعة الاقواس والحراب والحبال .. واقرا وصف حنايا المياه التي جلبها الامير من طود زغوان .. واقرا وصفه الحدائق والمتنزهات .. واقرا مودة الاخوان وصفاء الخلان ، كل ذلك باسلوب تمتزج فيه رقة الطبع بجزالة اللغة حيث يكمل كل منهما الاخر .. وقد ابقى الدهر على هذه التحفة الادبية فشرحها ابو القاسم الشريف السبتي المتوفى سنة 760 وهو مطبوع بمصر سنة 1344 هـ ، كما شرحها جلال الدين المحلي الشافعي المتوفى سنة 864 هـ (1)

2) **كتاب القوافي** : ولا نعلم عن هذا الكتاب شيئا سوى ان المقري في ازهار الرياض ذكر ان ابن رشيد الفهري شرحه وسمى شرحه : (وصل القوادم بالخوافي) (2)

3) **شد الزنار** : على جحفلة الحمار : رد فيه على ابن عصفور النحوي ذكره المقري في نفح الطيب .

4) نقد كتاب ـ وشي الحلل ـ تاليف ابن جعفر احمد بن يوسف الفهري اللبلي وكان قد رفعه للمستنصر الحفصي فكلف هذا حازما بنقده وقد روى المقري القصة بطولها في النفح .

5) سراج البلغاء في البلاغة ذكره السيوطي في البغية والمقري في ازهار الرياض ، واظن ان هذا الكتاب هو الذي عناه الاستاذ عثمان الكعاك بقوله : « كتاب في نقد الادب من احسن ما الف في العربية مخطوط بجامع الزيتونة » .

6) منظومة على روي الميم ذكرها السيوطي في البغية .

7) ديوان شعر يوجد بمكتبة ـ الاسكوريال ـ عدد 454 كما يوجد مجموع آخر من شعر حازم في نفس المكتبة عدد 382 .

8) القصائد الشعرية في النفح والازهار وهي

ا ـ الطائية وهي مطولة رائعة البيان تشتمل على 97 بيتا .

ب ـ الجيمية التي عارض بها رائية ابن عمار وتشتمل على 32 بيتا من الشعر الرائق الجميل .

ج ـ اللامية التي ضمن فيها معلقة امرىء القيس .

د ـ مقطعة في الوصف تشتمل على اربعة ابيات .

هـ ـ مقطعة في الوردة البيضاء تشتمل على ثلاثة ابيات وكلتاهما في الجزء الثالث من ازهار الرياض ص 177\178 .

و ـ قطعتان نونيتان ينسب ابن عبد الملك في الذيل والتكملة الاولى منهما الى : ابي علي حازم ؟ والثانية الى ابن الحسن حازم بن حازم .. ؟ وكلتاهما قيلتا في مجلس الرشيد بمراكش .

هذا ما استطعنا ان نجمعه من آثار حازم ولعل ما فاتنا اكثر لان الاحاطة لا سبيل اليها ما دمنا لم نطلع على العدد الكثير من المخطوطات في هذا الميدان .

اما قيمة حازم في نظر معاصريه فيكفينا ان نعلم ان انه عاش في بلاط الحفصيين ، وكان مع الحافظ ابن الابار المقتول سنة 658 كفرسي رهان في ميدان الاداب ، وقد جمعهما الزمان وتعلقهما من الدولة الحفصية باهداف ، كما ذكره الامام ابو حيان في ثبت شيوخه ، وابن رشيد الفهري في رحلته وقال فيه : « حبر البلغاء وبحر الادباء » .. لا نعلم احدا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ولا احكم من معاقد علم البيان ما احكم » ، اما الرحالة المغربي الحاحي المعروف بالعبدري وان كانت رحلته تاخرت الى سنة 688 فقد اتصل ببعض تلامذة حازم في تونس واخذ عنه شعره ثم اثنى عليه وناهيك بثناء العبدري وهو ذو اللسان الطويل والمزاج الحاد .. والوصف الرائع والاسلوب الممتاز .

---

1) كشف الظنون ـ طبع استنبول ـ ج 2 ـ ص 1807

2) ازهار الرياض ـ ج 2 ـ ص 350 .

على ذكر مؤتمر التعريب

بقلم الاستاذ المهدي البرجالي

كـــان خليقا بالمغرب ـ وهو في بداية المعركـة التي عليه ان يخوضها من اجل استكمال استقلالـه الثقافي والفكري ـ كان خليقا به ان يتخذ بادرة طيبة ومحمودة من نوع الدعوة التي وجهها لعقد مؤتمـر التعريب ، وبالاصح مؤتمر المشاكل اللغوية العربيـة الحديثة التي لايزال التقدم العالمي المعاصر يضاعف من حدتها والحاحها ، ويزيد من تعقيدها والتوائها . ولا شك ان الاهداف المتوخاة من المؤتمر كانت هـي بالضبط نفس الاهداف الخيرة البنـاءة التـي قامت على اساسها كثير من المؤتمرات والندوات بالبـلاد العربية الشرقية والتي كانت تتصل من قريب او بعيد بمشاكل الفكر العربي الحديث وبالمعضلات الناشئـة عن تطوير وتعصير الاداة المعبرة عن هذا الفكـر وهي لغـة الضـاد .

وقد ابان هذه الاهداف مؤتمر المجامع العربية المنعقد بدمشق (29 شتنبر 1956) وذلك حينمـا اعلن في مقرراته الختامية ان الدواعي الحافزة على انعقاده هي السـعي « في تحقيق نهضة لغوية شاملـة تمكـن الامة العربيـة من مـسايـرة ركب الحضـارة الانـسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة ؛ وكان لابد لذلك من تفاهم تـام بين المجامع اللغويـة العلمية في شؤون اللغة ورسم مناهج العمل في هـذا الشأن الخطير حتى تستعيـد اللغة العربية سيرتهـا الاولى التي وسعت الشرائع والعلـوم والحضـارات القديمة وتتجارى في العصر الحاضر مـع اللغـــات العالميـة المماثلـة (1) .... »

واهتم مؤتمر الرباط ايضا بشرح اهمية هـذه الاهداف وابراز المدى البعيد الذي تمتد عليه ، والذي يتصل باهم جوانب حياة الجيـل العربـي المعاصـر والاجيال المقبلة ، سواء فيما يتصل بميدان الحيـاة الاجتماعية او السياسية او الفكرية او غيرها ، وقد تضمنت بعض الفقرات الواردة في المقررات النهائيـة للمؤتمر ما يبرهن على شـدة اهتمـام (الانتلجنسـيا) العربية بالمشكل اللغوي التعبيري ، وعميق وعيهـا لخطورة هذا المشكل ، ومـا لـه مـن انعكاسات على المستقبل القومي والحضاري للامة العربية ، واتصال متين بالاسس الرئيسية التي ينهض عليها بناء القومية العربية والحركـة التوحيديـة العربيـة ؛ ومن ذلك ما اعلن عنه المؤتمر من ان توصياته ترمي الى «.. بناء جيل عربي واع مستنير ، يؤمن بالله وبالوطن الاكبر ويثق بنفسه وامته ويستهدف المثل العليا في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويستمسك بمباديء الحـق والخير ، ويملك ارادة النضال المشترك واسبـاب القوة والعمل الايجابي متسلحا بالعلم والخلق لتثبيت مكانة الامة العربية المجيدة ، وتامين حقها في الحريـة والامن والحياة الكريمة (2) .... »

والواقـع اننا اذا ما راجعنـا مراحـل نشاط المجامع العربية القائمة والمندرسة ، واستذكرنا مـا تزخر به سجلاتها ومستنداتها ومحاضرها واضباراتها من اقوال وتاكيدات في هذا الشأن ، واسترجعنـا اصداء الندوات والمحاضرات والمحاورات التي كانت قوام جانب هام مـن جوانب نشاط هذه المجامـع

---

1) ديباجة المقررات المتخذة في نهاية المؤتمر المنعقد بدمشـق

2) مقدمة القـرارات التـي احتضنهـا المؤتمـر الملتئم بالربـاط .

وغيرها ، امكننا ان نتصور جيدا مدى الاهمية التي يكتسيها موضوع اللغة العربية في الذهن العربي منذ أمد بعيد ، ومقدار ما يخلقه هذا الموضوع في الاوساط المتعلمة بالعالم العربي من اهتمامات وما يثيره من احاسيس وانفعالات .

وليس من شك في ان هذا القدر من الوعي اللغوي الذي اجتاح الاقطار العربية في العقود الاخيرة، كان له تاثير بعيد على حياة اللسان العربي في حاضره ومستقبله ، ولا شك ايضا ان هذا التاثير قد اتخذ بالفعل مظاهر جدية اساسية ساهمت بكيفية فعالة في تطوير العربية الحديثة وتفسيح آفاقها التعبيرية المختلفة وتوسيع المجال المعنوي الذي تمتد عليه توسيعا هاما وايجابيا ، وقد امتد هذا التطور بالفعل على ميدانين رئيسيين :

1) ميدان اللفظة كوحدة تعبيرية مستقلة حيث تم توليد العديد من المفردات اللغوية المختلفة عن طريق الاعتماد على الاشتقاق والنحت والتعريب والتجديد المعنوي وغير ذلك ، واصبحت هذه المفردات بما تتخذه من صور متعددة وما تعبر عنه من مفاهيم جديدة جية عامل اغناء عظيم للغة العربية المعاصرة واساس تركيز قوي لحيويتها وقدرتها على مواجهة التحديات اللغوية العالمية المعاصرة .

2) ميدان الطرق المتبعة في التاليف بين المفردات وما تضمه الجمل المنبثقة عن هذا التاليف من فنون مستحدثة في التعبير واساليب جديدة في مناهج الكلام .

ان الاشواط التي قطعها النشاط الاصلاحي اللغوي بهذا الاعتبار تكتسي بالفعل اهمية بالغة ، ومقارنة بسيطة بين الفنون التعبيرية اللفظية بالعالم العربي في مطلع هذا القرن وبين المستوى الذي بلغته الآن تكفي لاثبات ذلك وتاكيد مدلوله تاكيدا مطلقا .

غير ان هذا التطور – على الرغم مما يكتسيه من اهمية – لم يحل – كما هو ملحوظ – دون وجود المشكلة اللغوية العربية على العموم ، وزيادة تشعب بعض الجوانب من هذه المشكلة وتضاعف عناصر التعقيد فيها سواء على الصعيد الاكاديمي النظري البحث او في المجال التطبيقي العملي ، بل ان هناك من الظواهر ما يجيز التاكيد بان المجهودات الاصلاحية اللغوية التي بذلت في العقود الاخيرة قد كان لها – بقدر ما اتاحته من نتائج طيبة حميدة – اثر بالغ في بروز كثير من المشاكل المعقدة التي اخذت تشكل بالفعل عرقلة نسبية في طريق التطور النهائي المنشود للغة العربية الحديثة ، لقد كانت المشكلة اللغوية العربية في بداية وجودها مشكلة قصور ظاهري في التعبير ، ونقص ملحوظ في الاداء ، ولم يكن هذا القصور وذلك النقص الا مظهرا جزئيا لما كان يخيم على جونا الفكري والحضاري منذ الغزو التتري من تخلف وتدهور بالغين ، ولذلك فقد كانت المشكلة اللغوية عندنا مشكلة طبيعية ذات اسباب معقولة ونتائج منطقية محتومة ، وكان السبيل الى حلها بالطبع هو سبيل العرب الى حل المشكلة الحضارية العامة التي تواجههم باستمرار والتي هي وليدة التفاوت الكبير بين مطامحهم في استرداد المجد الغابر وبين حقائق الحياة الحضارية المعاصرة .

لقد كان هناك مجال واضح اذن لحل هذه المشكلة ، وهو العمل على تطعيم اللسان العربي بعناصر تجديدية ملائمة وتطويعه لمقتضيات التعبير عن واقع الحياة الصناعية والعلمية والتيكنولوجية والفكرية الحديثة ، واستغلال الامكانيات الذاتية التي تتوافر له في هذا المقام كالاعتماد على اساليب الترجمة والتعريب بمختلف مناهجهما وصورهما العديدة المتنوعة ، لقد كان من الممكن كما لايزال الآن تصور المشكلة والحلول المقدرة لها على هذا الاساس البسيط من الناحية النظرية المبدئية ، غير ان طبيعة التطور الذي آل اليه حل هذه المشكلة ، وحقيقة الظروف الفكرية والتاريخية التي تم فيها هذا التطور قد ساهم كل ذلك في تعديل نتائج هذه التقديرات ؛ وافضى بقضية الاصلاح اللغوي الى مجالات فيها من التشعب والتعقيد قدر كبير ، وهذا التشعب هو الذي يجب ان ياخذ من اهتمام الراي العام اللغوي في البلاد العربية ، وذلك بعناية توازي في اهميتها مايبذل من جهود في سبيل توليد الالفاظ والمصطلحات ، وما يتوافر من حرص على ابتداع اشكالها واستحداث صورها المختلفة المتعددة .

أما المظهر الذي يتجلى فيه هذا التشعب فيبدو في تعدد صور المصطلحات الحديثة بالعالم العربي ، وتكاثر انواعها واصنافها المتكررة المتنافرة ، وتباين مصادرها ومآخذها الخاصة والعامة ، واختلاف

مستوياتها القيمية والاعتبارية ، وتفاوت درجات حظوظها في الذيوع والانتشار ، هذا الصنف من المصطلحات التي تتكاثر عدا ، وتزداد اختلافا وتنافرا، هذه المصطلحات قد اصبحت هي نفسها من بين العوامل الاساسية التي تسهم احيانا في زيادة تعقيد المشكلة اللغوية العامة في العالم العربي ، وتحدث كثيرا من عناصر الارتباك للمعنيين بحل هذه المشكلة وتصفية جوانبها المعقدة المستعصية ، وتتجلى مظاهر هذا التعقيد والارتباك فيما يلي :

1) توافر اعداد من الاصطلاحات المترادفة التي لاتسهم — بحق — في حل المشكلة وانما تضاعف من عناصر تضخيمها وتمديدها .

2) اختلاف مناهج التوليد اللغوي وتارجحها بين الاتجاهات الى الترجمة او التعريب او ايثار العامية او التقيد بالفصحى او غير ذلك من متباين المذاهب والآراء .

3) تاقلم بعض الاستعمالات الاصطلاحية في كثير من البلاد العربية ، وانحصار دائرة شيوعها انحصارا يؤدي بها في الغالب الى ان تصبح مجرد تعبيرات محلية وخاصة ، وليست عناصر ايجابية تساهم في اغناء اللغة العربية كلغة استعمال عامة وتوسيع المجال الذي تمتد عليه بالصورة المطلوبة .

4) تباين المؤثرات الثقافية واللسانية الاجنبية عند المتصدرين للتشريع اللغوي بالعالم العربي وتغاير مناحيهم في الوضع والتعريب تبعا لتغاير اللغات الاوربية التي يتاثرون بها وما لكل ذلك من تاثير على صور الاوضاع الاصطلاحية التي يتوصلون الى ابتداعها .

5) اختلاف مستويات النشاط اللغوي في الوطن العربي ، وارتفاع نسبة هذه المستويات في نواح معينة من هذا الوطن وانخفاضها بل وانعدامها في نواح اخرى ، ومن البديهي ان من طبيعة ذلك ان يؤدي الى هذه الحالة التي ينعكس عليها قدر كبير من مظاهر الاختلاف في قيمة الاستعمالات اللغوية المتداولة — كما نلاحظ في بعض البلاد العربية — وتدني هذه الاستعمالات احيانا الى دركات مسفة .

على ان مظاهر الاضطراب على هذا النحو لاتنحصر في موضوع المفردات والكلمات وغيرها من وسائل التعبير اللفظي ، بل انه يتعدى ذلك الى ميادين اخرى تتصل بصميم اوضاع البحث العلمي والانجاز الفني والتحليل المختبري بالعالم العربي ، ومن الامثلة على ذلك : موضوع الرموز الاصطلاحية الكيمائية التي تتناقض الاتجاهات في تعريبها تناقضا كبيرا ... هذا التناقض الذي سوف لايصل الى نهايته مادام استعمال هذه الرموز في العربية لم يستقر على قواعد معينة ثابتة وما دام الكثيرون لايزالون يتارجحون في استعمالها بين الطرق الاجنبية المختلفة كالطريقة الفرنسية والطريقتين الانجليزية والالمانية وما تقتضيه اساليب هذه الطرق من اوضاع مختلفة ومتباينة .

هذا ولا يقل ميدان الفلسفة عن ميدان العلوم تاثرا بالارتباك الموجود في مناهج التوليد الاصطلاحي في العربية على اختلاف انواعه وصوره ، بل ان اللغة الصحفية نفسها يمكن ان تعتبر مجالا رحبا لملاحظة هذه الظاهرة المطردة التي تتجلى في اضطراب الاستعمالات والتعبيرات ، واقحامها على المعاني بروح اعتباطية غير مسؤولة ، ومن صور ذلك : الخلط الواقع في ترجمة اللفظة الغربية International فهي تترجم عند الكثيرين باللفظ العربي « دولي » كانها تعني النسبة الى جنس الدولة بينما هي في مفهومها الغربي تطلق على ما يمكن ان يوجد بين مجموعة من الامم Nations او الدول ، ولهذا فيبدو من الضروري ان يعنى بالتمييز بين هذه الكلمة في صيغة المفرد «دولي» ليراد بها مايقابل اللفظ الغربي étatique وبين صيغتها في الجمع لتطلق على ما يقابل اللفظ الغربي International ومع ذلك فان الترجمة العربية ستبقى قاصرة عن استيعاب المدلول الدقيق للفظ الغربي .. هذه الدقة التي يكتسبها من اشتماله على المقطع اللاتيني Inter الذي يؤدي مفهوم كلمة «بين» في العربية ، ومن البديهي ان معنى «بين» الذي ينطوي عليه هذا المقطع لاتستطيع الكلمة العربية «دولي» ان تؤديه الا بصورة ضمنية وعلى اساس الاستفادة من مفهوم السياق ، ومثل ذلك كثير من الالفاظ المماثلة كـ : Africain و Panafricain حيث تترجم كلتا الكلمتين دون تمييز بلفظ «افريقي» مع وجود الفرق الشاسع بين المعنيين ، وهكذا الشان ايضا بالنسبة للاعلام الجغرافية الاجنبية التي تتعدد صور النطق بها تعددا غريبا قل ان يوجد له مماثل في اللغات التي تضارع العربية قيمة واعتبارا ، واذا كان وراء كل ظاهرة عوامل واسباب مباشرة وغير مباشرة فان من

بين العوامل الاساسية في استمرار هذا الوضع اللغوي المضطرب انعدام وجود « سلطة » مجمعية موحدة تهيمن على مقاليد التشريع اللغوي بالعالم العربي ، ويكون لها من التاثير في هذا المجال ما يتوافر للمراجع الاكاديمية بالغرب .. هذه المراجع التي تلعب ادوارا اساسية في مجال التطور اللغوي عند الغربيين ، وتحدد لهذا لتطور مناهج منظمة وسليمة ، وانعدام وجود هذه الهياة المجمعية في الوطن العربي هو نتيجة حتمية لطبيعة الظروف التي كانت تحيط بالاقطار العربية في اوائل هذا القرن ، فقد كان معظم هذه الاقطار واقعا تحت تاثير مناطق نفوذ اجنبية معينة ولم يكن من اليسير حينئذ – واليقظة الفكرية واللغوية الحديثة في بدايتها – اقامة قواعد عملية حقيقية لتنسيق التعاون العربي في هذا الصدد ومع ذلك فقد كان هناك من الاسباب ما ساعد على ازدياد الاهتمام بقضية اللغة العربية ، وادى ذلك الى انتشار تيار محدود من الوعي اللغوي بين جمهرة المتعلمين وخاصة اولئك الذين اتيح لهم ان يعانوا المشكلة اللغوية العربية الحديثة معاناة عميقة وصحيحة ، فكان من ذلك سبيل الى قيام عدد من المجامع والهيئات تستهدف كلها العمل على معالجة اسباب القصور الظاهري في اللغة العربية الحديثة ، دون ان يكون هناك مجال لقيام مجمع عربي موحد له من الامكانيات والصلاحيات ما يمكنه من تحقيق هذه الرسالة في اطار اكثر شمولا ، واحكم تنظيما وابعد مدى . ولا جرم ان مسير الحركة الاصلاحية اللغوية بالعالم العربي في هذا السبيل غير الموحد لم يكن من شانه ان يسهم في تيسير عوامل النجاح السريع لهذه الحركة ويفضي بها الى النتائج الايجابية الحاسمة التي تتوخى منها ؛ وكان من الطبيعي ان تفضي حالة من هذا النوع الى احداث بعض التعقيدات المزمنة التي لا تزال – بحق – في صميم المشكلة الاصطلاحية القائمة بالعالم العربي ، والتي تشكل – في الواقع – عامل استمرار لوجود هذه المشكلة وعنصر امتداد لآثارها ومفاعيلها ، ومن بين هذه التعقيدات :

1) انعزال المجامع بعضها عن بعض من ناحية واتساع الهوة بينها وبين الجماهير من ناحية اخرى.

2) ازدهار بوادر الاجتهاد اللغوي الفردي وتوافر المزيد من المصطلحات الفردية المرتجلة الموضوعة بمنأى عن رقابة المجامع وموافقتها .

3) تعذر القيام بانجازات اكاديمية اصيلة كاصدار المعاجم والموسوعات الوافية الدقيقة ، وتعدد المحاولات الخاصة المنعزلة للقيام ببعض الاشياء من هذا القبيل .

وعلى الرغم من التطورات السياسية التي عرفها العالم العربي في اعقاب الحربين العالميتين والتي ادت بالفعل الى استقلال كثير من الاقطار العربية وقيام نظام الجامعة العربية وانفتاح آفاق جديدة للتعاون العربي المنظم في مختلف المجالات ، بالرغم عن كل ذلك فقد استمرت مشكلة « التشريع اللغوي » بالعالم العربي قائمة بكل ما تنطوي عليه من تشعب وتعقيد ، ولم يتح للمجامع القائمة في مصر وسوريا والعراق ان تعثر على اساس معقول يمكنها من تنظيم مناهج واساليب هذا التشريع وييسر لها توحيد وسائله واسبابه ، ولعل من اسباب ذلك : 1) طغيان المؤثرات السياسية والمذهبية على العلاقات العامة بين بعض الدول العربية. 2) محدودية الاهتمام بالمشكلة اللغوية في دوائر مخصوصة ومعينة وانصراف الراي العام العربي بمعناه الواسع عن الاكتراث لها باعتبارها من مشاكله الحيوية 3) توافر المصاعب المادية في وجه القائمين على المجامع ، وما يجوز ان يكون لذلك من تاثير على ما يمكن أن تبذله هذه الهيئات من نشاط علمي أو تحققه من تطور تنظيمي او تقاربي .

على انه بالرغم عن هذه العراقيل والمثبطات فقد عرفت المشكلة اللغوية العربية في اواخر سنة 1956 تطورا هاما كان من المفروض ان يكون خطوة حاسمة نحو التخفيف من حدة هذه المشكلة وتهيء الظروف اللازمة لتحقيق وحدة التشريع اللغوي بالبلاد العربية ، ذلك عندما تم انعقاد مؤتمر المجامع العربية بدمشق وتحقق لهذا المؤتمر النجاح في الاعلان عن قيام وحدة عملية منظمة بين الهيئات اللغوية في الجناح الشرقي من العالم العربي .

والواقع ان المؤتمر لم يكن العامل الوحيد في اذكاء الشعور بضرورة انجاز هذه الوحدة ، بل ان هذا الشعور كان على اشد مايكون قوة وعمقا في اذهان المعنيين بالشؤون اللغوية في العالم العربي على قلة اعدادهم ومحدودية النطاق الذي يعملون فيه ، وقد كان الكثير من هؤلاء المعنيين منتدبين لعضوية المؤتمر ، ولهذا كان من الضروري ان يحتضنوا – في

المقررات التي تبنوها ــ الدعوة الى تاسيس اتحـاد للمجامع اللغوية العلمية تحت اشراف الامانة العامة للجامعة العربية ، وبتعاون مـع وزارات المعـارف في البلاد العربية ، على ان يكـون من اولـى اهتماماته الحرص على توحيد المصطلحات الحديثـة في البـلاد العربية وضبط القواعـد والاصول التـي يتـم على اساسها وضع هذه المصطلحات .

وعلى الرغم من ان هذه المقررات لن تفضـي بالفعل الى نتائج ايجابية فان مجـرد الاتفـاق حولها كان بادرة تاكيد لشعور الاوساط اللغوية العـربيـة بحقيقة المشكلة الاصطلاحية القائمة وضرورة انتهاج سبيل التعاون والتناسق لتقليص ظل هذه المشكلـة والحد من امتدادها واستمرارها .

وانعقد مؤتمر التعريب بالرباط بعـد انقضـاء نحو اربع سنين ونصف على انعقـاد مؤتمر دمشق ، وتمخض هذا المؤتمر الجديد عن مقررات كثيرة يمكن ان يعد الكثير منها ترديدا لاصداء المقررات المتخذة في العاصمة السورية سابقا . وكـان من ابرز مـا في هذه القرارات الدعوة الى توحيد ميادين النشـاط اللغوي في مختلف البلاد العربية والاعلان ــ في نفس الوقت عن جملة من التدابير والاجراءات التنظيميـة التي تعيـن اتخاذها لتوفير ظروف هذا التوحيـد وتيـسير اسبابه وعوامله في جميع انحاء الوطن العربي، ومن ابرز هذه التدابيـر :

1) اعتبار المؤتمـر هياة دائمـة .

2) انشاء مكتب دائم بالمغرب تمثل فيه جميع البلاد العربية ويقوم تحت اشراف الجامعة العربيـة بتنسيق الاتصال بين المؤتمر وبين المجامع اللغويـة القائمـة .

3) تاسيس شعبة وطنية للتعريب في كل قطر عربي تقوم بربط الصلة بين ذلك القطر وبيـن المكتب الدائم للمؤتمر وتزود هذا المكتب بزبدة نتائج النشاط اللغـوي بالقطر الذي توجـد فيـه .

ويبقى علينا الان ان نتساءل : الى اي حد يمكن ان تسهم هذه التدابير في حل مشكلة الوضع اللغوي بالبلاد العربية ؟ وما هي طبيعة هذا الحل ؟ والابعاد التي يمتد عليها ؟

اننا اذا حللنا العناصر الاساسية التي تتشكل منها هذه التدابير ، فاننا نلاحظ ــ بحق ــ انها تبدو من الدقة والضبط بمكان كبير ، لكننا مـع ذلـك لا نستطيع ان نجد فيها ما يفي بحل العنصر الرئيسـي في المشكلة اللغوية القائمة ذلك الذي يتجلى في اضطراب نتائج الاجتهاد اللغوي بالعالم العربي واختلاف الاصول التي تنطلق عليها بوادر هذا الاجتهاد في كـل قطـر عربي ، فهذا الارتباك في الاتجاهات وهذه الفوضوية في النتائج هما من بين العوامل الاساسية في استمـرار وجود المشكلة اللغوية القائمة وتضاعف عناصر ازمانها وتلبكها ، فالمجامع العربية مثلا تبذل من النشـاط في وضع المصطلحات واقرار الاستعمالات ما يمكن ان يعد على جانب كبير من الاهمية والاعتبار ، اما الكتاب والمؤلفون والمترجمون الخواص فانهم ما فتئوا منـذ بعيد ينفقون من الاوقات والجهود قـدرا كبيـرا في سبيل التغلب على الصعوبات اللغوية التي تعترضهم ، وتذليل هذه الصعوبات عن طريق اللجوء الى الاجتهاد الفردي احيانا في استحداث الالفاظ المناسبة ، وتوليد المصطلحات العلمية او الفنية الملائمـة وغير ذلك مما تقتضيه الضرورات التعبيرية الملحة ، وسـواء كـان الامر بالنسبة الى رجال المجامع الرسمية او بالنسبة الى الكتاب والمؤلفيـن اطلاقا فـان هؤلاء جميعـا ينطلقون في ابتداع الاوضاع اللغوية الجديدة طبقـا لمقاييس معينة يعتمدها كـل منهم كاساس وسنـد ودليل وهذه المقاييـس قد تكـون مشاعة متداولـة ، وحينئذ يبدو انه من اليسيـر استخدامها لوضـع اصطلاحات جديدة ومقبولة تحظى بموافقة الكثيـر من المراقبين ، وتتوافر لها ظروف الانتشار بين جمهرة المتعلمين وعامة الناس احيانا ولكن هناك حالات اخرى يجد فيها اللغويون انفسهم مضطرين الى الاعتماد على مقاييس اصطلاحية خاصة ، قد لا تكون موضـوع اتفاق جماعي ، او بالاقل ، لم تستكمل ضروريـات البحث في صلاحيتها وملاءمتها ، وبالتالي لم يتـم اقرار الراي حولها بصورة عملية حاسمة ، هـذا الصنف من المقاييس قد يقدم على اعتمادها بعـض المجامع دون الاخرى ، وقد يلجا اليها بعض الكتـاب والمترجمين الخواص ، اما لانهم قد استساغوها مـن الناحية المبدئية او لوجودهـم تحت تاثير الحاجـة الشديدة اليها من ناحية او اخـرى ، ومن البديهـي ان الاصطلاحات التي توضـع على اساس هذه المقاييس تصبح موضوع الكثير من المؤاخذات المتعـددة ، بـل ومثار الجدل والنقاش الكثير في بعض الاحيان ، وقد

يستطيب البعض هذه الاصطلاحات فيتبنوها مضمنينها كتاباتهم وتدويناتهم ويشيح عنها آخرون فينصرفوا الى البحث عن بديل لها اكثر ملاءمة للمعايير التي يعتمدونها والمفاهيم والمبادىء التي يحتضنونها ، وفي هذه الحالة او تلك يزداد رصيد التناقض الاصطلاحي في المدونات العلمية والفنية العربية ، ويزداد ضخامة واتساعا ، وتزداد بالتالي عوامل عجز المجامع العربية ـ ولو مع توحيد نشاطها كما اعلن عنه في مؤتمري دمشق والرباط ـ عن التخفيف من حدة هذا التناقض والقضاء على مظاهره واسبابه .

ان الوسائل التي تتذرع بها المنظمات والهيئات اللغوية في معالجة مثل هذه الحالة هي القيام بعمليات « غربلة » وانتقاء لنتائج النشاط اللغوي المبذول في مختلف الجهات والانحاء ، واقرار البعض من هذه النتائج على اساس انها تستجيب للمقتضيات المنشودة ، ونبذ البعض الآخر بحجة انه لا يفي بهذه المقتضيات ، وهذه الوسائل الكلاسيكية التي يبدو ان الاهتمام بها لا يزال شديدا على اساس احاطتها باطار محكم من التنظيم والاحكام ، هذه الوسائل ـ وسائل الغربلة والانتقاء لا تحول في الواقع دون ازدياد بوادر الاجتهاد الفردي غير المتقيد ـ اساس الكثير من مظاهر الاضطراب في الاوضاع الاصطلاحية الحالية ـ ولا تستطيع ان تصد المصطلحات المولدة على قاعدة هذا الاجتهاد ـ عن الانتشار احيانا ولو استنكفت عن تقبلها الهيئات الاكاديمية القائمة ، وذلك بالذات هو مصدر استمرار المشكلة ، وامتداد آثارها امتدادا لا يعروه توقف او انقطاع ، والعناية بمعالجة المشكلة على هذا الاساس يتعين بالضرورة ان تكون من اسس الرسالة المنوطة بالاجهزة التنظيمية والتوجيهية التي يفترض ان تنبثق عن مؤتمر الرباط ، فالمفهوم الصحيح للمهمة الملقاة على هذه الاجهزة ـ اذا اريد لها ان تكون ذات نتائج ايجابية بناءة ـ يقتضي من المسؤولين عنها الاهتمام لا بمراقبة النشاط الاصطلاحي بالعالم العربي وغربلة النتائج الناجمة عنه فقط ، بل بالعمل ايضا على اصطناع اساس مبدئي صحيح لتوحيد المقاييس والمعايير التي يقوم على اساسها هذا النشاط ، وبلورتها في اشكال نهائية حاسمة تضمن سلامة وعمومية الاصول التي تتحكم في توجيهه ، وذلك ما من شأنه ان يساعد المنظمات التوحيدية المحتملة على تحديد نطاق الاتجاه الى التحرر في بوادر النشاط الاصطلاحي على اختلاف مناحيه ويجنبها الاضطرار الى الكثير من الغربلة والاصطفاء التي تكلف الكثير من المتاعب والجهود ، والتي لا تفضي في الغالب الا الى استمرار المشكلة ودوام استشراء مضاعفاتها .

ان مشكلة المقاييس الاصطلاحية هذه تنطوي بالفعل على كثير من التفرعات والامتدادات ، وتعكس العديد من النقط المبدئية والمنهجية التي يمكن أن يكون الاتفاق حولها اساسا لتوحيد الاصول الرئيسية في مشكلة التشريع اللغوي ، وبالنتيجة تضييق دائرة التناقض الذي يشكل جانبا هاما من جوانب هذه المشكلة ومن بين هذه النقط مثلا :

1) تقريب الاتجاهات المتناقضة احيانا حول موضوع الترجمة والتعريب ، والى اي مدى يجب الاستناد الى كل منهما ، ثم استخلاص راي عام مشترك يستوعب القواعد العملية الايجابية الكفيلة باقرار وحدة مبدئية وعملية حول هذا الموضوع .

2) الانتهاء الى قواعد معقولة ومشتركة حول موضوع اللهجات العامية ، والدور الذي يجب أن تسهم به في توفير مواد الاصطلاح والوضع اللغوي الفصيح بشكل طبيعي وسليم .

3) اقرار موقف اساسي مشاع من المشاكل النظرية والتطبيقية التي تثيرها الاتجاهات المتحررة في اساليب الوضع اللغوي ووسائله .. هذه الاتجاهات التي تقوم اساسا على مراعاة ما في اللغات الغربية الحديثة من امكانيات توليدية وتركيبية عديدة ومحاولة اصطناع قواعد لغوية متحررة من صميم اللسان العربي تمكن من تقليد هذه الامكانيات والاستفادة من كل ذلك في تزويد العربية بالدقيق من المصطلحات الفنية والعلمية الملائمة ، ومن امثلة ذلك :

استخراج بعض المقاطع المعينة من اصلاب الكلمات العربية كـ (بع) من (بعد) و (صو) من (صوت) و (بي) من (بين) وهكذا ، والتاليف بين هذه المقاطع على شكل يمكن من توليد مصطلحات جديدة لها من الدلالة ما يوازي مثيلاتها في اللغات الغربية الحديثة: inter. phone. télé

4) تحديد اسس ضرورية وقارة لبوادر الترجمة والتعريب وما يتصل بهما ، واقصاء عوامل التناقض الموجود في صيغ واشكال المصطلحات والمعربات والناشىء عن اختلاف الصور اللفظية والتركيبية في اللغات الغربية السائدة بالعالم العربي وتباين انواع التأثير الذي تحدثه هذه اللغات على اذهان واذواق المتصدين لشؤون الترجمة والتعريب من العلماء العرب .

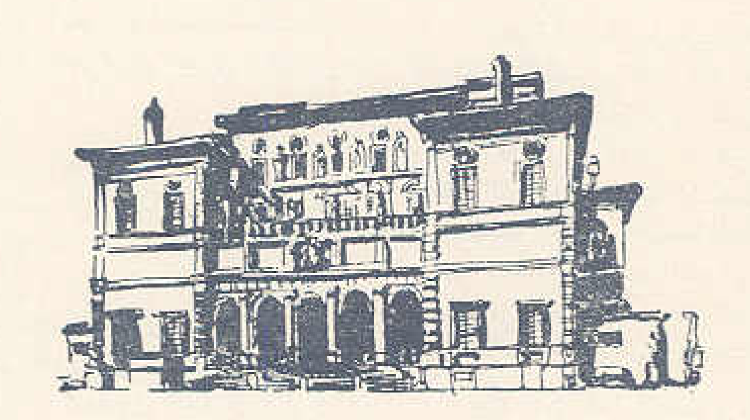
ومن البديهي ان توحيد الاتجاهات حول مبادىء معينة كهذه واستخلاص مفاهيم ومقاييس عامة ومشتركة للتعريب منبثقة عن هذه المبادىء ومنسجمة مع طبيعة المناهج والتخطيطات المتاصلة عنها ، من الطبيعي ان يسهم كل ذلك في اختزال التعقيدات الناشئة عن تعدد مصادر الاجتهاد الاصطلاحي في العالم العربي ، هذه التعقيدات التي ما التام مؤتمر التعريب بالرباط ومؤتمر دمشق من قبله الا ليضطلعا بمحاولة البحث عن وسائل حلها واساليب تكثيفها وتصفيتها .

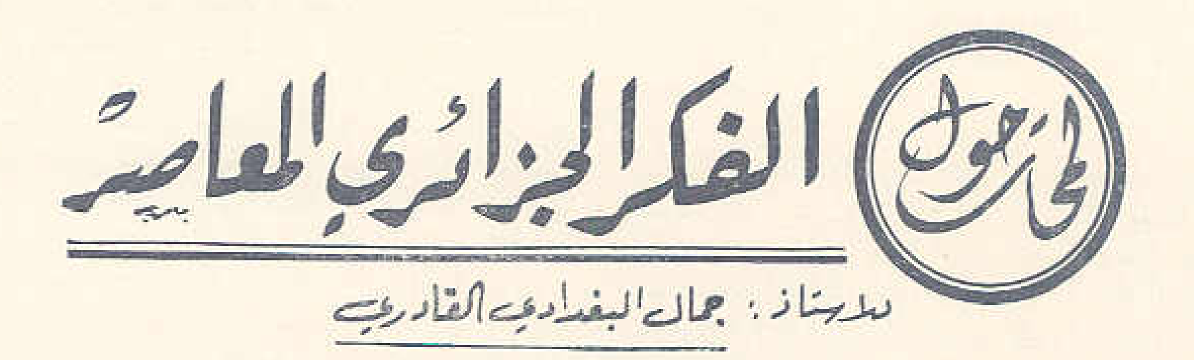
وقد عني مؤتمر دمشق — كما تعكسه المقررات المنبثقة عنه — عني بابراز هذه الحقيقة فطالب في الفقرة الثالثة من توصياته المتعلقة بنظام المصطلحات العلمية ، طالب ب « جمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب وقياسية بعض الاوزان والجموع في كتاب تطبعه الجامعة العربية ليكون دستورا فيما يوضع او يحقق من مصطلحات .. »

وهذه التوصيات وان كانت قاصرة عن تفصيل القول حول القواعد والشروح المذكورة ، وهل هي من الشمول والدقة بحيث تستجيب لكل المشاكل الحالية الناشئة عن عمليات التعريب على اختلاف مناحيه ، وهل هي على مستوى تصلح معه ان تكون « دستورا » اساسيا لتنوير العربية واعطائها صفتها العلمية والفنية الدقيقة في العصر الحاضر ، هذه التوصيات ، وهذه القواعد والشروح بالرغم عن ذلك فانه يمكن ان يعتبر اقرارها بصورة علنية رسمية اساسا مبدئيا لتوحيد العمل الاصطلاحي بالعالم العربي وخطوة هامة وضرورية في طريق التغلب على المشاكل التي تسترض نجاح هذا العمل من فاعليته وجدواه .

واذا كانت المقررات التي تبناها مؤتمر التعريب بالرباط لم تنطو — بالفعل — على توصيات علنية من هذا القبيل فان الرسالة الهامة التي تضطلع بها المؤسسات المحتملة التي تتفرع عنه : رسالة التنظيم والتوحيد ، هذه الرسالة تفرض بطبيعة وجودها — ولا شك — الاتجاه الى ايجاد اساس اعمق وادق لتطبيق مقتضيات ومستلزمات هذه التوصيات وبالنتيجة توحيد المقاييس والقواعد الاصطلاحية في الوطن العربي والتوفر على دستور شامل للترجمة والتعريب يضمن عناصر النمو المتزن المتكامل للعربية الحديثة ويوفر لها عوامل القدرة على اتمام مظاهر هذا النمو واستكمال شروطه واسبابه .

وبذلك سيصبح مؤتمر التعريب بالرباط مظهر امتداد خير وبناء لمؤتمر المجامع العربية بدمشق ، ويغدو من الممكن حينئذ ملاحظة جانب من جوانب التواصل والتلاحق والاستمرار في مراحل التطور العام للامة العربية ، وفي اشواط زحفها نحو البحث والتقدم والارتقاء ، وتلك احدى مواطن الاهمية التي يكتسبها مؤتمر الرباط ، وكل ما يهم ان يبقى لهذه الاهمية ما يبررها من اعمال ومنجزات .





ان الحديث عن ادب الجزائر ، وفكر الجزائر ، حديث عن الامجاد والابطال ، واحياء لصفحات قدسية كتبت بالدم والنار قبل ان يخطها القلم ، ولا يكاد الباحث يطرقه حتى يشعر بهزة تعروه، ودهشة اكبار تتملكه فتجعله ينحني امام الارادة الصلبة ، والعبقرية الاصيلة ، والذكاء المتوقد طيلة قرن ويزيد ، دون ان تلين العزيمة او يموج الافق ، افق العروبة المؤمنة في وطن حر عزيز .

واحياء هذا التراث ، واجلاء الغبار عن المعدن الاصيل هو جزء لا يتجزا من القضية الوطنية الكبرى التي يتحملها كل عربي صادق الايمان والشعور ، وأي حديث عن الفكر الجزائري هو استمرار لمعركة التحرير ضد الغزو العقلي ، فالمعركة المادية كسبناها او نكاد ، وبقي علينا ان ننتصر ايضا في ميدان آخر لا يقل خطورة – هو ميدان الفكر الجزائري العربي المغمور والعبقرية الجزائرية المغتصبة – واذا كانت السياسة تطالب اليوم بتقرير المصير فنحن هنا ايضا نطالب عمليا بتحرير مصير الادب الجزائري العربي والفكر المغربي من ظلم المعتدين .

وقبل ان نتحدث عن الشخصية الجزائرية في مجال الفكر والادب ، يحسن ان نتساءل : متى برزت هذه الشخصية العقلية جلية ، واعية بوجودها ومحيطها ؟ او بعبارة اخرى : متى بدات النهضة الفكرية في الجزائر ؟ وعلماء الاجتماع والحضارة لا يعتبرون في هذا التحديد التقدم المادي كاول شرارة لنهضة حقيقية فلا الازدهار الاقتصادي ، او التقدم في العمران ، او في المجتمع ، تجعل بداية صالحة لعصور الاحياء ، لان النهضة تقوم اول ما تقوم حين تشعر الجماعة بوجودها اولا ، وبذاتها وبمحيطها ثانيا ، واخيرا برسالتها الاخلاقية فالشرط الاول نفسي ثم يليه شرط اجتماعي فاخلاقي فلسفي ، وهذا غاية النضج والادراك ، وهذه العناصر متماسكة اشد التماسك ، فاذا انفصمت حلقة امتنع التقدم الحضاري ، وبقيت الظلماء حالكة ، والتقهقر شاملا ، واذا طبقنا هذه القاعدة على واقع الجزائر وجدنا ان اول بداية صحيحة قد حصلت سنة 1931 حينما نهض رجل عملاق في الجزائر ليبذر الشعور بالوجود الجزائري ، وليرفع راية الجهاد الاكبر على العدو الاكبر ، نعم استطاع عبد الحميد بن باديس ان يثير الحماس ويهز الناس ، ويجعلهم يتفهمون رسالتهم وواجبهم ، وذلك في كلمات ثلاث تلخص فلسفة اول مصلح جزائري وابي نهضتها الحديثة ، هذا الثالوث : هو العروبة والاسلام والجزائر، والعروبة كامنة في اللغة العربية والاسلام هو مضمون دستورها الاخلاقي والفلسفي ، والجزائر هي الارض المحتلة التي يجب أن تطهر من رجس المستعمر الظالم .

فدعوة ابن باديس هي دعوة نفسية جاءت تتحدى الاحتلال الغاشم والذي كاد يقضي على المقومات الاصيلة للشعب الجزائري فحرف لسانه وشوه تاريخه وفصله عن الوطن الاكبر ، وطن العالم العربي الفسيح ، وهذه النهضة النفسية تشكلت وتجسمت في صورة هيأة علمية منظمة واضحة المبدأ ، سديدة الخطى ، هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد سعت لنهوض الامة بالرجوع بها الى عقيدتها المصفاة والى تاريخها المجيد لاصلاح حاضرها ومستقبلها .

ولما كان هذا الاصلاح الجديد دعوة الى تزكية النفوس ، وتطهير العقيدة ، وتهذيب الناشئة ، وتكوين الاسرة الصالحة كاساس لرفع مستوى المجتمع اخلاقيا وفكريا واقتصاديا ، امكن الحكم عليه بانه بداية

النهضة الجزائرية ، واشراق فجرها الصادق ، وقد تكونت جماعة مؤمنة التفت حول ابن باديس ثم حول الشيخ البشير الابراهيمي ، واستطاعت هذه الجماعة العاملة في سبيل الله والوطن ان تضع بعض الاسس الصالحة للانطلاق الكبير الذي نرى ثماره اليوم .

وقد يلحق بهذه المرحلة الاعدادية مفكر آخر يمثل هذا الاتجاه الفلسفي الديني وهو الكاتب المبدع مالك ابن نبي ، هذا المفكر الخلاق صاحب مفاهيم اسلامية عميقة تعتمد على معطيات العلم الحديث، وربط الاسلام بالركب الحضاري العام ، ويعتبر مالك بن نبي حجة التفكير الصادق للاسلام في الجزائر ، وفيلسوفها الرسمي ، وبانتاجه الغزير استطاع ان يفرض على المجتمع العربي مكانة الفكر الجزائري العميق .

ولكن عبقرية الشخصية الجزائرية ادركت ـ وسرعان ـ ما ادركت ان النهضة الفكرية قد لا تكفي وحدها في بناء حرية الوطن وحرمته بين الحضارات الحية ، بل ان الاكتفاء بالفكر الفلسفي النظري انتحار بطيء لان العدو لم يكن من النوع العادي ، بل كان فتاكا متفننا في فنون الدمار والهلاك ، وسرعان ما غيرت الاسلحة الفكرية ، وبعد ان كانت سالمة وديعة تدعو باللين وبالتي هي احسن اصبحت ثورية قاهرة ، وفي هذه الفترة اطلعنا على فلسفة جديدة نقرؤها في جريدة « المجاهد » ونسمعها على الاثير ويتحدث بها الينا قادة الثورة الابرار ، وهي فلسفة النضال والجهاد بكل وسيلة ، وبكل الاسلحة ، واخصها بالذكر السلاح الفكري الذي اخرج هذه الجماعة المتحنكة التي اعجزت الدهاء الفرنسي وجعلت المدرسة السياسية العتيقة تتراجع امام الغزو الثابت والادراك الناضج العميق : وهذا هو الفكر الجزائري الجديد ، وثمراته الحية الناطقة هي هذه الثورة المباركة التي لم تعد ثورة طبقة من المفكرين ، وانما تغلغلت في اعماق الشعب وجعلت كل فرد منه جنديا متحمسا واعيا لقضيته ،مستميتا في سبيله .

فالخطوط العريضة اذن للفكر الجزائري انه فكر عقائدي يؤمن بالله وحده ، ولا يكاد يفصل بين مفهوم العروبة ومفهوم الدين ، ولعله كان سباقا للدعوة الى هذه الازدواجية العميقة ويعتبر تقدميا اذا ما قارناه بما يجري في الشرق على لسان كثير من كتابها هنالك، والذين يحاولون ابعاد الدين عن المفهوم القومي .

والفكر الجزائري فكر مثالي لانه يؤمن بالاخلاق وبالسلوك الاسلامي العربي ، ومن يشذ عنه او يحيد لا يستطيع التجاوب مع الشعب المطبوع بالبيئة العربية الصحيحة ـ واخيرا فان الفكر الجزائري ثوري نضالي لا يدهشه الجانب النظري اللفظي من اي فلسفة ، وانما تراه يربط بين الفكرة وتطبيقها وتركيبها كما يقول المركسيون او كما يقول العربي السليم الفطرة والادراك قبل ان يولد هيجل وماركس ومن لف حولهما ، نعم انه فكر متطور ، حي ، ومن كانت صفته الحياة فسوف يبقى حيا مدى الحياة .

واذا انتقلنا من الفكر الجزائري الى الادب الجزائري فماذا ترانا نقول ؟ ان هناك سؤالا يعترضنا في اول الطريق : هل هناك ادب جزائري عربي؟ وهل هناك ادباء عرب جزائريون ؟ لقد حاولت فرنسا ان تجيب على هذا زاعمة ان الادب الجزائري العربي لا وجود له ، وان الموجود هو ادب جزائري فرنسي، وهذا لا يكاد ينفصل عن الادب الفرنسي العام ما دام فرنسي اللسان ، انها فرية الاستعمار كما ترون ، فما اكبرها كذبة ، وما اقبحها فرية على الواقع وعلى ادبائنا الخالصين في عروبتهم وفي انفسهم وفي عواطفهم وفي آدابهم ، واذا كان اللسان قد يستثقل بعض النطق العربي فالقلب والروح صادقان في العروبة .

ومشكلة الادب الجزائري الحاضر انه واقع في انفصالية محرجة ، ولكنها ليست في الخطورة التي يصورها لنا الاستعمار ، وقد نستطيع ملاحظة ما ياتي:

1 ـ ان هذا الانتاج في الادب العام سواء كان بالعربية او بالفرنسية موحد المضمون متشابه العواطف متماثل الانفعالات ، وان اختلف اللفظ .

2 ـ يلاحظ كل من قرا قصة للكتاب الجزائريين ذوي التعبير الفرنسي امثال محمد ديب وكاتب ياسين ومولود معمري الخ ، ان هناك غرابة وسوء جوار بين الاسلوب وبين حوادث القصة او عاطفة القصيدة ... لان هذه العواطف وهذه الاخيلة خلقت لكي يعبر عنها باللغة العربية ، وابرازها بمنطق فرنسي يجعل اللفظ متضاربا مع صميم القصة وخاصة اذا كانت مرتبطة بالمجتمع العربي الجزائري ... ولست انا الذي اقول هذا ، بل استمعوا الى الشاعر الجزائري مالك حداد حينما يقول : « انا ارطن ولا اتكلم ... ان في لغتي لكنة، انني معقود اللسان ... انا لا اغني ... لا اغني ... فلو كنت اعرف الغناء لقلت شعراً عربيا ... »

نعم ، ان الادب الجزائري الصميم لا يؤدي الا بالعربية، واذا ادى بغير العربية وقع الاديب في ازدواجية شخصية ، وفقدت القصة او القصيد حياتها ، لانه يسمى اذ ذاك ادبا مترجما لا ادبا مباشرا . لقد كان حداد الشاعر هذا ينادي والدته في طفولته بـ (ماما) ولكن تراه في شعره يناديها (ma mère) فما اكبر التشويه وما ابشع التحريف لمجتمعنا العربي — اذكر ان الاستاذ الدروبي استاذ علم النفس بجامعة دمشق حدثني طويلا عن هذا المشكل بمناسبة ترجمته لقصة محمد ديب (الدار الكبيرة) فقد قال لي ما معناه : انني لا ارد الى الاثر شيئا مما كان يمكن ان يكون له من صدى لو كتب بالعربية وانما هو يفقد مزيدا من ذلك الرواء ، فالاثر قد ضاع منه شيئا مرتين : مرة حين كتب بالفرنسية ، ومرة حين ترجم عن الفرنسية » .

وخلاصة القول اننا نعتقد ان هنالك ادبا جزائريا واحدا عبر عنه بالعربية تارة ، وبالفرنسية اخرى ، وهذا الادب شديد التماسك ، لانه عاش واقعا واحدا ، ويعبر عن بيئة عربية مشتركة . وميزة هذا الادب الجزائري العربي ذو اللفظ الفرنسي ، انه ادب اصيل ليس للتقليد فيه نصيب كبير ، وانه ادب يخرج من النطاق المحلي الضيق ، اذ بالرغم من اتصاله بالبيئة الجزائرية فقد استطاع الارتفاع الى مستوى النفس الانسانية المعذبة والتي تكافح في سبيل الكرامة والعزة، وهذا الادب ذاتي نلمس فيه روح الكاتب او الشاعر..

واذا اردنا ان نتحدث عن الوجه الآخر للادب الجزائري اي ما كتب منه بالعربية اعترضنا من اول الطريق صعوبات جمة تجعل الباحث المنقب لا يكاد يتوصل الى حكم قاطع ولا الى خطوة شاملة ، والاسباب كثيرة منها ان هذه الذخيرة الادبية مبعثرة في الصحف والمجلات واكثرها غير مطبوع ولا معروف — ثانيا — لا يمكن الحكم على هذا الادب ما لم نطلع على ادب الثورة لانه اهم جانب فيه ، وهذا الانتاج لم يخرج منه الى الوجود الا القليل النادر ، والسجل الوحيد الذي يجوز الاعتماد عليه من اجل دراسة ادبية هو مجلة البصائر، وهذا الادب يتعلق بفترة ما قبل الثورة ، وكنت اود القيام بنواة دراسة حول ادباء البصائر على اعتبار انها تمثل مدرسة خاصة ، ولكن مع الاسف لم اتمكن من الحصول الا على مجلد سنة واحدة وهو محفوظ في المكتبة العامة بالرباط ، ومن هذه القلة القليلة امكن لي التوصل الى بعض هذه الخطوط العريضة التي تميز ادباء البصائر في مرحلة ما قبل الثورة ، وهؤلاء الادباء هم ثلاث فيئات : اولا — الشعراء : كمحمد العيد وسحنون ، والادباء : الفلاسفة : كاحمد رضا حوحو ، وادباء المنابر : كالشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العربي التبسي ، وسواء كان هذا الادب شعرا او نثرا ، فانه يتميز بما ياتي :

اولا : ان هذا الادب تقليدي محافظ يردد نغمة العرب القدماء ولم تظهر الجدة فيه ، سواء في الاسلوب او في الاخيلة .

ثانيا : يتميز هذا الادب بانه ليس ادبا ذاتيا يعبر عن نفسية الاديب ، بل نراه يطرق المواضيع الخارجية والاجتماعية ، ولذلك فهو ادب اجتماعي.

ثالثا : لمواضيع الوعظ والارشاد والاخلاقيات الحظ الاوفر ، فهو ادب ديني اخلاقي .

وهذه السمات الثلاث اي هذا الاتجاه المحافظ الاجتماعي الاخلاقي وجود لابد منه في فترة تعتبر بمثابة الاعداد والتربية — ومدرسة البصائر تعتبر من هذه الوجهة تقدمية اذا ما علمنا انها اول مرحلة في النهضة الادبية الحديثة .

اما عن ادب الثورة فاعتقد انه الادب الحي الذي تجلت فيه تجربة الاديب لانه ادب الالم وادب الامل وهما وتران يردان ابلغ وابدع الالحان ، ولعل الشاعرين مفدي زكرياء ومحمد الخمار من هؤلاء الادباء الذين تجلت ذاتيتهم على هذه الاحاسيس الدفينة والتي تنتمي الى صميم الانتاج الادبي .

وسواء كان هذا وذاك فاننا في حاجة ماسة الى الدراسة والبحث والتنويه بالفكر العربي في المغرب العربي لانه ادب وفكر جبار جدير بالصدارة في دنيا العروبة والاسلام .

من كل ما تقدم نلمس ان حاجتنا الى الكتابة والتاليف والتنقيب امر ملح للغاية والتقصير فيه تقصير في حق العروبة واسفاف بالفكر المغربي الذي اخرج لنا ابن خلدون والشابي وطارق وابن باديس .

يليان الغماري

للأستاذ: سعيد أعراب

- 2 -

ثم عاد عقبة ادراجه الى القيروان ، وهو يجد في سيره ، وكان القدر يسوقه ، والخطر يلاحقه ، ولم يكد يصل الى تهودة بارض الزاي (بسكرة بالجزائر) حتى انقضت عليه جموع البربر اصحاب كسيلة ، يعززهم حلفاؤهم الروم ، وكان من سوء الطالع ان صرف عقبة العساكر الى القيروان ، وبقي في خف من الجند ، ولكنه – وهو البطل الشجاع – ابى الا ان ينزل الى الميدان، فرحب بالموت ، ودافع بشجاعة نادرة ، حتى قضى هو ومن معه . ويرى بعض الباحثين انه كان في استطاعة عقبة – لو انه سار ساحلا – ان يعود الى القيروان سالما ، فطريق الساحل مأمون على ما فيه من المدائن والمحارس (1) ؛ وهنا تتسرب الشكوك الى نصيحة يليان الذي اوعز اليه ان يتوجه الى البربر ، ويسلك هذا الطريق الوعر ، ومن يدري ؟ فلعله كان يعرف ان البربر يحتقون اشد الحنق على عقبة ، ويتربصون به الدوائر ، وانه لابد ان ينتقموا لاميرهم كسيلة الذي لقي على يد عقبة الوانا من الاذى ، وصنوفا من التنكيل ، وخصوصا اذا ما اوغل الجند في تلك الجهات المترامية الاطراف ، وتاهوا في جبالها وشعابها .

وكان ابو المهاجر نفسه يعرف هذا ، فلقد قال لعقبة – وهو ينصحه – ما هذا الذي صنعت ؟ كان رسول الله (ص) يستألف جبابرة العرب، وانت تعمد الى رجل جبار في قومه ، بدار عزه، حديث عهدبالكفر، فتفسد قلبه ، توثق من الرجل فاني اخاف فتكه .

ومهما يكن من امر فليس بالقائد الماهر من يستمع الى نصيحة رجل من اعدائه دون تبصر او حذر (2). وبموت عقبة انمحى كل اثر سياسي للعرب في افريقية ، وعادت السيادة للبربر من برقة الى المحيط، ثم توالت الحروب بين العرب والبربر ، تنطفىء نارها تارة ، ويشتد اوارها تارة اخرى ،ولكن يليان ظل بنجوة عن هذه الحرب وويلاتها ، وبعيدا عن كل سيطرة او نفوذ للعرب ، ذلك لان الذين اعادوا الكرة على ربوع افريقية ، واعلنوها حربا شعواء على امرائها كان هدفهم اولا ان يأخذوا بثأر عقبة ، وينتقموا من خصومه واعدائه ، ثم يعملوا على اعادة الامور الى مجاريها ، اما يليان الذي سالم عقبة وكان مواليا له ، فلا داعي لمحاربته .

وهنا يختفي شخص يليان وينسدل حجاب عميق عن هذه الفترة من حياته التي عاشها في هدوء وسلام ؛ فلا نكاد نعرف عنها لا قليلا ولا كثيرا ، ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان كتبنا التاريخية – على العموم – انما تسجل احداث الناس وآلامهم ، وتهتم بحروبهم وتقلبات احوالهم ، اما الجانب الاخر من حياتهم فلا يهمها امره لا في قليل ولا في كثير ، لهذا كانت – كتب تاريخ دول وحروب ، لا تاريخ امم وشعوب ، وهذه الناحية تعتبر نقصا كبيرا في دراساتنا التاريخية .

على ان الفتن الداخلية التي كان المغرب مسرحا لها طوال هذه المدة ، والاعاصير التي هزت اركانه ، وعصفت بكثير من مدنه وقراه – ربما نال

---

1) حسين مؤنس – فتح العرب للمغرب ص 194
2) نفس المصدر

يليان منها نصيب كبير ، او على الاقل تكون قد اصابته شرارة من شراراتها ، ولا سيما الفتنة الكبرى التي كانت على عهد الكاهنة ، والتي اتت على الاخضر واليابس ، واهلكت الحرث والنسل ، وخربت المدائن والحصون ، وكانت كما يقول ابن خلدون : (من طرابلس الى طنجة ، ظلا واحدا في قرى متصلة، فخلت اكثر البلاد) ، وكان الهجوم الاخير الذي قام به حسان على افريقية سنة 81 هـ ضربة لازب ، فكان من السهولة ان تقع افريقية كلها في قبضته ولم تعد هناك قوة تعارضه ، او تنتقص من امارته ، اذا استثنينا بعض الجهات التي لم تصل اليها يد العرب بعد كامارة يليان ، ولكن الخطر كان يهددها يوما بعد يوم ، وربما وقعت معارك بسيطة على حدود واد ملوية بين جنود حسان ، وبعض رعايا يليان ، وكان حسان قد انشأ مدينة تونس ، وجعلها ميناء حربيا ، وبنى بها اسطولا ضخما يمخر عباب البحر الابيض المتوسط ، وربما هاجم بعض سواحله .

ومن المحتمل انه في هذه الظروف المضطربة — بدا يليان يوجه عنايته الى تلك الجزيرة الجميلة ، مدينة سبتة ، فقد زاد في بنائها وتحصينها ، وبنى بها قصورا على غرار قصور طنجة .

ولا شك ان هناك اسبابا قاهرة — وان كنا نجهلها — دفعت بيليان الى ان ينقل عاصمة ملكه الى سبتة ، وينقل معها اكثر جنده ، وكل ما نستطيع ان نقول هو ان للظروف التي عاشها المغرب في آخر ايام حسان يدا في ذلك .

يضاف الى ذلك ما كان لولاية موسى بن نصير على افريقية ، والاعمال الخطيرة التي قام بها من اثر عميق في نفس يليان ، فقد كان يعرف ان العرب، وقد اصبحوا مالكين زمام افريقيا كلها ، لابد ان يحتلوا طنجة ، ويجعلوها مركزا اساسيا لهم ، وعرف ان سياسة موسى بن نصير هي غير سياسة عقبة ، وظروفه غير ظروفه ، فعليه ان يأخذ بالحيطة ، ويعد العدة ، ولكن مدينة طنجة ليس بها من الحصانة والمنعة ما لمدينة سبتة ذلك الحصن المنيع بموقعه وطبيعته ، وفعلا فما ان تحرك جيش موسى يريد المغرب الاقصى ، حتى جعل وجهه شطر طنجة ، واختار الطريق الذي مر به عقبة في السهل الساحلي، وقد ذهب توا الى تلك المدينة الذائعة الصيت عاصمة المغرب ، وتاج مفرقه منذ عهد سحيق ولكن كيف كان دخوله اليها ؟ وهل استطاع ان يبسط نفوذه على امارة يليان ؟ ذلك ما تختلف فيه الرواية اختلافا كثيرا فهناك رواية تذكر ان يليان سالم العرب، وهادن موسى بن نصير ، واتخذ نفس الاسلوب الذي قابل به عقبة بن نافع ، وهناك رواية اخرى تقول : ان بربر طنجة قاوموا العرب اشد مقاومة ، وقد اكثر فيهم موسى من السبي والقتل ، وفي النهاية اذعنوا واخذ اعيانهم رهائن لديه بطنجة ، ومن بينهم ابن يليان.

وثمة رواية ثالثة تفصل القول — وهي عندي ارجحها — فتذكر ان العرب دخلوا طنجة في حدود 88 هـ — بدون كبير مقاومة لاخلائها من اكثر الجند ، وولى عليها موسى طارق بن زياد ، وانزل بها قوة كبيرة من البربر والعرب ، وواصل طارق هجوماته على سبتة ، ولكن يليان كان له بالمرصاد ، وفي سنة 89 هـ — تقدم جيش جرار وطوق اسوارها وشدد عليها الحصار ، وتذكر بعض الروايات ان يليان اضطر ازاء هذه القوة الهائلة الى الاستنجاد بالقوط فامدوه بقوة كبيرة من البحر ، واستطاع معها ان يرفع الحصار المضروب طويلا على سبتة ، وكانت العلاقة بين يليان والقوط اقوى ما تكون في تلك الظروف ، بل منذ عهد عقبة وروابط الصداقة بين البلدين لا تزيدها الايام الا قوة ومتانة وهناك رواية تزعم انه كان بين يليان وملك القوط لذلك العهد وتيزا — مصاهرة ، ووشائج قربى من جهة الام . على ان يليان وان استفاد من هذه النجدة ، وتقوى جانبه بتلك الحملة الكبيرة فقد كانت من جهة اخرى خطرا وشؤما على اصدقائه رجال دولة القوط الذين حموا ظهره ، ذلك ان خصومهم اهتبلوها فرصة ، وثاروا في وجه الملك وتيزا المعروف عند العرب بغيطشة . وكان قائد الثورة رودريك الذي سمل وتيزا عيني ابيه ، فكانت روح الانتقام هي الحاملة له على قيادة تلك الثورة العارمة التي انتهت باستلامه لزمام الملك وتربعه على عرش القوط بعد حرب اهلية شديدة استمرت معاركها مدى حين . (1)

وقد خسر يليان في هذه الثورة اعز صديق له . وهو الملك وتيزا الذي كان له السند الاقوى يلجأ اليه عند المدلهمات ، لذا كان على يليان — وقد ضعف

1) دولة الاسلام بالاندلس — 26 — 28

جانبه ، واصبح الخطر منه على قاب قوسين او ادنى ــ ان يغير سياسته نحو العرب ، ومن مصلحته ان يسالمهم ويضع يده فى يدهم ، وفى نفس الوقت فكر يليان فى خطة الانتقام من عدوه رودريك ، ولكن الظروف كانت تفرض عليه ان يجامله ، ويظهر له جانبا من الصداقة ، فكان يغمره بين الحين والحين بالهدايا والتحف الثمينة ، وكان رودريك ينتظرها بكل تلهف ، ويتطلع اليها فى كل مناسبة حتى لقد قيل : انه لما قدم يليان على الاندلس ليلقي عليها آخر نظرة ، ويكتشف من احوالها ، وقدم لرودريك ــ على العادة ــ تحفا وهدايا طريفة ــ قال له رودريك ــ وهو يودعه : اذا قدمت علينا فاستفره لنا ، من « الشذانقات » التي لم تزل تطرفنا بها ، فانها آثر جوارحنا لدينا) يعني الطيور الفارهة المتخذة للاصطياد ، فاجابه يليان ــ وقد امتلأ صدره حنقا وغيظا عليه : ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط ــ يعرض له بما اضمره من ادخال العرب عليه (1) .

وهناك رواية تزعم ان الحامل ليليان على الانتقام من رودريك ــ سبب شخصي ذلك انه كان ليليان ابنة تتربى بقصر طليطلة ، فوقعت عين رودريك عليها ، فاغتصب عفافها ، فآلى يليان على نفسه ان ينتقم منه شر انتقام ، لكن بعض المؤرخين يحيط هذه الرواية بهالة من الخيال ، ويضفي عليها الوانا من الاقاصيص والاساطير ، لذا كانت اقرب الى الاسطورة الخيالية منها الى الرواية التاريخية الصحيحة (2) .

وايا كان ، ومهما كان نوع الاساءة ، فلابد من رد الفعل ، وان يليان ــ وهو البربري الابي ، الذي احسن الى القوط ، حينما كانوا اهلا للاحسان ، سينتقم وسيعرف كيف ينتقم ، وان تلك الاساءة التي لم يولها رودريك اكبر اهتمام ستكلفه ثمنا غاليا ، وستكون سبب زوال دولته ، ومحو امته من صحيفة الوجود ، وقد رأينا كيف انتقم الاميرالبربري كسيلة من عقبة ، ذلك الانتقام الهائل لاهانة بسيطة صدرت من عقبة ، ما كان اغناه عنها .

ومن هنا يبتدىء الدور الخطير الذي لعبه يليان فى فتح الاندلس ، ذلك الفتح الذي تحدث عنه التاريخ ، ولا زال يتحدث عنه باعجاب واكبار ، والذي سنرى انه يرجع فيه الفضل اولا واخيرا الى يليان ، والى سياسته وحكمته .

فى هذه الظروف الحاسمة ، اتصل يليان بموسى ابن نصير ، وعرض عليه ان يسلم سبتة وتبقى تحت امارته ، وكان ذلك شبه صلح انعقد بينهما ، وقدم يليان لموسى مشروعه الخطير لفتح الاندلس ، وطالما تمنى موسى هذا الاتصال وتاقت نفسه الى فتح ذلك الحصن المنيع ، الذي كان ينظر منه الى بعيد ، وكان القدر كان يعلم منه ذلك فهيأ له كل الاسباب ، وقد اجاب يليان الى ما اراد ، وقبل منه ان تبقى سبتة تحت امرته ، وظل قومه على ما كانوا عليه من دين النصرانية ، وتختلف الروايات فى امر هذا الاتصال ، فمن قائل انهما اتصلا بالمراسلة ، ومن قائل انهما اتصلا بالمقابلة الشخصية ، وان يليان استدعى موسى الى سبتة ، وهناك وقعت المفاوضة بينهما ، ومن قائل انهما اجتمعا اخيرا فى سفينة بالبحر ، وعلى اي حال فان موسى بن نصير اهتم بمشروع يليان اهتماما عظيما ، وعرف فى شخص يليان ، السياسي المحنك ، والقائد المجرب ، والبطل الشجاع . وقد راى فى عينيه العزيمة الصادقة ــ وهو يشرح له حال الاندلس فى تلك الظروف وما تعانيه من خلاف ، وما يسودها من ضعف وانحلال ، واطلعه على خصبها وغناها ، وجعل سفنه وكل ما له من عتاد ، فى عونه ، واسناده، حتى النهاية . وقدر موسى اهمية هذا الفتح ، وراى ان يستشير الخليفة فى شانه ، فكتب الى الوليد يخبره بامر المشروع ، فاجابه بعد تلكؤ ان اختبرها بالسرايا .

---

1) الناصري ــ الاستقصاء ج 1 ص 97

2) من بين هؤلاء جرجي زيدان ، اقرا له رواية الهلال : فتح الاندلس

لبث موسى بطنجة حينا ، يعد العدة ، ويرسم الخطوط الاولى للمعركة التي سيخوض غمارها مع دولة لا يدري من امرها شيئا ، يساعده فى ذلك يليان بل هو الذي وضع الحجر الاساسي للمشروع ، وهو الذي وضع النقط الرئيسية للخطة الحربية ، وكانت نقطة البداية ، ان تخرج الكتيبة الاولى ، فى نحو خمسمائة مقاتل ، بينهم مائة فارس ، تحت قيادة ضابط بربري ، يدعى طريف بن مالك ، فعبروا البحر من سبتة ، فى سفن قدمها يليان ، تحمل شعار التجار ، فنزلوا بالمكان الذي سمي جزيرة طريف باسم قائد الكتيبة ، وذلك فى رمضان سنة 91 هـ - 710 م .

وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء بارشاد يليان ومساعدته ، فاصابت غنائم كثيرة ، ثم عادت وهي تغني اهازيج الظفر والنصر ، وتحمل ذكريات جميلة ، عن بلاد الاندلس وغناها ومفاتنها الطبيعية . وكان كل ذلك يغريها بان تعيد الكرة ، وتستأنف المعركة .

ولم تكد تمضي سنة كاملة على الحملة الاولى الاستطلاعية - حتى كان موسى اتم استعداداته - بمساعدة يليان - للحملة الثانية ؛ وهي بالطبع ستكون اوسع نطاقا ، واقوى حماسا ، واكثر عددا ؛ وقد أسند قيادتها الى طارق بن زياد والي طنجة ؛ يساعده فى ذلك يليان أمير سبتة .

وفى خامس رجب سنة 92 هـ - 27 ابريل 711 م - بدأت سفن يليان تنقل الجنود من سبتة : تباعا ؛ وكان عددهم سبعة آلاف مقاتل ، معظمهم من البربر ؛ حتى اذا لم يبق الا فوج واحد ركب طارق ومن معه (1) . ونزل بالمكان الذي لايزال يحمل اسمه الى اليوم . فاخترق طارق المنطقة المجاورة ، وبمعيته يليان واصحابه ، فاحتل قلاعها ، والمراكز المهمة منها ؛ وكان يليان يعرف ان رودريك مشغول يومئذ بمحاربة بعض الخارجين عليه ، فى الجهات الشمالية . وسرعان ما طارت اليه الاخبار ، فعاد ادراجه الى عاصمة ملكه طليطلة ؛ واعطى أمره لبعض الوحدات فى الجيش ، ان تتقدمه وتعترض سبيل جيش العرب ، حتى يستكمل اهبته ؛ ولكن جيش المسلمين ردها على أعقابها ، وتقدم يخترق البسائط ، متجها صوب العاصمة .

وفى هذه اللحظات الحاسمة استطاع رودريك أن يكهرب الجو ، ويثير فى نفوس المواطنين الحماس والدفاع عن حوزة البلاد ؛ فالتف حوله معظم الاشراف ، واجتمع لديه جيش ضخم ، يقدر بمائة الف او يزيد (2) وكان يليان على اتصال دائم بكل مايدور حول رودريك ، وقد وقف على هذا الحشد الكبير ، فهاله الامر ، واطلع طارق على خطورة الموقف؛ فكتب طارق الى موسى يستنجده ، فامده بخمسة آلاف رجل ، فبلغ المسلمون بذلك اثنى عشر الف مقاتل . وهنا قام يليان بدور هام ليكتسب المعركة ، فبث اصحابه فى سائر المناطق الحربية ، ينشرون الدعاية للعرب ، ويبثون التفرقة فى صفوف القوط . وكان يليان يكاتب أنصار الملك السابق ، ويحاول ان يجذبهم اليه وهم على وشك القتال مع العرب . وهذا كتاب بعث به الى احد ابناء غيطشة يقول فيه : « لا حاجة ايها العزيز الى اطالة الشرح فى المصائب التي توالت على هذه الجزيرة ، منذ تولاها هذا الباغي، فضلا عما تعلمه من تعديه على الملك ، واخراجه من يد اهله بقتل المرحوم والدكم ... والعرب يا الفنس دولة جديدة ملكت الخافقين بالعدل والرفق ، وهي ستنتصر على رودريك لامحالة ؛ لان اهل مملكته كلهم ضده حتى آقرب اقربائه ، والذي ينصره انما ينصر الظلم والغدر و ... وانت تعلم أني ضنين بك ، شفيق عليك ؛ فاذا اطعتني وانضممت الى جند العرب ، فاني ضامن لك ضياع المرحوم والدك فى الاندلس ، وهي ثلاثة آلاف ضيعة ، قد سلبكم رودريك اياها ؛ اذن ترجع انت وسائر آل غيطشة ، الى ماكنتم عليه من العز قبل استبداد هذا الطاغية ... » (3) وكان لكل هذا اثره الفعال فى نفوس الاهالي عموما والجند بالخصوص .

لذا نرى انه لما التقى الجمعان فى سهل شريش، وذلك فى اليوم الثامن من رمضان سنة 92 هـ ونشبت الحرب بين الفريقين اياما ، وكانت جواسيس يليان

---

1) ابن عذاري : البيان المغرب ج 2 : 6 - 8
2) عنان : دولة الاسلام فى الاندلس
3) - جرجي زيدان - : فتح الاندلس : 336 .

تقوم باعمال خطيرة داخل المعركة ؛ وفى اليوم الرابع احتدم القتال ، وكانت الحرب على اشدها ، وظهر رودريك فى وسط المعركة ، فى حلل ملوكية ، فوق عرش تجره الخيول المطهمة — تمكن جيش المسلمين على ضآلة عدده من جيش القوط ، فلم يأت اليوم السابع من اللقاء حتى كان النصر لطارق وجنده ، وهزم القوط شر هزيمة ؛ ولم تكد تنتهي المعركة حتى سقط رودريك قتيلا . وتذكر بعض الروايات ان طارقا ما ان رآه متوجا فوق عرشه حتى حمل عليه ، وضربه بسيفه على راسه فقتله على سريره » (1) . وهناك رواية تقول : ان طارقا خطب فى جنده قبل نشوب المعركة خطبته المشهورة : « ايها الناس ، اين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر ... » وكان لهذا الخطاب اثره فى اذكاء همم المسلمين ، ودفعهم الى الظفر والنصر .

ولكن بعض الباحثين يرتاب فى نسبة هذه الخطبة الى طارق ، ويرى انها ليست من اسلوبه ، لان الرجل بربري ، وهو بطبيعة الحال — فى اول عهده بالاسلام وبالعربية لايستطيع ان يقول مثل هذه الخطبة ؛ وزعم ان المصادر الاولى لم تشر اليها ، وان المقري نقلها عن مؤرخ لم يذكر اسمه » (2) . والحقيقة التي لامراء فيها ، انها من اسلوبه وتفكيره ؛ وطارق من الاسر السابقة الى الاسلام فى المغرب العربي — وقد ذكر نسابة البربر — انه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورجوم بن نيرغاس ... » فيكون طارق قد تلقى الاسلام عن ابيه عن جده عبد الله ، وهو اول اسم عربي فى نسبته ، ثم ينحدر مساق النسبة بعد ذلك فى اسماء بربرية محضة ، حتى ينتهي الى نفزة . (3) ومن المؤرخين الذين اوردوا هذه الخطبة — قبل النفح — ونسبوها الى طارق — ابن خلكان فى وفيات الاعيان . (4) وهو بلا شك من مراجع المقري فى النفح ، بل من اهمها لديه . وهناك واقعة اخرى تختلف فيها انظار المؤرخين ، تلك هي واقعة احراق السفن التي نقل عليها طارق جيشه الى شاطيء الاندلس فهناك رواية تقول : ان طارقا ماكاد يعبر البحر بجيشه ، حتى امر باحراق السفن التي عبر عليها ؛ ليدفع بجنده الى الموت والاستبسال ؛ وليقطع عليهم كل تفكير فى التخاذل والارتداد . وقد يؤيد هذه الرواية قول طارق فى خطبته : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم .. »

ولكن بعض المؤرخين المعاصرين يستبعدون من طارق مثل هذا العمل — وهو الرجل الحكيم — سيما والسفن ليست ملكا له ؛ بل هي من املاك يليان ، قدمها كمساعدة للعرب ، ولم تكن تحت تصرف الغزاة فى كل الاوقات » (5)

وقد يكفي فى هذه الرواية ، أن ينقلها الشريف الادريسي فى معجمه « نزهة المشتاق » وهو ابن سبتة ، واعرف الناس بأحداث بلاده ووقائعها .

ويقول الدكتور عنان : انه مهما كانت هذه الرواية من الشذوذ ، فانه عمل بطولة ، يتفق مع بطولة فاتح الاندلس العظيم . وزاد فى تعاليقه على هذه الحادثة يقول : ان التاريخ الحديث يقدم لنا مثلا بديعا من هذا القبيل ، وهو المكتشف الاسباني هرناندو كرتيث فاتح المكسيك ، فقد امر باحراق سفنه التي قدم عليها جيشه من اسبانيا . قال وقد يحملنا هذا على انه تأثر فى عمله هذا بالمثل الذي ينتسب لطارق فاتح اسبانيا » (6)

على أن يليان الحريص على الظفر والانتصار على خصومه — قد يضحي بما هو اكثر من السفن . ويجوز أن يكون موسى عوضه بمثلها — وقد انشأ بتونس اسطولا ضخما اصبح يسيطر على البحر الابيض المتوسط . وتقول بعض الروايات انه هاجم بعض السواحل تحت قيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير . وسنرى كيف عبر موسى البحر الى الاندلس باثنين وعشرين الف مقاتل فى قطاع من اسطوله وضعها خصيصا لذلك . وبعد المعركة الحاسمة ، والانتصار الهائل الذي حققه المسلمون

---

1) — ابن خلكان — وفيات الاعيان ج 4 — : 411 . — المقري — النفح ج 1 — : 227
2) — عنان — دولة الاسلام فى الاندلس : 27 — 28 .
3) — ابن عذاري — البيان المغرب . ج 2 — : 6
4) — ج 4 — : 404
5) — عنان — دولة الاسلام فى الاندلس : 41
6) نفس المصدر .

ـ وقد طارت انباؤه الى سبتة وطنجة وما جاورهما ـ عبر سيل من المجاهدين المتطوعين . وزحف طارق بجيشه شمالا ، فاندحرت امامه جيوش القوط مرة اخرى ، وكانت الخطة التي اقترحها يليان على طارق ـ وهو الخبير بشئون هذه البلاد ـ ان يسير طارق بنفسه الى طليطلة عاصمة المملكة القوطية ، وأن يذهب مغيث الرومي ، مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة ، في سبعمائة فارس . فخرج طارق من استجة ، وسار ببقية الجيش ، وبمعيته يليان وأصحابه ، مخترقين هضاب الاندلس ، وكان القوط قد استولى عليهم الذعر ، ففروا منها نحو الشمال ، فاستولى عليها طارق بدون كبير مقاومة .

وهنا نرى يليان ـ وقد نجح في مهمته الحربية ايما نجاح ـ يقوم بدور سياسي هام بين المواطنين القوط ، ويحقق ما كان يشيعه للعرب من العدل وروح التسامح ؛ ويحاول ان ينفذ المواعيد التي كان قطعها لاصدقائه انصار الملك السابق .

وفعلا فقد ابقى طارق على من بقي بالمدينة من السكان ، وترك لهم الكنائس ، وابقى للاحبار حرية اقامة الشعائر الدينية ، واباح للنصارى من القوط والروم ـ اتباع شرائعهم وتقاليدهم ... واختار لحكمها وادارتها أوباس اخا الملك السابق والصديق الحميم ليليان . كما رد على ابناء وتيزا ضياعهم ، والاملاك التي كان اغتصبها منهم رودريك ثم تابع طارق زحفه نحو الشمال ، فاخترق قشتالة ثم ليون ، في وهاد ومفاوز صعبة ؛ واستمر في سيره حتى اشرف على ثغر خيخون الواقع على خليج « عسقونية » فكان خاتمة زحفه ؛ ثم عاد الى طليطلة ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح حتى يلحق به . وتختلف الروايات في البواعث التي حملت موسى على ذلك . وربما كان يخشى ان ينكب المسلمون اذا ما أوغلوا في جهات مجهولة .

واياما كان فقد عبر موسى البحر الى الاندلس ، في عشرة آلاف من العرب ، واثنى عشر الفا من البربر في سفن صنعها خصيصا لذلك ، يحفزه شغف الفتح بالرغم من شيخوخته وكبر سنه . وقد سارع يليان لملاقاته ؛ وكان نزوله في ولاية الجزيرة الخضراء وهناك وضع موسى ـ وبمعيته يليان ـ خطة حربية محكمة ، فبدا زحفه بالاستيلاء على مدينة شذونة ، ثم سار الى قرمونة ، وهي يومئذ من امنع معاقل الاندلس ، فاستولى عليها ـ بمساعدة يليان واصحابه. وقصد بعدئذ اشبيلية اعظم قواعد الاندلس فافتتحها بعد ان حاصرها شهرا ، ثم سار الى ماردة وحاصرها مدة ، وقتل تحت اسوارها عدد كبير من المسلمين ، وانتهت بالتسليم في رمضان سنة 94 هـ .

وبعدئذ قصد طليطلة فالتقى بطارق ، وقد جاء لاستقباله ، فأنبه وبالغ في اهانته ولكنه ما لبث أن عفا عنه ورده الى منصبه (1)

وفي قصر طليطلة اجتمع الاثنان وبجانبهما يليان ، ووضعوا خطة مشتركة لافتتاح ما بقي من الاندلس ، فكان الزحف اولا نحو الشمال الشرقي ، فاخترقوا ولاية ارجوان وافتتحوا سرقسطة ، وبرسلونة وغيرهما من المدائن والمعاقل . ثم افترق الفاتحان فسار طارق نحو الشرق ، ليغزو جليقية ، وليتم القضاء على فلول القوط . وسار موسى شمالا فاخترق جبال البرنية ، واستولى على قرقشونة ، واربونة ، ثم نفذ الى مملكة الافرنج . وهكذا تابع كل منهما مسيره ، وكانت فتوحهما شبه نزهة ، ـ الى أن جمع بينهما كتاب ورد من الوليد بن عبد الملك يستدعيهما الى دمشق ، ويأمرهما بتعجيل العودة . ولعل الحامل للوليد على ذلك ـ خوفه أن يستقل موسى بذلك الملك الجديد النائي . ومهما بحثنا عن الاسباب والعلل في ذلك ـ فان عمل الوليد هذا يعتبر من اكبر الاخطار على مستقبل الاسلام في الاندلس .

وقد نظم موسى ـ وهو يتاهب للرحيل ـ حكومة الاندلس ، وجعل حاضرتها اشبيلية ، واختار لولايتها ولده عبد العزيز ؛ واستخلف على المغرب الاقصى ولده عبد الملك ؛ كما استخلف على افريقيا عبد الله أكبر أولاده .

وفي شهر ذي الحجة سنة 95 هـ ـ اغسطس 715 م ـ قفل موسى راجعا الى المشرق ، وطارق معه ، وفي ركبه من نفيس التحف والغنائم مالايعد ولا يحصى ...

---

1) ـ عنان ـ دولة الاسلام بالاندلس

ولندع الموكب يسير وئيدا ، سالكا طريق البر من الاندلس الى شمال افريقية ـ فالشام . وقد اشرأبت الاعناق فى دمشق وغير دمشق الى رؤية موكب الظفر والنصر ، ولكن كيف كان استقبال بلاط دمشق للفاتحين الخالدين ؟ وكيف كان مصيرهما ؟ وماذا كانت نهاية يليان الساعد الايمن لهما ؟

الواقع ان الرواية التاريخية لاتلقي أضواء كافية فى هذا السبيل ، وان المؤرخين يكادون يجهلون كل مادار فى شأنها ببلاط دمشق . والشيء الوحيد الذي تكاد تجمع عليه كلمتهم هو انهما لم يلقيا الجزاء الحق؛ وخصوصا موسى فانه غمط حقه وفضله أشنع غمط

اما يليان ، وكيف كانت نهايته ، فذلك ماتمر عليه الرواية الاسلامية بالصمت . وكل ماهناك انها تشير الى انه ظل اميرا على سبتة ، وبقي على نصرانيته الى أن مات فورث عنه عقبه الامارة على سبتة ، ومن ايديهم اخذها العرب لهما (1)

ثم دخل عقبه فى الاسلام ، وكان منهم فقهاء مبرزون فى مذهب مالك (2)

ثم بعد ذلك لاتحدثنا الرواية بشيء ، ولا تذكر متى توفي ؟ وكيف ؟

والمحتمل انه مات حتف انفه ، فى حدود المائة بعد الهجرة .

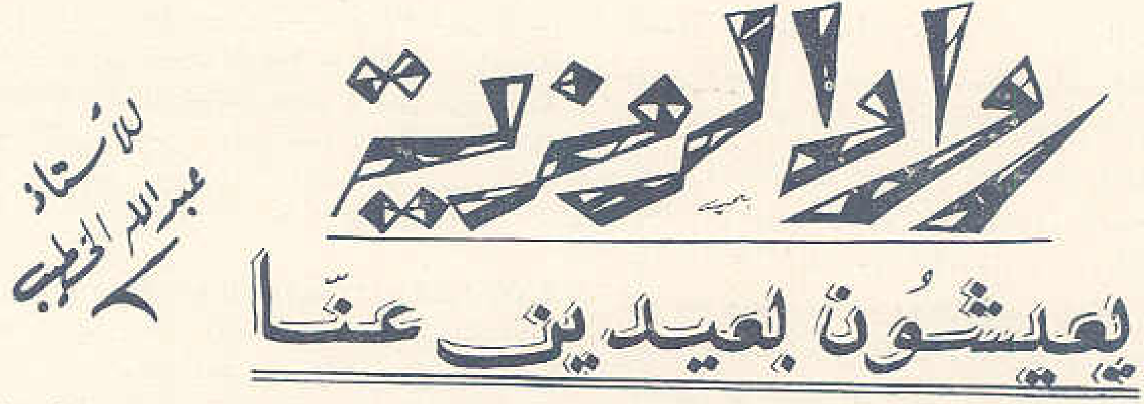
وتقول الرواية الكنيسية الاسبانية ـ تشفيا منه ـ انه قتل بيد مواطنيه (تعني القوط) ـ فى معركة نشبت بينه وبينهم ؛ او انه قتل بعد ذلك فى ولاية الحر الثقفي بيد العرب ، لريبة فى ولائه ؛ وزادت تقول : ان العرب اعدموا ابنى وتيزا وافراد اسرته » (1) ولا يخفى ما فى هذه الرواية من روح التعصب ؛ والحقيقة التي يشهد بها الاوربيون انفسهم ـ ان العرب اظهروا من التسامح ما يتفق وروح الاسلام ، وأحسنوا معاملة اعدائهم فضلا عن اصدقائهم أمثال أبناء وتيزا المالك السابق ، وافراد اسرته ؛ فضلا عن اخص الاصدقاء مثل يليان . وقد أسلفنا ان أول عمل قام به طارق فى عاصمة طليطلة ـ ان رد على ابناء وتيزا املاكهم وضياعهم التي كان اغتصبها منهم رودريك وجعل عمهم الاسقف أوباس رئيسا لكنائسها ، وحاكما لادارتها ... على أن الاندلس لم تشهد قط اعدل ولا ارحم من أولئك العرب الميامين .

ولنستمع الى الاستاذ لاين بول يقول «.. ماكان المسلمون كالبربر من القوط والوندال يتركون وراءهم الخراب والموت ، حاشا ، فان الاندلس لم تشهد قط أعدل وأصلح من حكمهم ؛ ومن الصعب ان نقول : انى اكتسب العرب تلك الخبرة الفائقة بالشؤون الادارية، فقد خرجوا من الصحراء الى الغزو ، ولم يفسح لهم تيار الفتح مجالا يدرسون فيه ادارة الامم المفتوحة» (3) وهنا يجب ان نشير الى ان العرب لم يأخذوا سبتة من أيدي القوط ـ كما وقع فى وهم كثير من المؤرخين المعاصرين بل استولوا عليها من ايدي ابنائها الاصليين (المغاربة) وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون : « ولما هلك يليان ، استولى العرب على سبتة صلحا من ايدي قومه فعمروها » (4) ... ومعلوم ان رأي ابن خلدون فى يليان ـ كما اسلفنا ـ انه بربري من غمارة. على ان استيلاء العرب على سبتة انما كان بعد ولاية الحر بن عبد الرحمان الثقفي ؛ فاين كان القوط بسبتة ـ وهو كان يحاول أن يجليهم عن جبال البرنية . ؟ !

هذه بعض اضواء عن شخصية يليان ، وهو من الشخصيات المغمورة فى تاريخ المغرب وقد تكون لنا الى الموضوع عودة .

---

1) ـ ابن خلدون ـ ج 6 : 437 . ط دار الكتاب
2) ـ القاضي عياض ـ المدارك (مخطوط)
3) ـ عنان ـ دولة الاسلام فى الاندلس ص : 41
4) ـ ج 6 : 437 . ط دار الكتاب .



المبادىء التي تنهض عليها حركة رواد الرمزية في مختلف الفنون والاداب ، تقوم على اساس الامعان في الغموض والتناقض ، والابتعاد عن الدلالة الواضحة لشتى النزعات والافكار التي يدعون اليها ، واكثر هؤلاء يقومون بدور المصور الذي تغلب عليه قوة ابراز المعاني ولكن في اشكال متنافرة والوان متناقضة، فلو عمد واحد فقط من مجموع دعاة الرمزية الى اتباع هذه الطريقة في انتاجه ، والعمل على نشرها بين الناس ، لقلنا بحق انه مجنون ، او انه انسان غريب الاطوار ، ولكننا في الواقع نواجه حركة خطيرة لهذا الاتجاه ، وبالخصوص في اوربا .

فاذن ليس من الهين ان نرمي قادة هذه الحركة بالانحراف في التفكير والذوق ، ولكن ليس من الهين ان نفرض على نفوسنا هضم مقومات هذه الحركة والاقتناع باهدافها . واغلب الظن ان الرمزية لها كيان يرتكز على اسس وقواعد محددة المعالم ، بعيدة المدى والغايات . واني اذ المس هذا من بعض المقارنات التي تعن لي وانا استعرض نشاط هذه الفئة من رواد الرمزية ، ارى ان اوربا التي تزعمت هذه المدرسة الحديثة لها من الكفاية في الوان الفنون والآداب ما يجعلها تفتش على استنباط مناهج طريفة في الانتاج الفكري حتى تفتح لعشاق النهضة الثقافية آفاقا جديدة يسرحون فيها ، اما ترويحا على النفس من عناء الجد ، او دفعا بهم الى ترويض مداركهم على حل الرموز والالغاز .

وفي كلتا الحالتين اجد عذرا لاوربا ان تعيش فترة من حياتها الزاخرة بالمعارف هذا اللون من الحياة ما دامت قد وفت حقها في خدمة الواقعية التي نحن العرب احوج ما نكون الى الوفاء لها .

ويختلف الوضع تمام الاختلاف اذا عدنا بهذه الحركة الى الوطن العربي ، فظهورها كان سابقا لاوانه بعدة اجيال ، ما دام القياس الزمني بيننا وبين الغرب هو اعداد عدة اجيال تنهض بما نهضت به على صعيد الحضارة والعرفان .

ومن المؤسف جدا ان تكون حركتنا الفكرية الفتية مشوبة بالدعوة الى تعميم المدرسة الرمزية ، وان دواعي الاسف هذه لها اسباب وجيهة لا تقبل الجدل :

ــ اولا : ان الامة العربية لا تزال في طور بناء النهضة الفكرية بناء متينا ضمن مقتضيات الواقع الملموس .

ــ ثانيا : ضعف الوعي لدى الجمهور وفقدان طاقة الذوق العام .

ــ ثالثا : انعدام الروابط بين المثقف ورجل الشارع .

ــ رابعا : انعدام التجاوب بين المنتجين وبين المقبلين على تعهد هذا الانتاج بما يقتضيه الولع والرغبة والحماس .

ــ خامسا : الافتقار الى وسائل النشر ، وغلاء الطباعة ، وتعميم مراكز الثقافة العامة بالبلاد ، كالنوادي والمدارس الشعبية .

هذه خمسة عوامل من عشرات اخرى لها من القوة ما يجعلنا غير مطمئنين الى خلط المناهج الرمزية بالمناهج الواقعية .

وبعد هذا التقديم الذي كان لابد منه ، اعود لاقرر ان الفنانين الذين شقوا طريقهم الى التعبير الرمزي يدفعون بنا الى مواجهة نوع من الصعوبة

في الفهم والادراك، والسر هو انهم يتناولون الموضوعات من حيث المقارنة البعيدة بين الذي نلمسه بايدينا، ونراه بعيوننا، وبين الانفعالات التي يتأثرون بها لتصوير مجموعة من الحقائق الشكلية فيفرغونها في قوالب ومعاني فيها بريق من الفلسفة والتنويع اللفظي تجعلنا نتيه في رمشة عين مع المسالك التي تفضي بنا حتما الى الظلام، بدلا من ان تقودنا الى النور، وفي غمرة هذه المداعبات (الكلامية) نطوي صفحات الكتاب وليس في ذهننا اثر لمعنى.

ومن المدهش ان الذين انكبوا على معالجة عدة قضايا بهذا الاسلوب نسوا انهم وضعوا بيننا وبينهم هوة سحيقة، فهم يلحون في الانتاج بكثرة، ونحن نجبر انفسنا ـ بحكم الغريزة ـ على ملاحقة انتاجهم ولكن مع الاسف بدون جدوى، ولهذا فمن الصعب جدا ان نلتقي بهم ما داموا يعافون المألوف، فكأنهم لا يكتبون الا لانفسهم، وهم يرددون بكل اعجاب صدى ما ينفقون يوميا من (المفردات) دون ان يكون لصداهم اي رجع.

لقد اختلف الذين ينقدون اساليب هذه المجموعة من (الكتاب) فمنهم من يغالي في انهم لا يفهمون ما يكتبون، ومنهم من يخفف الوطأة عليهم فينعتونهم بعدم هضمهم للواقع، ولهذا تخلصوا منه بهذه الطريقة السحرية البارعة، ولكني سأكون رفيقا بهم اكثر من بقية الناقدين، ذلك ما سيجعلني اكرر اننا في حاجة الى انتاج اكبر ما يمكن انتاجه من الواقع الحي ليمكن لنا في يوم من الايام ان نباهي برصيد وافر من مقومات الحضارة والعلم، ونلاحق الركب الغربي في ازدهاره وتقدمه، ومن السهولة بمكان ـ على ما اظن ـ ان يتحرر الكاتب الرمزي من الغازه، وينصهر في معركة الواقع، فيصبح في ميسوره أن ينتج في الاطار العادي الذي يتحمله العقل، وتتذوقه الحواس، وبذلك يسدي اجل الخدمات للثقافة العامة.

لقد تنقلت آفة الرمزية بين النثر والشعر، ولعل الجدل لم ينته بعد حول الشعر المرسل، وبديهي ان يحتدم هذا الصراع لان الخطر على الشعر كان اشد تأثيرا فيه من النثر، خصوصا وان المحاولة الجديدة بدأت على قاعدة تحطيم الاوزان والتحرر من القوافي، وعدم التزام نظام التفاعيل، فاذن فما قيمة القطعة الشعرية التي تحررت بكل هذه السهولة من القيود التي فرضت على البيت الشعري منذ عصر المعلقات، الحقيقة ان هذه القيود لم توضع عبثا، فمزايا القوافي والاوزان يظهر تأثيرها وجمالها في الرنين الموسيقي، وفي التجاوب بين سمو المعنى واصالة المبنى، بينما القصيدة المرسلة تبرز عادة في شكل اكوام من الحجارة المتباينة الاحجام، فلا هي في مجموعها توحي بفكرة المنزل القائم الاركان، ولا الجبل الشاهق الارتفاع، ولا الهرم المتجانس التركيب، والسبب ان مفسول الفن المعماري لم ينلها لا من قريب ولا من بعيد، فالقيود الشعرية القديمة في نظري بمثابة التصميم الذي يضفي على البناء رونقه وجماله.

والذي يجعلنا منذ عهود طويلة نباهي بالشعر الاصيل اننا نردد يوميا ابياتا منه، اما للتغني به، او للاستشهاد بمعانيه السامية، او للتعبير عن اغراض تدعونا الحاجة اليها، ولتثبيت هذا الادعاء ان جل المثقفين يحفظون في صدورهم عيون الشعر البديع لان الذاكرة تعي بكل سهولة القصيد المنظوم في نطاق الاوزان التقليدية المعهودة، بينما لم نسمع قط احدا ينشد شعرا مرسلا للاغراض نفسها، والسر واضح كل الوضوح، ذلك ان العنصر الموسيقي مفقود من اساسه، والابيات مفككة الحلقات، متنافرة المعاني، والربط بين الصدر والعجز يكاد يكون منعدما كل الانعدام.

ولعلي بعد هذا اكون قد قطعت الطريق على الرمزيين ومحترفي الرمزية لانهم يهيمون في العبث الذي لاطائل من ورائه، ويعيشون في قلق مع استخراج المفردات وتلفيقها في كلام محفوف بالالغاز، ولهذا كانوا اكثر انتاجا وانشط حركة، ومصدر هذا النشاط انهم لايتعبون في توفير المعنى بقدر ما يتلفون الوقت في تصنيف المفردات لملء السطور والصفحات.

والمغرب اليوم وهو في طور بناء نهضته الفكرية مفتقر الى تعميم المدرسة الواقعية بين الكتاب والشعراء، والدولة مطالبة لتدعيم هذه المدرسة بخلق جوائز جديرة بالاحترام، وفتح باب المنح لتعزيز جانب رواد هذه المدرسة المثالية.

ولعل سياسة الدولة في هذا المضمار كفيلة بتنشيط المواهب، وافساح المجال امام العباقرة الذين تعوزهم المادة لصنع المعجزات، والتحليق في الاجواء.

واخيرا ارى نفسي مشفقا على جميع الموهوبين الباحثين عن العبث، فادعوهم وانصحهم ان يلزموا الجد في كتاباتهم واشعارهم، لاننا نرغب ان نعيش قريبين منهم، ملمين بنشاطهم، والطريقة المثلى لتقريب المسافات بيننا هي الرجوع الى المألوف في الكتابة والشعر.

الحركة النقابية في الميدان الدولي

للاستاذ : العربي محمد الزفايدي

لماذا وجدت النقابات العمالية :

الميل الى الاتحاد مع الاخرين رغبة في الحماية المتبادلة وفي التقدم والتطور وهو صفة من صفات الانسان الفطرية ، لازمته وزاملته وترعرعت معه ، ففي كل طور من اطوار المجتمع وفي كل عصر من عصوره ابدى اشخاص ذوو مطالب ومآرب اقتصادية متشابهة ، ميلا طبيعيا الى الاتحاد والانصهار في جمعيات ومنظمات ، يحفزهم الى ذلك امل في النهوض بمصالحهم المشتركة . وتختلف طبيعة هذه الجمعيات واساليبها المتبعة وفقا للمتطلبات والرغبات الخاصة التي تختلج في صدور الاعضاء وهي تتأثر كذلك بالسيطرة القانونية وما عداها من انماط الرقابة والضبط الاجتماعيين ، فالحركة النقابية هي على غرار سواها من العناصر التي تبذل الجهود المنظمة ، لسان ناطق بوعي الجماعة وتنبهها للمشكلات العامة واقتناعها بصلاحية الدواء الناجع اللازم

طوائف العصور الوسطى ونقابات العصور الحديثة :

وصفت نقابات العمال في اول امرها بانها « جمعيات مستمرة لاشخاص من كاسبي الاجور غايتها الحفاظ على شروط العمل وادخال التحسينات عليها » (فلورنس بترسون) اما الاضرابات التلقائية وحركات العصيان والتمرد التي يقوم بها عمال مظلومون منذ قرون فهي حركات قديمة قدم التاريخ. الا ان نقابات العمال حديثة العهد نسبيا ، ما دام تحديدها وتعريفها يتضمن نظاما للاجور ، وما هو ادنى الى منظمات دائمة رسمية للعمال . ومع ان الرابطة الجامعة بين نقابات العمال الحديثة وبين جمعيات العصور الوسطى لذوي الحرف مفقودة الا ان هناك وجوها ظاهرة من وجوه الشبه والتقارب بين اهداف هذه وتلك وبين الاساليب التي توسلت بها كل منهما لتحقيق الاوطار والمآرب . جاءت الطوائف القديمة نتيجة شعور بندرة الفرصة او انعدامها ولكي تحافظ على مصالحها لجأت الى الضغط على الحكومة حتى تعمد الاخيرة الى منع اي شخص من مزاولة صنعة ما ، مالم يكن عضوا في الجمعية او الطائفة . وراث هذه الجمعيات ان نظامها الصارم فيما يتعلق بفترة المران والقيود الاخرى المفروضة كل ذلك عاق الكثيرين على الانضمام اليها ، وتضمنت انظمتها بما فيها تلك المتصلة بالاعمال مقاييس ليدرا هذا عنها منافسة العمال غير الماهرين ، وحددت ساعات العمل في النهار وحظر العمل في الليل والاعياد وكانت بعض هذه الطوائف تزاول كثيرا من اعمال البر والانسانية كمساعدة اعضائها ابان المرض واقالتهم من عثرتهم اذا ما حل الموت بين ظهرانيهم . كانت الجمعيات في العصور الوسطى تتالف من ارباب العمل والعمال الماهرين ولم يكن هناك تضارب بين مصالح الطرفين ، لان الماهر كان يخدم سيده ردحا قصيرا من الزمن فهو بعد بضع سنين يصبح (معلما) ورب عمل وعلى ذلك فانه سوف يتخلى عن صفته كعامل حاذق وما كسبه من سيده سيضطره بدوره الى اضفائه على اجرائه . وكانت الجمعية عبارة عن طائفة من الصناع اتحدوا سويا بغية تحقيق الحماية المشتركة والتحكم في السوق المحلي ، وعندما كان نطاق السوق يتسع بما يتبعه من الحاجة الى المزيد من راس المال للعناية بالقروض القصيرة الاجل والبضائع الجاهزة اخذ نمط التجمع الصناعي يتغير واخذت فرص العامل

الماهر ليصبح معلما من ارباب العمل تقل شيئا فشيئا وفقدت الغالبية العظمى من العمال صفتها كمنتجة مستقلة تملك معداتها وموادها وتتصرف فى نتاج نضالها وتعبها . وأصبح المستخدمون الماهرون يكونون طبقة معينة دائمة وكون كثيرون منهم جمعيات خاصة بهم عندما شرع اساتذتهم على التدريج في تحويل نقابات الصناع الى نقابات التجار وارباب العمل .

وادى استعمال القوى الميكانيكية وجهاز المصانع الى توسيع الهوة بين ارباب العمل والعمال ، ولما كان جهاز المصانع تعوزه زيادة مستمرة فى رأس المال فقد تطلب هذا توحيد مصادر راس المال مما حولها الى جمعيات يعترف بها القانون ، وافترق العمل المشترك بين رأس المال والادارة فى نطاق جمعية فردة ليجد له مجالا فسيحا فى الجمعيات الصناعية وجمعيات المنتجين وفى الغرف التجارية وسوى ذلك من الاتحادات الدائمة والمؤقتة وذلك لرعاية وحماية مصالح المستثمرين ومديري رؤوس الاموال واخذت منظمات العمال المجاهدة باستمرار لبلوغ شيء ولو فى المظهر من المساواة فى العلاقات التي تربط بين الطرفين ، تتسع وتمتد فى كل اتجاه حتى ان النقابات المحلية لاصحاب المهن الماهرين تطورت الى اتحادات قومية ودولية ، وحتى ان العمال على تباين مهنهم فى صناعة ما قد اندمجوا فى نقابات صناعية ثم تكون من النقابات المهنية والصناعية اتحادات كبرى اهلية ودولية

الهدف الاول من الحركة النقابية فى المجتمع الحديث :

تتضمن الحركة العمالية وجود جمعية لاصحاب الاجور فى حالة استمرار هدفها تحسين اوضاع افرادها الاقتصادية والاجتماعية . ان القوى الحافزة للحركة النقابية فى كل بلاد هي ادخال تحسينات على احوال العمال كعمال فالحركة هذه تسعى الى منح اصحاب الاجور بعض النعم مؤمنة بأن الرفاهية والحالة المالية الطيبة وما يصاحب ذلك من مركز اجتماعي رفيع يجب ان لايكون بالضرورة حكرا ووقفا على رب العمل . وبالرغم من التمسك دوما بهذا المبدا العام الا ان اهداف ونظم الجماعات العمالية المنظمة قد طرا عليها كثير من التغير والتبدل الا ان هناك عروة وثقى من الاتحاد الدائم المتواصل للعمل على نيل حصة وافية للعمال لقاء مساهمتهم الفعالة فى عملية الانتاج .

الصبغة الدولية للحركة النقابية :

كانت النقابات العمالية فى كل بلد من بلاد العالم تشعر بالحاجة الماسة الى تأسيس روابط عامة بينها وبين المنظمات العمالية فى البلدان الاخرى وكان هذا الشعور يتجسم فى اشكال عديدة من الحركات العمالية .

اما الدوافع التي حفزت الى تنسيق النشاط النقابي للعمال على الصعيد الدولي فهي القلق الناجم عن التنافس الصناعي ورغبة العمال فى اكتساب معلومات فنية تساعد على الارتقاء فى المهارة والصناعة فالحركات العمالية الدولية كما يقول بترسون السابق الذكر لازمة للصناعات الدولية وعندما ينال بعض العمال زيادة فى الاجور وتعديلا فى ساعات العمل لايلبثون حتى يروا أن ما احرزوه هو نصر مؤقت نظرا لمنافسة العمال ذوي الاجر القليل . ان البطالة بين صفوف العمال فى كل مكان وكذلك التنافس الاقتصادي ، كان له ابلغ الاثر على الحركة النقابية .

وفى صدد الملابسات التي أدت الى ان تتسم الحركات النقابية بسمة العالمية يقول الاستاذ لبيب السعيد : ان المنتجين فى مختلف الدول يحاولون ترويج انتاجهم خارج بلادهم ويبذلون فى هذا كل ما تسعه جهودهم . ومن اهم ما يعين على رواج سلعة ما انخفاض سعرها بالنسبة لمثيلتها الناتجة فى دولة اخرى ، ومن اهم اسباب انخفاض السعر خفض التكاليف وفى مقدمتها الاجور ومن اجل ذلك كان المنتجون يترددون فى رفع اجور عمالهم وتحسين ظروف العمل لهم .

كما كانت الحكومات تتردد فى رفع الاجور العمالية قصرا والزام اصحاب الاعمال بالتحسينات اللائمة فى ظروف العمل حتى لاترتفع اسعار السلع التي تنفقها الدولة فتنكص على عقبيها فى ميدان المنافسة الدولية التجارية . ولذلك وجبت الحاجة الى تنظيمات دولية للعمل تحمي العمال مما تجره هذه المنافسة من تفريط فى حقوقهم وتهاون فى تحسين مستواهم المعيشي »

الرواد الاوائل للحركة :

ويبدو ان الاحساس بهذه الحاجة قديم ففي مؤتمر اكس لاشابل سنة 1888 دعا روبرت وين المصلح الاجتماعي الانجليزي الى بذل مجهود دولي مشترك لصالح العمال فى كل مكان ولقد تساءل وين : كيف يستطيع مدير مصانع نسيج فى بريطانيا مثلا ان يحسن ظروف العمال المشتغلين فى مصانعه دون ان يقوم اصحاب المصانع المماثلة فى الدول الاخرى بنفس التحسين ؟ (1) ان تحسين ظروف العمل يستلزم زيادة نفقات الانتاج ومن ثم يتعرض المنتج لخطر ارتفاع سعر سلعته بحيث لا يمكنه بيعها فى الاسواق العالمية حيث ينافسه المنتجون فى الدول الاخرى وكان لوي بلان من اوائل من دعوا الى ضرورة تنسيق وربط الجهود النقابية فى العالم بأسره ، وكان يرى ان لاسبيل الى انجاح الاصلاحات الصناعية أو الاجتماعية الا اذا طبقت فى الدول المتنافسة فى وقت واحد وكان يتساءل : لقد ابرمت المعاهدات بين دولة واخرى والتزم طرفاها بقتل البشر فلماذا لاتبرم المعاهدات اليوم بقصد المحافظة على حياة الناس وجعلهم اكثر سعادة ؟ (2)

وفى سنة 1847 نجد دانيل لجراند يبعث بنداء الى حكومات بريطانيا وفرنسا والمانيا وسويسرا يدعو فيه الى نفس الفكرة .

بدء الحركة :

هكذا نرى انه فى مدى النصف الاول من القرن التاسع عشر لم يكن ثمة تنظيم نقابي على الصعيد الدولي ، انما كان عمال البلاد الواحدة يمدون يد المساعدة لعمال البلاد الاخرى فى كفاحهم نحو غاية خاصة وقد وقعت نقابات العمال المهنيين فى انجلترا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا وعلى مجال اضيق فى الولايات المتحدة الاميركية تحت تاثير حركة حب الخير للجنس البشري القائمة فى ذلك الوقت وكانت تعتبر نفسها طبقة خاصة من الشعب ترزح فى جميع البلاد تحت ضغط الراسمالية وصرامة القانون (3). وكتب العمال فى مدينة نانت سنة 1834 الى زملائهم فى لندن يقولون : « ايها الاخوان والاصدقاء ، لاتدعوا الانهار والبحار التي تشكل الحدود بين دولة واخرى تقف حجر عثرة فى سبيل اتحادنا ، دعونا نقوي الصلات بين جميع المراكز الصناعية فى العالم »

وبعد اربع سنوات كتب وليم لموفيه خطابا وجهه الى طبقة العمال فى اوروبا واقترح فيه على افرادها ومجموعاتها انشاء منظمة دولية للعمال ، ومما قاله « يازملاءنا فى انتاج الثروات ، اننا نرى أن ظالمينا قد اتحدوا ضدنا فلم لانتحد نحن ايضا فى حماس مقدس لاظهار مظالم الحرب وقساوة الاستبداد وما ينالنا بسبب ذلك من بؤس وياس » .

واخذت فكرة الدولية تزداد تبلورا بعد سنة 1897 وساندها اشخاص لهم مكانتهم ومركزهم كانوا يشكون فى بقاء نظام صناعي تجتمع فيه الثروة العريضة والفقر المدقع . وانشأت اخيرا (لجنة اوربا الوسطى) المؤلفة من ممثلين عن لندن وباريس وبروكسل ، وفى احد اجتماعاتها قرا كارل ماركس وفريدريك انجس بيانا عن برنامجهما الذي اتخذه الشيوعيون فيما بعد شعارا لهم ينتهي دائما بهذه الكلمات : « ايها العمال فى جميع البلاد اتحدوا »

ظهور منظمات عمالية دولية :

عقد اجتماع فى لندن سنة 1864 حضره ممثلون نقابيون عن ايطاليا والمانيا وفرنسا وسويسرا وبولونيا كان لماركس فى نشاطه الباع الطويل . واسفر هذا الاجتماع عن تكوين مؤسسة دولية كواسطة للتعاون ولتوثيق الصلات بين نقابات العمال فى مختلف انحاء العالم . لكن اختلافا واسع الشقة ظهر بين اعضاء (المجلس العام) لوجود عناصر فوضوية فيه مما ادى الى حل هذه المنظمة . وسجلت الاعوام العشرة التي تلت عام 1880 فترة اضطراب وبلبلة فى الافكار بسبب الجماعات الاشتراكية المتطرفة المختلفة فى اساليب الاجراءات والتنظيم . ثم انشئت المنظمة الدولية الثانية فى باريس سنة 1889 انتهى عمرها باعلان الحرب العالمية الاولى .

---

1) _ (2) محاضرات الاستاذ لبيب السعيد سنة 1691 .

3) انظر فلورنس بترسون _ النقابات العمالية .

وفى سنة 1919 تم انشاء المنظمة الثالثة الدولية فى موسكو وهي فى الواقع من صنع لينين الذي استطاع بدهائه ان يلم حوله وفود 37 دولة داعيا الى ثورة عمالية شاملة

الاتحـاد الدولـي لنقابـات العمـال :

فى غضون الوقت الـذي كـانت فيه المنظمـات الدولية ذات الميول الماركسية تنعم بالقوة والنشاط ، كانت نقابات العمـال (النظاميـة) منهمكـة فى انشاء مؤسسات خاصة بهـا (1) . وكـانت أول مؤسسـة دولية لها على شكل امانة سر لكل صناعة على حدة ، وكانت امانة سر مهنة الطباعة تشمـل عديـدا مـن الاقطار بما فيها امريكا . وقد عقدت مؤتمرها الدولي فى باريس سنة 1889 وبعد بضع سنين قام صمويل جومبرز بدور فعال فى الحركة التي استهدفت تنظيم نقابة دولية من البحارة وعمال احـواض السفـن . وسعى جومبرز هذا منذ عام 1893 الى ادخـال النقابات البريطانية فى مشروعه الرامـي الى تاسيس منظمة دولية تشتمل على نقابات جميع المهن وتختلف هذه الحركة عن الاشتراكية الدولية ولكنه منـي بالفشـل (2)

وبناء على الوعي بأن للعمال فى كل بلاد الحـق بتبني السياسة والاساليب التي تروق لهم فان اتحاد العمال الامريكي قرر الاشتراك فى عضوية امانـة السر الدولية لمراكز النقابات الاهلية فى اوربا فتم بذلـك انشاء الاتحاد الدولي للعمال فى سنة 1913 ، والتـأم عقده فى مؤتمره الاول فى سان فرانسيسكو وظل هذا الاتحاد قائما اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها .

هكذا نجد امامنا فى هذه الفترة من الحركـة النقابية الدولية معسكرين يسعى كل منهما سعيـا حثيثا لكسب العناصر العمالية وهما الاتحاد الدولي لنقابات العمال والاتحاد الثالث ، متوسلا كل منهمـا بوسائله الخاصة . وفى سنة 1920 جنـح الاتحـاد الدولي الى اجراءات جديدة طاردا بذلك العناصـر المنتمية الى اتحاد موسكو ورغم ذلك فقد تحكـم الاشتراكيون فى الاتحاد الدولي ، ثم ذوى اخيرا هذا الاتحاد ومات فى غمار معركة الحرب العالمية الثانيـة الرهيبـة .

---

1) ــ (2) بترسون المرجع السابق

3) ــ (4) بترسـون المرجـع السابـق

الحركة الدولية النقابية بعد الحرب العالمية الثانية

اتحـاد نقابـي عالمـي جديـد :

التأم فى باريس سنة 1945 مؤتمر مثلت فيه 65 نقابة أهلية للعمال يبلغ مجموع اعضائها زهـاء 66 مليون عامل فى 56 دولة . والح المؤتمر على عـدم استدراج هذه المؤسسة الـى المزالـق السياسية (3) بل ان يقتصر نشاطها على الاعتناء باعمـال النقابـات وتحقيق النتائج العملية المفيدة لاعضاء هذه النقابات. لكنه للاسف الشديد تبدد فى مثل لمح البصر الامـل الخلب فى تعاون عمالي على صعيد دولـي ، لقـد ذر الريح هذا الامل وذر معه حلم عالم واحد وهي الفكرة التي تمخضت عن الامم المتحدة اذ عمل الشيوعيون على تحويل هذه الحركة النقابية الجديدة الى وسائل لاتهدف الا الى خدمة السياسة السوفيتية (4) ، وادى هذا الى عقد مؤتمر جديـد فى لنـدن سنـة 1949 حضرته وفود 50 دولة و 50 مليون عضو فانشـيء الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحـرة ، وجـاء فى منشور هذا الاتحـاد الخبـز : الضمان الاقتصـادي والعدالة الاجتماعية للكل .

الحرية : عن طريق الديمقراطية الاقتصاديـة والسياسيـة .

السلام : مع الحرية والعدالة والكرامة للكل .
ايها العمال من جميع البلاد والامم والعقائـد والمذاهب . ياعمال المصنع والحقل والمكتب وجميع العمال الاخرين ، اتحدوا صفا واحدا فى الاتحادالدولي لنقابات العمال الحرة .

ومما نص عليه دستور هذا الاتحاد تعضيـده الشعوب فى ممارسة حقها فى الحرية التامة وحكـم نفسها بنفسها .

منظمـة العمـل الدوليـة :

هذه المنظمة الدولية تمثل فرعا من معاهـدة الصلح الموقعة فى فرساي عام 1919 ولكن جذورهـا

كانت قد غرزت واصلت قبل الحرب العالميـة الاولى ففي اوائل القرن التاسع عشر كما راينا قال المصلـح الاجتماعي روبرت وين : ان في الطوق تحسـين احوال العمال الصناعيين في اي بلد كان بواسطة التعـاون الدولي بين جميع الحكومات وانه على نقيض ذلـك ينحط مستوى الصناعة بمقتضى شروط دولية عامة للصناعة في جميع البلدان الى ادنى حدود الانحطاط الذي قد يلمس في اي من هذه البلاد .

وبلـغ عدد البلدان الاعضاء في منظمـة العمـل الدولية في عام 1950 ستين دولـة بما فيها الـدول الكبرى باستثناء الاتحاد السوفيتي والبلاد الدائـرة في فلكه . ومع كل ما انجزته منظمة العمل الدوليـة من الاعمال فانها ما برحت تواجه الصعوبات الجمـة من جراء ضن الجهات المعنية عليها باقرار الاتفاقيات التي تبرمها ورفض البرامـج التي وضعتها للتفتيش الدولي الرامي للتأكد من تنفيذ الاتفاقات بعد التصديق عليهـــا .

مكـاسب الحـركــة

لقد اكتسبت هـذه الحركـة الممتـدة النطـاق النقابات معنى آخـر واسعـا . فنجـد ان النقابات اصبحت تعني عند شتى المنظمات والهيئات النقابيـة في شتى انحاء العالم : « بانها هيئات دائمة تتكون مـن عمال بغية حماية العامل وتحسـين ظروف عمله وبقصد تحسين احوال حياته الاجتماعية وان يحققوا هدفهم عن طريق التضامن والتكافل » (1) ومن هذا التعريف يتجلى ما اصبح للنقابات من اهمية وخطورة سـواء في المجال القومي او الدولـي على السواء ولا شك ان العمال كسبوا من الحركة النقابية ما بدل احوالهـم من بعد خوف امنا وجعلهم يشعـرون بقـوة بعـد استكانـة ومذلـة .

يتضح المكسب الاول فيما اصبح للنقابات مـن شان في حياة العمال ، فهي تنمي فيهم روح الجماعـة وتحقق لهم عن طريق اتحادهم مزايا وخدمـات عدة منها مناهضة الانفرادية (2) والمطالبة بالاجر العـادل والحماية ضد المستغل وارساء اسس التشغيل على نظم صالحة وقواعد عادلة من حيث الاجور وساعات العمل وفترات الراحة والاجازات الى غير ذلك ممـا يحفظ على العمال صحتهم ويقـوي روحهم ويشيع في نفوسهم الامن والرضـا .

والواقع ان مهمة النقابات اليوم لم تعد تقتصر على ذلك لان النقابات اضحت عاملا حيويا في تكييف بناء الامم وعاملا فعالا في تكييف حياة الشعوب (3) . فلم تعد رسالة النقابات قاصرة على خدمة العامـل فحسب وانما اصبحت النقابات عنصرا لازما لصاحب العمل كذلك ـ بل لقد اصبح وجود نقابات وتدعيمها من اشد العناصر لزوما للمجتمع باسره بل وللعالـم باكمله . اذ أن النقابات اليوم اداة بناء ووسيلة اصلاح ومرفا امان ، والعالم لايستهدف اليوم اكثر من البناء والاصلاح والامان .

ان النقابات اليوم اشبه شيء بالبرلمـانـات أو بالمجالس الاستشارية فعندما تقـدم الحكـومات في الدول المختلفة على عمـل مـن الاعمـال التـي تمس السياسة الاقتصادية والاجتماعية انما تلجا الى نقابات العمال واتحاداتهم لتاخذ رايهـا فيمـا تنتهجه مـن سياسـة وفيما ترسمه من برامج بـل ان كثيرا مـن الدول قد ذهبت الى حد استشارات النقـابـــات والاتحادات العمالية في السياسة الخارجية وفي اعلان الحرب والسلم ، وهذا كله يبـدو شيئا منطقيـا لان النقابات العمالية انما تشرف على عنصر بالغ الخطورة من عناصر الانتـاج وهو عنصر القوة العاملـة (4) . وبيان الاتحاد الدولي لنقابات العمـال الذي اقـره مؤتمر لندن في سـنة 1949 يطالعنا بالمهمـة الحقيقية لنقابات اليوم حين يخاطب العمال بقولـه : « اننـا نتحرك في عالم جديد لايمكـن ان يقنـع فيه العمـال بالاهتمام بالاجور وساعات العمل وظروفـه فحسب ولذلك يجب على العمـال ان يتهيـاوا للاضطـلاع بمسئوليات اعظم كذلك ، يجب ان يذكـر العمال أن على نقاباتهم التي تعمل من اجل تحقيق مصالحهـم واجبا ازاء المجتمع كله . وهكذا فان قـوة العمـال اضحت سلاحا قويا في الكفاح من اجل المثل العليـا التي كانت على الدوام نبراس الانسانية في تطلعها نحو

---

1) انظر العامل ، والنقابة ـ الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب .
2) ـ (3) سعيد عبد السلام حبيب ـ الخدمـة الاجتماعية العماليـة ـ مشـاكل العمل والعمال
4) ـ سعـد عبـد السـلام حبيب ـ الخـدمـة الاجتماعية العمالية ، المرجع المذكور .

حياة ارفع . فلنتحد اذن لنقهر الفقر والاستغلال ولندمر الظلم والاستعباد ولنهزم قوى العدوان حيثما تقوم شرور الحرب واينما تشد ولنجعل هتافنا دائما الخبز والحرية والسلام »

نعم ان النقابات اليوم لم تعد مهمتها قاصرة على افراد معينين ولا على جماعة معينة ولا على مجتمع معين ولا على دولة معينة وانما تمتد هذه المهمة لتشمل الانسانية جمعاء .

واظن ان اكبر نصر احرزه العمال فى نضالهم الانساني الطويل هو فوزهم بهيئة العمل الدولية التي اسست بوحي من هذا النضال وقد اقرت هذه الهيئة وما برحت تقر خدمة للعمال والبشرية عامة الكثير من الاتفاقيات والتوصيات الدولية المنظمة لظروف العمل وللعلاقات بين العمال واصحاب الاعمال والتي تستهدف فى مجموعها اقامة صرح تشريع دولي للعمل يضمن حقوق الطبقة العاملة فى كل مكان (1)

ونخلص من هذا الى ان الحركة النقابية جعلت التنظيمات العمالية شيئا ضروريا ومعترفا به فى جميع انحاء العالم حتى فى الاتحاد السوفيتي كما ذكر لنا مرة الاستاذ نجيب السعيد وان هذه التنظيمات النقابية لتقف سدا منيعا فى وجه المستعمرين والمتسللين والدخلاء والطامعين فى ثروة البلاد . ولما كانت النقابات فى كل دولة من الدول هي الاساس الذي تقوم عليه الاتحادات العمالية الدولية اصبح من الضروري ان تكون تلك النقابات نواة طيبة لهذه الاتحادات ـ بل ان الاتحادات الدولية لاتستطيع ان تضطلع بالمسئوليات الجسام الملقاة على عاتقها والتي سلف ذكرها فى ثنايا هذا البحث الا اذا كانت النقابات القومية التي تعتمد على هذه الاتحادات وتستمد منها قوتها نقابات تتوافر فيها كل الشروط التي تجعل منها نقابات بالمعنى الصحيح همها اسعاد بني البشر اجمعين بقدر ما تحتمل وتطيق على اساس من التفاهم والتسامح

1) انظر ـ عبد المغني سعيد ـ ـ حق العمل فى الاعلان العالمي لحقوق الانسان .

المراجع

1) مشاكل العمل والعمال ـ سعد عبد السلام حبيب ـ 1951
2) الخدمة الاجتماعية العمالية 1954
3) النقابات العمالية ـ فلورنس بترسون (مترجم) بيروت
4) المساومة الجماعية ـ مكتب العمل الدولي 1959
5) الضمان الاجتماعي ـ مكتب العمل الدولي
6) اتفاقيات العمل الدولية (مكتب العمل الدولي وجامعة الدول العربية) 1959
7) العامل والنقابة ـ الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب
8) العمل والعمال ـ وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ج . ع . م 1960
9) حق العمل فى الاعلان العالمي لحقوق الانسان (عبد المغني سعيد) 1959

شؤون افريقية

البترول في ليبيا وأثره في الحياة الاقتصادية

للأستاذ يحيى المصري

يتدفق البترول فى ليبيا بسرعة كبيرة وبكميات ضخمة لم تكن متوقعة ، فمنذ عام 1955 قد بدأ التنقيب عن البترول فى الاراضي الليبية ، بعد ان منحت الحكومة الليبية الاتحادية امتياز التنقيب عن البترول لعدة شركات اجنبية منها شركة شل واوسو وموبيل اويل وشركة البترول الفرنسية وشركة البترول الامريكية الليبية ، وفى مايو 1960 وقعت اتفاقية اخرى للتنقيب عن البترول بين الحكومة الليبية وشركتين ايطاليتين تابعتين لهيئة البترول الايطالية وبذلك بلغ عدد الشركات صاحبة الامتياز فى ليبيا حوالي ست عشرة شركة اجنبية .

اكتشاف البترول

بدات هذه الشركات فى التنقيب عن البترول كل فى منطقة امتيازها ، ولم تطل فترة التنقيب فقد نجحت شركة اسو فى اكتشاف البترول على الحدود بين طرابلس وبرقة فى منتصف عام 1959 ، وفى ابريل 1960 نجحت موبيل اويل فى اكتشاف البترول فى منطقة تبعد 80 ميلا عن الساحل ، وكذلك اكتشفت شركة شل عدة آبار فى مناطق اخرى ، كما اكتشفت شركة البترول الليبية الامريكية عددا آخر من الآبار فى المنطقة الجنوبية الشرقية ويلاحظ انه حتى ذلك الوقت كان قد تم حفر 23 بئرا وجد البترول فى بعضها كما وجدت غازات فى بعضها الآخر .

العقبات التي واجهت الشركات المستغلة

اما العقبات التي واجهت الشركات المستغلة والتي ادت الى قيامها بانفاق مبالغ ضخمة حتى تم اكتشاف البترول ، فكانت تتمثل فى طبيعة ليبيا وارضها فهي صحراء تتخللها كثير من الصخور وليست بها طرقات معبدة يسهل التنقل عليها ، لذلك كانت تلجأ الشركات الى استعمال الطائرات فى نقل العمال والتموين اللازم لهم والمعدات والالات البسيطة ، ولا يخفى ما تكلفه هذه الوسيلة من نفقات باهظة ، ونظرا لان عمليات حفر الآبار تستلزم كميات كبيرة من المياه وخصوصا فى منطقة سرت القاحلة ، فقد اضطرت الشركات الى انفاق مبالغ كبيرة للحصول على هذه الكميات من المياه التي كانت تنقلها بواسطة سيارات نقل عبر طرق غير معبدة .

كمية الانتاج والفائض من البترول فى ليبيا

والتقدير الاولي للفائض من البترول فى ليبيا بعد ان تمت تلك الاكتشافات يقدر بحوالي خمسين الف مليون برميل ، كما انه ينتظر ان تصل كمية الانتاج فى ليبيا الى مايعادل الكمية المنتجة حاليا في العراق من البترول ، لذلك فمن المنتظر ان يلعب البترول المنتج في ليبيا دورا هاما بالنسبة لانتاج البترول فى العالم ، ولا شك انه سيجعل من ليبيا احدى مناطق انتاج البترول الهامة فى العالم ، ومن المعروف ان مناطق انتاج البترول فى العالم الآن هي الولايات المتحدة الامريكية ، المنطقة الكاريبية ، الاتحاد السوفييتي ومنطقة الشرق الاوسط .

الاجراءات التي اعدتها الحكومة لمواجهة هذا العامل الجديد

وحتى بداية عام 1959 لم تكن الحكومة تضع فى حسبانها هذه الاكتشافات البترولية الضخمة ، وعلى ذلك فلم تكن تستعد للظروف الجديدة التي ستترتب عليها ، وقد وضح ذلك فى التقرير الذي

اعده البنك الوطني الليبي فى مارس 1959 ، حيث ذكر فى هذا التقرير انه لم يتبين بعد ما اذا كان سوف يكون لانتاج البترول فى ليبيا اثر يذكر بالنسبة للحياة الاقتصادية الليبية ، اما فى منتصف عام 1959 وبعد ان بدا البترول يتدفق من بعض الابار فقد غيرت الحكومة نظرتها فى هذه الناحية ، واتخذت عدة اجراءات لمواجهة الانتاج المتزايد من البترول .. فسمحت لشركة اسو بتحويل مرسى بريجة الى ميناء هام لتصدير البترول ليستطيع استقبال اضخم الناقلات ، كما سمحت لها بمد خطوط للانابيب تصل مرسى بريجة بحقول البترول فى مختلف المناطق التابعة لهذه الشركة ، وقد بدأت شركة اسو بالفعل فى مد الانابيب من « زلطن » الى الساحل ، كما تدرس الحكومة فى الوقت نفسه مشروعا لتجديد ميناء بنغازي الذي اصيب باضرار بالغة اثناء الحرب وتكلف هذا المشروع حوالي عشرة ملايين جنيه .

هذا ولا تزال المفاوضات قائمة بين الحكومة التي تصر على اقامة مشروع المصفاة فى ليبيا وبين ممثلي شركات البترول الذين يرون اقامتها خارج ليبيا حيث ان قانون البترول الليبي لم يذكر شيئا من هذا الخصوص، ومن المؤكد ان اقامة هذا المشروع سيساعد على تشغيل عدد كبير من العمال الليبيين الذين سوف يستغني عنهم عقب الانتهاء من عمليات الحفر .

مميزات البترول فى ليبيا

واهم ما يتميز به البترول فى ليبيا هو غزارته فى الابار المنتجة وقربه من موانىء التصدير ، فبينما يبلغ متوسط انتاج البئر فى العالم خمسة آلاف برميل فى اليوم ، تجد انه فى ليبيا يفوق هذا الرقم بكثير فقد تدفق البترول من بئر حقل داهرا بسرعة 11.500 فى اليوم وهذا الحقل على بعد 85 ميل من الشاطىء كما انه يعتبر ثالث بئر فى ليبيا من حيث كمية الانتاج ، اما البئران اللذان يزيدان عنه فى كمية الانتاج فهما تابعان لشركة اسو ، ويقعان على بعد 160 ميلا من ولاية برقة ويبلغ ايرادهما اليومي 17.500 برميل ، 15.000 برميل على التوالي . وبالاضافة الى ذلك فان حقول النفط هناك تتميزبميزة جغرافية هامة هي قربها من مناطق التسويق فى اوروبا الغربية التي تعتبر اكبر منطقة مستوردة للنفط فى العالم ، كما يتميز البترول فى ليبيا بكثافته فهو يزيد عن الكثافة المتوسطة اي ان نسبة الفضلات به ضئيلة .

زيادة الدخل القومي

والنتائج الاولى لاكتشاف البترول فى ليبيا هي حدوث اهتزازات كبيرة فى الاقتصاد الليبي ، فبالنسبة للدخل القومي الليبي تجده قد تزايدبسرعة كبيرة خلال السنوات القليلة الماضية فبعد ان كان لا يزيد عن 15 مليونا من الجنيهات الاسترلينية فى عام 1950 اصبح يقدر بحوالي 52 مليونا فى 1958 ، ثم ارتفع الى 95 مليونا فى عام 1959 . والمؤثر الاكبر فى زيادة الدخل القومي على هذا النحو يرجع فى الواقع الى عمليات التنقيب عن البترول والى نواحي اخرى من النشاط الذي احدثته هذه العمليات مثل حركة البناء وتجارة الجملة والتجزئة ، ويتبين من الاحصائيات التي تشرتها شركات البترول فى الايام الاخيرة ان مجموع نفقات هذه الشركات خلال عام 1960 بلغ 52 مليونا من الجنيهات الاسترلينية . كما ان جزءا من الزيادة فى الدخل يرجع الى النفقات العسكرية الاجنبية والمساعدات الخارجية التي تتلقاها ليبيا من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية .

توسع قطاع التجارة والخدمات

واذا كانت خلاصة الاثر الناتج عن تلك القوى المذكورة هو ارتفاع الدخل دون زيادة تقابله فى الانتاج كما ذكرت ، فان النتيجة لذلك قد انحصرت فى توسيع القطاع الثالث (التجارة والخدمات) بينما ظل القطاع الاول (الزراعة وصيد السمك) والقطاع الثاني (الصناعة بانواعها) فى حالة ركود وتدهور .

ويلاحظ ان مجموعة التجار ورجال الاعمال اول من استفادوا بالتوسع فى نشاط القطاع الثالث ، وحيث انهم يعيدون استثمار الارباح العائدة من هذا القطاع فى نفس المجال ، فقد زادت فى السنوات الاخيرة الاموال المستخدمة فى عمليات التجارة الخارجية والداخلية وفى الخدمات المتصلة بها ، كما

زادت على وجه الخصوص الاموال المستخدمة فى المضاربة على شراء العقارات وعمليات البناء ، وكان ذلك استجابة لطلب الاجانب المساكن الفاخرة و « الفيلات » .

نقص الانتاج الزراعي

ولمواجهة الطلب كان رجال الاعمال يشترون الاراضي الزراعية والبساتين ويحولونها الى مساحات سكنية لموظفي شركات البترول ، وترتب على ذلك ان مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية التي كانت تنتج المواد الغذائية والخضروات والفواكه قد حولت الى عمارات سكنية و « فيلات » وغيرها مما ترتب عليه ايضا نقص كبير فى انتاج المواد الغذائية الاولية كما انه من العوامل التي ادت الى هذا النقص ترك عدد كبير من العمال الزراعيين لمزارعهم وهجرتهم الى المدن للاشتغال بشركات البترول او بالتجارة حيث الارباح مرتفعة .

زيادة حجم الواردات

ترتب على نقص الانتاج الزراعي زيادة حجم الواردات ، فقد بلغت قيمة واردات ليبيا فى السنوات الاخيرة اكثر من نصف قيمة الانتاج المحلي ، والاتجاه السائد حاليا يشير الى استمرار زيادة الواردات وبالتالي الى استمرار تناقص الانتاج المحلي وهذا يؤدي الى ان قطاع التجارة فى ليبيا سيتجه يوما بعد يوم ليصير جزءا مكملا لاقتصاديات البلاد المصدرة الى ليبيا . ومن ثم يقل بالتدريج ارتباطه بقطاعات الزراعة فى الاقتصاد القومي .

وهكذا نجد ان اتساع نشاط قطاع التجارة والخدمات والمكاتب المالية التي صحبت هذا التوسع قد ادت الى تدهور القطاع الزراعي ونقص الانتاج المحلي ، ولا شك انه اذا تركت هذه الاتجاهات الحالية على ما هي عليه الآن ، فستؤدي الى زيادة التدهور ونقص الانتاج بكمية اكبر ، كما انه سيضطر عدد اكبر من المزارعين الى الهجرة الى المدن الكبيرة مما يؤدي الى القضاء على المدن الصغيرة وعلى الريف والى زيادة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تترتب على هذه الهجرة الكبيرة ، وستكون النتيجة فى النهاية هي القضاء على قطاعي الزراعة والصناعة بينما يتوسع قطاع التجارة والخدمات توسعا سريعا معتمدا فى ذلك كلية على حركة الاستيراد .

ضرورة الاخذ بمبدأ التخطيط

ولمعالجة هذا الوضع القلق السائد الآن فى ليبيا ، يجب ان تقوم الحكومة برسم برامج محددة ومنسقة للتنمية الاقتصادية فى كل القطاعات ، اي يجب ان يكون هناك تنمية متوازنة تشرف عليها هيئة حكومية اتحادية ويمكن ان تمول هذه البرامج من عوائد البترول المنتظرة فى السنوات القليلة القادمة .

كما يجب ان يقوم هذا النمو المتوازن على برامج طويلة الاجل واخرى قصيرة الاجل يختص كل منها بتنمية الموارد الطبيعية والبشرية باقصى سرعة مع المحافظة على حالة الاستقرار النقدي .

معالجة الاتجاهات التضخمية الحالية

واخيرا فانه يجب ان تتخذ الاجراءات السريعة لمعالجة الاتجاهات التضخمية المشاهدة حاليا فى جميع انحاء ليبيا اذ ان آثارها ستكون اسوا ان لم تتخذ بعض الاجراءات السريعة لضبطها . والمشاهد الان ان اسعار جميع السلع فى ارتفاع مستمر ، فمثلا ارتفع ثمن كيلو اللحم الى 70 قرشا وكان ثمنه منذ اربع سنوات فقط 25 قرشا ، اما بالنسبة للايجارات فقد اصبح من العسر على الطبقة المتوسطة وما دونها ان تجد مأوى لائقا فى الوقت الحاضر مع ملاحظة ان الحكومة تنفق مبالغ ضخمة على بدل السكن للموظفين . ومشكلة نقص المساكن تزداد يوما بعد يوم .

والخلاصة انه يجب ان يستخدم عائد البترول فى تنمية اقتصادية متوازنة فى كل القطاعات كما يجب ان تسرع الحكومة فى الاخذ بمبدأ التخطيط فى سياستها الاقتصادية والا فان النعمة التي تعود على الليبيين من اكتشاف البترول فى بلدهم قد تنقلب الى نقمة .

معرض الكتب

القرآن والفلسفة

تأليف : الدكتور محمد يوسف موسى

قرأه وعلق عليه : الأستاذ مصطفى الأزهري العمري

« **وانــه** لتنزيل رب العالمين نزل به الــروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين» تلك هي دلالة القرآن الكريم المنزل على محمد (صلعم) لا يستطيع الانس والجن ان ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وفيه نبأ من الماضي وخبر من الآتــي وحكم ما بين الناس ، فلا هو بالهـزل او الوهـم او الـسحر ، ولكنه الفصل والتقرير واليقين ، اذن الله به رحمة للعالميـن واراد به ان يؤمن الناس اجمعون .

فاذا كان العالم اللاهوتي بيتـر ايرنفلـــس Peter Werenfles يعتقـد ان الانـســان يجـد فى معطيات الانجيل كل ما يطلبه فى دينه ودنياه ، فحرى بالانسـان ان يرجع دوما الى القرءان بالذات مستلهما منه نظام مجتمعه الكامل ؛ وامكان تحقيق مدينتـــه الفاضلة التي عزت على الفكر عبر تاريخه الطويل الى اليوم ؛ واجدا فيه ما يبرز حضوره الانساني كعالم اصغر موجود بارادة الهية فى العالم الاكبر المحيط بــه يـستعمله ويتفكر فيه ؛ وما يقيم سلوكه الاخلاقـــي ويحدد موقفه ككائن مكرم بالمعرفة ووعــي الامانـــة الالهية ؛ والعمل بهذه الامانة عن طريق القلب والعقل معـــا .

فالقرءان الكريم ليس كتاب احكام وتشريـــع واخلاق وحسب ــ كما زعم اميل برهية وبعـــض المستشرقين مثل دوبور ــ بل هو كذلك كتاب عقائد ونظر وجدل بالتي هي احسـن ، ودعوة صريحة الــي التفكير الفلسفي البناء ؛ وتقرير لقضايا عن مســائل الهية لها جـذور فى الميتافيزيقا ، والفلسفة والطبيعة والاخــلاق .

من هذه الدعوة .. دعوة القرءان الى التفكير الفلسفي ينطلق الدكتور محمد يوسف موسى مؤكدا فى مؤلفه القيم ــ القرءان والفلسفة (ان القرءان كان من اهم العوامل التي دفعت المسلمين الى التفلسف ، بما اشتمل عليه من فلسـفـة سواء ما يتعلق منهـــا بالانسـان وما يتعلق بالله وصلته جل وعلا بالانسان ص 5) وبتعبير آخر ان القرءان يمثل المصدر الاول الذي رفد الفكر العربي الاسلامي فى مختلف اتجاهاته ، واثـــر تاثيرا مباشرا مستمرا فى المجتمع الاسلامي .

وعلى هذا الاساس فان القرءان الكريم اذ يطرح مشكلات فلسفية ويهبها فى الوقت عينه حلولا نهائيـــة مطلقـة يدفع الفكر الانساني الى مناقشة هـــذه المشكلات بالتفهم ويقنعه بصحة تلك الحلول وصدق نتائجها التي تحسم الشك باليقين ؛ وتحيل الايمان المبهم المنفعل الرجراج الى ايمـان واضح ، فاعـل ، ثابت مضاء بنور العقــل .

ومن النافع ان نبين ان مدلول لفظ ــ الفلسفة ــ الوارد فى محتوى (القرءان والفلســفة) لا يعني ما عرفه تاريخ الفلسفة من اقامة مذاهب متماسكة على نحـــو منطقي مرصوص البنيان ، ووضع نظريات مبوبـــة مقيدة بمقدمات ينتج عن صدقها صدق النتائـــج ، اذ القرءان باعتباره كتابــا الهيــا لا يعـرض مـذاهب ومنظومات فلسفية ولا يحصي الاشياء ويمنطـــق المسائل ويجمد الموضوعات فى مذهبية محكمة محصنة بالقياس ، بل القرءان فى مضمونه وطبيعته واسلوبــه لا يتكلم عن اي موضوع الا كلاما مطلقا يفهمه الانسان فى اول الامر دفعة واحدة بتدخل مباشر من العاطفة والوجدان ، ثم ياتي دور العقل فيرتب ويبوب ويفصل،

وبكلمة اخرى : ان القرءان لا يخاطب الفلاسفة اصحاب المذاهب من طراز هجلي مثلا ولكنه يخاطب الانسان الفيلسوف Homo Philosophiens بالمعنى الواسع ، انسان السؤال الباحث عن الحقيقة بما يحتازه من حق المعاناة الفكرية .

كما ان ما اصطلح عليه الفكر من كلمتي مشكلة فلسفية ـ ليس له ذات المدلول في القرءان اذ المشكلة في الاعتبار الفلسفي هي قضية او قضايا تند عن التحديد وتفرض الحل، فما يعتبره الفيلسوف مشكلة فلسفية يعتبره القرءان قضية محلولة بصورة نهائية حلا مسبقا منذ الازل ، وما على العقل الا ان يكتشف هذا الحل بممارسة مقدرته في الاستدلال والتقييم .

فالتفكير الفلسفي الذي يلح عليه القرءان ويدور حوله كتاب (القرءان والفلسفة) له دوره الاصيل لا في وضع مذهب يعارض مذهبا آخر او يكمله بل في المسعى الحر الواعي الذي به يستطيع الشعور الذاتي ان يتفهم معطيات الكون ويتدبرها ، وبهذا المعنى يقول محمد موسى (ان القرءان بما اشتمل عليه من اصول الفلسفة الالهية والطبيعية قد دفع المسلمين للتفلسف بمعناه الواسع ص 30) .

من هنا نستطيع القول : ان مدار (القرءان والفلسفة) توكيد قوي الدلالة على استدعاء العقل الى تدبر خلق السموات والارض ، والحاح شديد على تقوية الايمان بالتفكير ، ودعم الشعور بالتبصر دونما ركون الى تقليد مخدر خادع . قال تعالى: « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا » فالقرءان صريح في الحديث عن مسائل فلسفية : كالخلق والبعث والبرهنة على وجود الله والانسان والكون والحياة ، وبعبارة اخرى ان الجانب الفلسفي من القرءان يفصح عن الاقطاب الثلاثة التي استقطبت حولها الفلسفة خلال تاريخها حتى اليوم ، هذه الاقطاب هي : الله ـ العالم ـ الانسان ـ وحديث القرءان هذا هو حل نهائي مطلق لجميع تلك المسائل الفلسفية ورد في القرءان بالخصوص في صورة شاملة قطعية يقينية لم تشر اليها ـ في اعتقادنا ـ كتب الاديان المنزلة الا اشارات عابرة ، ويكفي ان نذكر هنا ان المسيحية تنظر الى الله انه يجمع الاقانيم الثلاثة (الاب والابن والروح القدس) بينما الاسلام يلح على تعالي الله وتنزيهه وتوحيده «ليس كمثله شيء » وهذا اصفى توحيد واروعه جاء به القرءان صريحا قوي الدلالة ، فذا في التعريف والتحديد بعدما اضطرب الفكر طويلا في اعطاء تعريف مانع لفكرة الله فكانت كلمة الله هي العليا « ولله المثل الاعلى » .

فهل كان للجانب الفلسفي من القرءان تأثير في تاريخ الفكر العربي الاسلامي ؟

ان المؤلف يكشف عن مدى هذا التأثير في فرع من فروع الفلسفة الاسلامية هو : علم الكلام سيما وان القرءان كان احد الاسباب الهامة التي انبثق عنها علم الكلام بجانب قيام الدولة على اساس الخلافة، وما نتج عنه من صراع بدأ سياسيا وانتهى دينيا ثم وجود بعض العقائد والديانات التي تخالف فكرة التوحيدوتعارض التعالي الالهي كالمانوية والزرادشتية والمزدكية ، والحلولية ، والراي الافلاطوني القائل بان الله يخلق على مثال سابق ، والاعتقاد المسيحي بوجود الاقانيم الثلاثة مما دفع الفرق الدينية وخاصة المعتزلة باتخاذ موقف « المحامي » والمدافع عن الاسلام بالاسلوب المنطقي والحجة من القرءان والتفلسف في الدين والايمان .

ومن الجائز ان نبين هنا ان مؤلف كتاب (القرءان والفلسفة) حرص على ربط دعوة القرءان الى التفلسف بالنهج الذي نهجه التفكير المعتزلي والسني ، وما انتهى اليه ذلك النهج من نتائج من موافقة لنص القرآن او مخالفة له ، فالتفكير المعتزلي يقدم العقل على النقل اذا عارض النقل مبادىء العقل، والتفكير السني يقول بالنقل اولا وما يوافق مذهبيهما من الآيات المتشابهة فهو محكم وما يخالفهما فهو متشابه ، وهكذا اعتمد كل من المذهبين التأويل في القرءان قصد اتفاق معنى آية ما مع مقتضى المذهب ، ونرى تطبيق التأويل من وجهتي نظر اهل السنة والمعتزلة في مسائل فلسفية طرحها القرءان في اكثر من آية :

1 ـ في ذات الله وصفاته من حيث التوحيد ونفي الصفات (المعتزلة) او اثبات الصفات كما وردت في القرءان (اهل السنة المعتدلون كالاشاعرة) او الغلو في التشبيه والتجسيم (اهل السنة المتطرفون كالمجسمة)

ب ـ في العدالة الالهية وهذه المسائل تتوزعها مباحث ثلاثة : 1) العمل بين الله والانسان. 2) الاضلال والهداية . 3) الوعد والوعيد .

وواضح ان هذه المباحث الثلاثة شديدة الاتصال فيما بينها وكلها تتركز في مبدأ اساسي هو العدل بلغة المعتزلة ، او الفعل الالهي او الفعل الانساني بلفظ فلسفي ، وقد شغل هذا المبدأ التفكير الديني الاسلامي حقبة طويلة من الزمان برزت خلالها فكرتان هامتان لهما وزنهما الفلسفي في تاريخ الفكر الاسلامي ، ونعني بهما اولا فكرة اهل السنة القائلة بان فعل الله مطلق لا نهائي يشمل الخير والشر على السواء والله كما يقول الاشعري هو الذي يخلق الفعل ، وقدرة العبد على اصدار ذلك الفعل ، اي في نهاية التحليل يكون حل الاشعري واهل السنة عامة يسلب قيمة الفعل الانساني ما دام (الفعل وقدرة العبد المسماة بالكسب يخلقهما الله وحده ص 114)

فهذا الحل حين يقول ان ارادة الله شرط ضروري لقدرة الانسان على العمل ، وهو بقدرته على الفعل يكسبه ، بمعنى ان ارادة الله تهيىء الممكنات ؛ والانسان يختار منها ، فيكسب فعله ؛ وهذا الحل في اعتقادنا ضرب من الجبرية الاخلاقية ، باعتبار ان الشرط الاساسي للعمل الاخلاقي هو الحرية الملتزمة بالضرورة ليكون الانسان فاعلا اخلاقيا Agent moral وثانيا فكرة الموقف المعتزلي التي ترى ان الله يريد الخير ولا يريد الشر ، وعناية الله « يجب » ان تتجه الى الاصلح لعباده ، ولكن من اين اتى الشر ؟ انه اتى من الانسان ، من صنعه وخلقه ، اذ الله لو اراد كفرا لكافر لما نهاه عن الكفروهو شر، ووجود الكافر دليل على ان الكفر من صنع الانسان بدليل ان الله نهاه عن الكفر فلم يرعو ، والتوكيد على فكرة الجزاء دليل على ان الانسان مسؤول ، ومسؤوليته تقع على عاتقه بمجرد اختياره ـ بالعقل ـ احد الممكنين : الحسن او القبح .. الخير او الشر وعلى الله قصد السبيل ، اما الافعال الانسانية فهي من الانسان ارادها بارادته وحرية اختياره ، فهو ملتزم ومسؤول عن نتائجها بالوعد او الوعيد اللذين « يجب » على الله ان يطبقهما بالثواب او العقاب ، وهذه محاولة عقلية خطيرة من جانب التفكير المعتزلي لانقاذ حرية الانسان واثباتها في نفس الوقت ، للمحافظة على مشروعية التكليف والالتزام والابقاء على معناهما ، اذ (لايكلف الله نفسا الا وسعها) فالله تعالى ـ في اعتقاد المعتزلة ـ يفعل ما هو الاصلح لانه كامل والشر لا يصدر عن الكامل بل هو منسوب الى الانسان لانه ناقص ، اما الاعتقاد السني فيرى ان الله قادر على الشيء وضده ، واطلاق حرية الانسان تحديد لحرية الله المطلقة بجعل الله سبحانه الها عاجزا ، فالى اي حد يستطيع العقل ان يوفق بين الفعل الالهي والفعل الانساني ؟ يقول المؤلف : و« بعبارة صريحة الاله الحق الحكيم هو الاله الذي جعل من نفسه وارادته بعض الحدود حسبما رأى وقدر من حكمة وعلم ما سيكون عليه كل من خلقه من هدى وضلال حسب طبيعته واستعداداته واتباع عقله او هواه ، فييسره لمصيره الذي اختاره لنفسه ، وبذلك لا يكون الله قد حد احد من ارادته او قدرته ويكون في نفس الوقت عادلا ايضا تمام العدالة ص 152) .

وهذا يعني ان الارادة والقدرة من خلق الله ـ كما يقول السنيون ـ خلقهما الله في الانسان على النحو الذي تقع فيه الاشياء وتتم الافعال التي علم الله ازلا انها ستكون (ولا يتدخل في اعمال الانسان الا بقدر محدود ما دام قد امده بالعقل الذي به يتصرف في هذه الحياة ، وما دام سيسأل في الدار الاخرى عن اعماله في هذه الدار الدنيا ص 151 . كما يقول اهل العدل والتوحيد ، فهل يستطيع هذا الراي التوفيقي الى حد ما ـ ان يمنح مسالة العدل في ثوبها السني او في ثوبها المعتزلي حلا نهائيا مرضيا ؟ هنا ينبغي على العقل ان يعترف بالعجز كل العجز عن متابعة سيره نحو امتلاك الحل النهائي في هذه المسالة الشديدة التعقيد ، ولا شك انها مشكلة الاخلاق كذلك في جميع مراحل التاريخ الفلسفي ، بدات يوم ان ملك الانسان وعيا بفكره وقيمته ولم تنته بعد وقد لا تنتهي ، ولذا يقول المؤلف (ليس بمكننا ولعله لا يمكن احدا حتى الآن ان يعرف ويحدد بالضبط المدى الذي يكون لقدر الله الذي لابد أن يكون ، والذي لارادته وقدرته اللتين يحس بهما تماما في الفعل الذي يصدر عن الانسان ـ علم ذلك لله وحده ولا نعتقد معرفته ضرورية في الدين واذا فلنقف عند هذا ص 154) .

وصفوة القول : ان القرءان بما اشتمل عليه من اشارات فلسفية ضمن آياته المحكمات ثم المفصلات كان له اثر ضخم في علم الكلام بصورة خاصة بدفع المتكلمين الى الالتجاء اليه ، اما بالاخذ الصريح او تاويل الايات المتشابهات باسلوب عقلي ومنهج منطقي

ومن البين ان هناك عوامل اخرى اثرت كذلك في التفكير الكلامي كالتراث اليوناني ومعطيات الديانة المسيحية كالتثليث والتجسد والخطيئة الاصلية ووجود تيارات اجنبية على الفكر الاسلامي كالمانوية والبرهمية وغيرهما ، الا اننا نعتقد مع الاستاذ احمد امين ان القرءان الكريم بدعوته الانسان الى التفلسف كان السبب الاول في نشأة المذاهب الكلامية التي تمثل الفلسفة الاسلامية الحقيقية لما في عناصرها ومقوماتها من اصالة وابداع يتصلان بالفكر العربي الاسلامي في الموضوع والغاية رغم اضطرارهما الى الاستعارة احيانا من منطق ارسطو .

بيد ان القرءان نزل من لدن حكيم عليم متحدثا الى كافة الناس حديث القلب والعاطفة والبلاغة والفصاحة وداعيا الى الايمان المتحمس الصادق مستخدما في كل هذا منطقا بسيطا يعتمد على الاستدلال الاستقرائي ، والاستقراء التاريخي ، فالدين الاسلامي لم يات للفلاسفة وحدهم ولا للعلماء وحدهم وانما للناس اجمعين ، للعجوز الساذجة التي آمنت — بصدق — بان الله موجود في السماء ، وللمعتزلي الذي آمن — بصدق ايضا — ان الله في كل مكان وليس (بالمعنى الحسي) ولهذا يقول المؤلف في آخر كتابه :

« القرءان لم ينزله الله على الرسول (صلعم) لياخذ منه المتكلمون اراءهم ومذاهبهم على اختلافها وان كلفتهم هذه الاراء والمذاهب التعسف في التأويل احيانا لكثير من آياته ، بل انه فضلا عن تقديره للعقائد الدينية وتقديم الادلة عليها يجب ان نعرف كيف نصل بالقرءان الى معرفة الله المعرفة الحقة التي يؤمن بها القلب قبل العقل ، اي المعرفة التي لا يصل اليها العقل وحده ص 176) .

تعليق :

1) القرءان والمجتمع الذي يدعو اليه . 2) طبيعة القرءان تدعو للتفلسف . 3) ذات الله وصفاته . 4) العدالة الالهية .. تلك اربعة فصول تضم جماع الافكار التي جاء بها كتاب « القرءان والفلسفة » تبدأ من نقطة رئيسية هي : دعوة القرءان الى التفكير الفلسفي وتتجه اتجاهين متنابذين كل التنابذ : اتجاه السلف واصحاب النقل ، واتجاه المعتزلة دعاة العقل ، وتنتهي اخيرا الى نتيجة لا شك في صدقها وهي : توكيد القرءان على استعمال العقل دون الغلو في ذلك الاستعمال ، اذ الاسلام كاي دين سماوي جاء ليخاطب الانسان كله قلبه وعقله ومن الخطر على الاسلام ان يقف المسلم الصادق الايمان موقفا سلبيا .. موقف المتفرج امام امور الدين بدعوى التواكل والتسليم اللذين يدفعان الانسان الى خسران كرامته وجدارته ، ونحن نوافق المؤلف على ان معرفة الحقائق الدينية تاتي في البدء عن طريق القلب قبل العقل ، ولكن هذا في نظرنا لا يعني ان نهدم العقل لكسب القلب بل الاجدى ان يبدا العقل عمله حيث انتهى القلب وبهما معا يكون الشعور الديني اشبه بنهر ينبع بقوة وعنفوان من قلب جبل ليستقر بواد يهدىء جموح تدفقه وهيجانه بانبساط ارضه وغنى ثرائه .

كتاب — القرءان والفلسفة — محاولة فكرية جدية تجرا على التحدث بتفصيل عن موضوع شائك تجنبت التعمق فيه اقلام كثيرة ومسته مسا رفيقا اقلام قليلة فكان هذا الكتاب — في آخر التحليل — الرد الصريح على الذين افتروا على القرءان كذبا فقالوا انه كتاب يحارب حرية الفكر ويناهض النظر العقلي امثال : ارنست رينان وتنان ، الا ان لنا بعض الآراء الشخصية قد لا تنقص من قيمة الكتاب فقد كان بودنا :

1) الا يقف المؤلف الكريم عند المعتزلة واهل السلف فحسب بل كان من الاحسن ان يتعدى ذلك الى بقية المتكلمين كالشيعة والمرجئة والخوارج لاعتماد هذه الفرق الدينية كذلك على القرءان بالتأويل والتفسير .

2) ان يصنع المؤلف مقارنة نقدية وتاريخية بين المعطى القرءاني في المسائل الفلسفية ، والمعطى المسيحي في تلك المسائل ، لابراز قيمة التفكير الفلسفي في طريقتيهما وموضوعيهما والحلول التي قدمها كل منهما ازاء : الاله — العالم — الانسان .

3) ان يتطرق المؤلف الكريم الى دعوة التفكير الديني من جديد فى الحقائق الاسلامية خاصة لدى مدرسة الاصلاح والتجديد التي يتزعمها الشيخ محمد عبده وسيد امير ومحمد اقبال فيعرض علينا الاسباب التي ادت الى ميلادها ، ومعطيات العصر الذي تمت فيه . وكبرت ، والافعال التي قامت بها بالرجوع الى القرءان من الناحية الفلسفية بصورة خاصة على ضوء العقل .

4) نحن نعتقد ان الجانب الفكري لا ينفصل عن بقية جوانب التاريخ الحضاري لاية امة فتاريخ المعتزلة او الشيعة او الاشاعرة هو جزء من مجموع التاريخ الحضاري للعرب والمسلمين فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة وهذا يدفعنا الى عرض حالة المجتمع العربي الاسلامي فى تلك القرون وذكرطبقاته المتجسمة فى قسمين كبيرين : الخاصة والكافة بتبيان التأثير المتبادل بينهما ونمط حياة كل منهما ، وبعبارة اخرى ان الجانب الفكري الديني فى الاسلام وثيق بالجانب الاجتماعي ، لقد كنا نتمنى ان يربط المؤلف بين جميع هذه الجوانب وبين القيمة التاريخية لكل واحد منها من خلال كل فرقة من الفرق الدينية الاسلامية .

وبعد : فان كتاب (القرءان والفلسفة) يتضمن تفكيرا دينيا ، فلسفيا معا ، قيما فى طريقته واسلوبه منصفا فى اكثر من موضع اهل السنة واهل العدل والتوحيد جميعا اذا وافق راي احد الفريقين ما دعا اليه القرءان دونما تعصب او تعسف .

ولعل هذا الكتاب يحفز الفكر العربي المعاصر فيكتشف آفاقا جديدة فى مجالات التفكير الديني فى الاسلام ويناقش بالعقل والايمان ما جاءت به الفلسفات الحديثة والمعاصرة من افكار تنضح بالمادية والالحاد ونفي الحقائق الدينية فى كل دين فيفندها جميعا بالحجة القاطعة ياتي بها من صميم كيان الاسلام لا من خارج هذا الكيان .





ذكريات مراكش

للشاعر المدني الحمراوي

هنالك فى حضن مراكش ... غفا المجد ملتحفا بالقرون

يداعبه حلم مشرق ... يفيض بذوب المنى والفتون

تميس الصبايا على جنبه ... وهن يغنين احلى اللحون

وقد رفرف النور من فوقهـ ... ـن ورنحهن الصبا والمجون

يرتلن فى مسمع الاطلس ... نشيد الخلود بصوت حنون

وتاتي المواكب فى هيبة ... تباعا وقد اثقلتها السنون

تمر فتمضي الى منبع ... وراء الغيوب طواه السكون

مواكب سار على راسها ... عباقرة العزة الامجدون

فذا طارق سار فى جنده ... يسوق الى الخصم ريب المنون

وابن تشافين فى جيشه ... يبيد العروش يدك الحصون

وابطال « جرمية » اقبلوا ... صواعق ترتج منها الحزون

وآل مرين فمن بعدهم ... عصائب عز تقر العيون

* * *

اذا ما حللت بمراكش ... رايت الجمال بجنب العلاء

بدائع حسن تثير الهوى ... وتبعث فى القلب حلو الرجاء

اشاهد فيها جمال الربيع ... وحلي الغروب وصبغ السماء

واسراب غيد برعن الحشا ... برقتهن فضحن الظباء

لهن سهام يسلطنها ... من الاعين الساحرات الضياء
خلبن بسمرتهن الحجا ... ونطق رخيم كرجع الغناء
وكم من رياض تعهدتها ... اصيلا وصبحا وعند المساء
فعالجت القلب من همه ... واضفت عليه السنا والهناء
اقام الربيع بها موسما ... فعلق فوق النخيل اللواء
واطلع انجمه فى الربى ... وعبق ريحانه فى الفضاء
واسدى والحم فوق المروج ... زرابى حازت ارق البهاء
يطوف الفراش على متنها ... ويرقص فى طرب وازدهاء

* * *

وفى غرف بالقصور التي ... حوت صحف العزة الغابرة
قرات قصائد فى خطها ... براع الفنون على دائرة
حباها الجمال حلى حسنه ... فراقت بدائعها الباهرة
يخاطب منها لسان الخلود ... بصيرة ذي الفهم والباصرة
فيعقل من كنهها حكمة ... ويقرا اخرى بها ظاهرة
يطالعه الغيب من خلفها ... بما صنعت اعصر دائرة
فيحيى بروحه فى سالف ... وجسمه فى ساعة حاضرة
يشخصه اثر بالغ ... من الفن والصنعة الماهرة
فيبصر قوما مضى عهدهم ... وقد زالوا عزة قاهرة
لهم فى العلى همة حرة ... وعزم له فتكة باترة
ومجد مآثره جمة ... واياته بالعلى عامرة
له قصة قد حكى نصها ... « جليز » بلهجته الحائرة

"لومومبا" الحي

مهداة الى جميع شهداء الحرية

للشاعر
أحمد البقالي

لومومبا ... على قبرك الجلنار
سينبت بالليل قبل النهار
لينفث نار
تبخر عصبتهم بالبوار

ستحرق احلامهم كالهشيم
وتلقي بارواحهم في الجحيم
كاثم عظيم
يبشرهم بعذاب اليم

دماؤك .. تلك الدماء الزكية
ستروي بدور الابا والحمية
لتبعث حية
كادغال افريقيا الازلية

ذوت صرخاتك بين الهول
ترددها ضربات الطبول ،
بصوت مهول
تجاوب مثل خوار العجول

ومن قرن جاموسة كالنفير ،
اتت سمع كل غلام صغير ،
وشيخ كبير
كصخرة نار أتت من سعير

وقد كان يعلو رنين السلاسل
وقصف السياط ، وضرب المعاول
صراخ الاوائل
واحزانهم في الضحى والاصائل

فهل يوقفون هبوب الرياح
وهل يمنعون انبلاج الصباح
اذا هو لاح
يمص الندى من ثغور الاقاح

غدا يسمعون خرير الجداول
واجمل ما غردته البلابل
وتمضي السلاسل
لتبني سواعدهم كل هائل !



للشاعر عبدالكريم التواتي

الى الذين يريقون دماءهم دون وعي دفاعا عن .. اوهام واباطيل الاقوياء

الى الذين يموتون فى سبيل لا شيء ...

الى الذين يكافحون من اجل السلام واسعاد المجموع ..

يا اخي انني وانت على رغم الديانات فى الدنى اخوان
والديانات مذ توالت على الارض دعتنا للحب والايمان
وكلانا انا وانت خليقان بان نحيا فى صفا وأمان
هذه الارض امنا ، والسماوات ظلال ترعانا فى اطمئنان

❋ ❋ ❋

نحن فى الكون يا اخي بسمات مشرقات الرنين والالحان
سكبتها الاقدار فى مسمع الدنيا نشيدا منسق الاوزان
وتهادى جمالها الرائق الاخاذ كل الوجود ، والنيران
فاذا نحن فى ضمير البرايا نغم حي دائم الخفقان
وتسابيح شع منها هدى الحق مضيئا ، فى احلك الاحزان
فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان ؟

❋ ❋ ❋

ولماذا ندوس فى فورة الجهل تماثيل حبنا الفينان
ولماذا اخي نحطم بالحقد دنانا كانتا يائسان
ابدا يا اخي فانا ابتسامات العذارى لمغريات الاماني
ابدا يا اخي فانا لذا الكون تحايا مقدسات المعاني
وانا يا اخي وانت على الحق غيوران ، للهدى ساعيان

❋ ❋ ❋

يا اخي انني وانت على رغم هوانا وانفنا اخوان
وحدت بيننا المصاير والاقدار مذ كنا فى ضمير الزمان

المبادىء واللون والجنس الفاظ بلا روح او بدون معان

والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان

نحن لا ننتمي لشرق ولا غرب ولكن ننمي لذا الانسان

الحضارات ملكنا نحن الاثنين خلقناها بالدما والجنان

والحروب المدمرات عدو لكلينا البيض والسودان

❋ ❋ ❋

يا اخي لم يقاتل البعض منا البعض ظلما كاننا عدوان

والعلامات بيننا مذ قديم الدهر كانت قوية الارسان

والدعامات والوشائج بين الناس قدما متينة البنيان

ووسامات ساحة الحرب ليست غير خزي الانسان للانسان

❋ ❋ ❋

يا اخي لم تسابق الدول الكبرى لانتاج افتك النيران

الملء الارض الجميلة رعبا باسم حفظ السلام والاوطان

التدمير ما بنينا من الاحلام او شدنا من صروح الاماني

القتل الحب المفمخ روحينا باغلى واطيب الريحان

التمزيق قلب ام رؤوم باغتيال الاباء والولدان

التفكيك وحدة الكون والارض وتحقيق رغبة الشيطان

التنفيذ ما اراد طغاة الارض من محق سائر الاديان

❋ ❋ ❋

يا اخي لم يخصص المال للحرب وتبقى الشعوب للحدثان

وبنو الارض يشتكون عراة وجياعا فى ذلة وهوان

يترجون ان ينالوا قفار الخبز هل نحن عنهموا غافلان

وانا يا اخي وانت بما نأتي اعتباطا للابريا ظالمان

❋ ❋ ❋

يا اخي لم حملنا ضد امانينا سلاحا كاننا خصمان

وكلانا اخي عدو لما يحمل جم العداء والشنآن

يا اخي ما اراك الا وجودا وامتدادا لروحي الهيمان

فلنسر فى طريقنا نحقق فى صبر رجاء الحياة فى الانسان

فالالاه الرحيم يكلأ بالتوفيق مسعى الانسان فى الاحسان

فلم الحرب يا اخي وامانينا سواء واننا اخوان

قصة العدد



- 2 -

... لقد احست بانها حامل .. مر الزمن سريعا ، وحانت ساعة الوضع ، فلم يجراوا على ان يثقوا في قابلة ، وقامت الام بمهمة القابلة مضطرة ؛ فولدت « ليوكاديا » طفلا في غاية ما يمكن ان يتصور من جمال ، وبنفس التحفظ والسرية اللذين احاطا بولادته ، حملوه الى ضيعة يملكها الجد حيث ربي هنالك طيلة سنوات اربع ، ثم جاء به جده الى داره على انه ابن اخيه ، وتم ربي تربية ان لم تكن تربية بذخ فقد ربي على الاقل في سعة .

وقد سموه « لويس » لان جده ناداه هكذا ، كان جميل المحيا ، وديع الطبع ، دقيق الادراك ، وكانت تبدو عليه علائم النبل في كل عمل يستطيع القيام به في تلك السن الفتية ، وفي كثير من الحالات كانت جاذبيته وجماله الملحوظ مما يحبب فيه جديه اللذين رايا السعادة فيما راته ابنتهما تعاسة ، لانهما قد منحا حفيدا ، وعندما كان يذهب الى الطريق كانا يمطرانه بالاف من الدعوات ، بعض هذه الدعوات يعوذ جماله ، وبعضها يعوذ امه التي انجبته ، وهذه للاب الذي اورثه النبل ، وتلك لمن نشاه نشاة حسنة .

... بين هذا الاطراء ممن عرفوه بلغ الطفل السادسة من عمره ، وفي هذه السن كان يعرف اللاتينية والرومانية قراءة وكتابة بنظام وبخط جميل ، لان جديه كانت نيتهما ان يجعلا منه عالما فاضلا ، اذ لم يستطيعا ان يجعلاه غنيا ، وكان العلم والفضل ليسا غنى ، اذ لا يطلق عليهما غنى حتى لدى اولئك الذين لا يفهمون الثروة فهم اللصوص .

— 5 —

وقد حدث ذات يوم ان ذهب الطفل الى احدى قريبات جدته يحمل اليها رسالة من جدته ، وكان عليه ان يعبر احدى الطرقات التي يجري فيها النبلاء سباقا للخيل ، فجال الطفل بنظره يمينا وشمالا ثم تخير له موضعا يعبر منه ، ثم عبر من جانب الى آخر في وقت لم يستطع فيه ان ينجو بنفسه من فرس كان مقبلا في ميعة احضاره . فاصطدم به وطواه تحت حوافره ، وتركه كالميت ينزف الدم بغزارة من راسه ، ولم يكن من السهل على الفارس ان يتلافى ما وقع .. وساعة وقوع الحادث كان ثم نبيل شيخ يشهد السباق ممتطيا جواده ، فما كاد يقع نظره على الطفل ، حتى القى بنفسه من فوق جواده ، وذهب الى حيث كان الطفل ملقى فانتزعه من ذراعي شخص كان قد امسكه، واخذه بيديه وانطلق به مسرعا نحو منزله، ولم يحسب حسابا لا لشيخوخته ولا لمركزه ، وقد امر خدمه ان يتركوه وان ينصرفوا للبحث عن جراح يعالج الطفل ، وقد تبعه كثير من الوجهاء متاثرين لما اصاب الطفل الجميل ، وان صوتا قد قال بان المصاب هو « لويس » ابن اخ الوجيه « فلان » ذاكرا اسم جده ، ولقد انتقل هذا الصوت من فم الى فم حتى وصل الى مسامع جديه ومسامع امه المستخفية ، فخرج هؤلاء كالحمقى

يبحثون عن عزيزهم ، ولما كان الوجيه الذي حمل الطفل الى منزله من الشخصيات الرئيسية المعروفة ، فقد ارشدهم الكثيرون الى داره ، فوصلوا اليها في الوقت الذي كان فيه الطفل بين ايدي الجراح ، وقد طلب الوجيه صاحب الدار من جدي الطفل – وقد حسب انهما ابواه – الا يبكيا ولا يرفعا اصواتهما ، اذ ليس في ذلك مصلحة الطفل ، وكان الجراح الذي تولى علاج الطفل مشهورا فعالجه بمهارة وعناية كبيرتين ، وقال : ان جرحه ليس مميتا كما خشي ذلك في باديء الامر ، ولقد صدق الطبيب ففي منتصف العلاج رجعت الى الطفل ذاكرته، وقد كان فاقد الذاكرة حتى ذلك الوقت، فسر لرؤية ذويه . . ثم ساله هؤلاء باكين كيف يشعر ؟ فاجاب بانه حسن ، الا ان جسمه وراسه يؤلمانه كثيرا، فامر الطبيب بالا يتكلموا معه وان يدعوه يستريح ، وكذلك فعلوا .

ابتدأ جده يشكر لرب الدار ما احاط به – ابن اخيه – من عناية ومن عطف ، وقد اجاب الوجيه بانه ليس ثم ما يستدعي الشكر ، لانه قد راى في الطفل صورة ابنه الذي يحبه كثيرا ، الامر الذي حدا به ان يحمل الطفل فيجيء به الى منزله ليبقى حتى تلتئم جراحه محاطا بالراحة والعناية ، وقالت زوجته نفس القول ، فبقي القوم معجبين من الوجيه وزوجته ، ولقد كانت ام الطفل اكثرهم اعجابا ، لانها قد هدات كلمات الطبيب صرخات روحها، كانت تنظر باهتمام الى الجناح الذي فيه ابنها ، وبعلامات كثيرة جلية عرفت ان ذلك الجناح كان هو نفسه الموضع الذي انتهى فيه شرفها ، وابتدات فيه تعاستها ، ومع انه لم يكن مزينا بالسجف الحريرية التي كان مزينا بها اذ ذاك فقد عرفت مكانها منه ، رات النافذة التي يحيط بها من الخارج شبكة من القضبان الحديدية والتي تشرف على الحديقة ، ولما كانت مغلقة بسبب وجود الجريح فقد سالت عما اذا كانت تلك النافذة تطل على اية حديقة ، وقد جاءتها الاجابة بنعم . ولكن ما عرفته اكثر هو الفراش ، فقد كان هو نفسه القبر الذي دفن فيه شرفها .. ثم اكثر .. فالمكتب الذي كان فوقه تمثال المسيح الفضي الذي اخذته ، كان هو بعينه بل وفي نفس المكان من الحجرة . واخيرا اظهر الحقيقة الى الضوء واخرجها من ظنونها كلها درج السلم الذي كانت قد عدته عندما اخرجت من الجناح مغطاة العينين ، نعني الدرج الذي يؤدي من الجناح الى الطريق العام ،فعند رجوعها الى دارها تاركة وراءها ابنها عدته ثانية فتاكدت لها الحقيقة ، وازاء هذا كله نفضت مجمل تصوراتها وملاحظاتها الى امها ، وهذه بدورها جعلت تستفسر عما اذا كان للوجيه الذي يعالج حفيدها ابن او كان له ابن ، وقد تبين لها ان له ابنا هو الذي سمياه « رودولفو » وانه في ايطاليا . وبتقدير الزمن الذي قيل لها انه غابه عن اسبانيا وجدت انه نفس الاعوام الستة التي هي عمر الطفل ، فلم تر بدا ان تخبر بكل ذلك زوجها ، وبين الاثنين وابنتهما تم الاتفاق على ان ينتظروا ما الله صانع بالطفل الجريح . مضى اسبوعان على وقوع الحادث استطاع الطفل خلالهما ان يكون بمامن من الخطر الذي كان يتهدده ، ثم لم يكد يمضي شهر حتى نهض معافى ، وطيلة فترة تمريضه كانت الام والجدة تزورانه ، كما كان موضع الرعاية من ارباب المنزل كانه ابنهما .

وقد تحدثت السيدة « استيفانا » وهي زوجة الوجيه – الى « ليوكاديا » ذات مرة فقالت لها ان ذلك الطفل قريب الشبه بابن لها يوجد في ايطاليا ، وانها ما نظرت اليه مرة الى بدا لها انها ترى ابنها امامها ، ولقد وجدت « ليوكاديا » الفرصة سانحة ان تفضي اليها ذات مرة وهما على انفراد بما سبق ان قررت مع ابويها ان تقوله لهم من هذه الملابسات .. قالت : يا سيدة : في هذا اليوم الذي سمع فيه ابواي بان « لويس » قد اصابه ما اصابه ، اعتقدوا بان العالم قد سدت سبله من دونهما ، وخيل اليها انهما قد فقدا ضوء الاعين وعصا الشيخوخة لما اصاب الطفل الذي افرطا في حبه على نحو اكثر مما تعوده الآباء نحو بنيهم، ولكن كما يقال في العادة : ان الله عندما يصيب بالداء ينزل الدواء . ولقد وجد الطفل دواءه في هذه الدار ، كما وجدت فيها بعض الذكريات التي لن استطيع نسيانها ما حييت ، انا يا سيدة نبيلة .. لان ابوي نبيلان وقد كان جميع اسلافي نبلاء ، لديهم نصيب من الثروة قد كفل لهم ان يحيوا شرفاء ، وان يكونوا سعداء اينما عاشوا .. كانت السيدة « استيفانيا » تستمع الى حديث « ليوكاديا » باعجاب ودهشة ومع انها لم تستطع ان تعتقد صحته الا انها راتها على جانب من التعقل رغم صغر سنها ، فقد كانت قدرت سنها بعشرين عاما تزيد او تنقص قليلا ، ومن غير ان تقول لها شيئا اوتعترض عليها بكلمة، انتظرت حتى تكمل « ليوكاديا » كل ما ارادت ان تقوله ، وقد كان في ذلك ما يكفي ان تروي لها هذه فعلة ابنها وتجرده من الشرف .

... اختطافها .. وتغطية عينيها .. والاتيان بها الى ذلك الجناح ، ثم لكي تؤكد ما قالت اخرجت من صدرها تمثال المسيح الفضي الصغير .. ثم استطردت قائلة : هذا الطفل الذي برهنت على منتهى حبك لـه يا سيدة هو في الحقيقة حفيدك . ولقد كان هذا الحادث الذي اصابه اذنا من السماء كي يؤتي به الى دارك ، وان اوجد انا فيها ، كما انتظر انه يجب ان اكون فيها ، واذا لم يكن في ذلك العلاج الذي يلائم تعاستي ، فهو على الاقل الوسيلة التي استطيع بها تحملها ، ولم تكد تفرغ من قولها هذا حتى سقطت مغمى عليها فنقلتها السيدة « استيفانيا » بين ذراعيها وهذه كسيدة نبيلة تأثرت لما اصاب « ليوكاديا » والصقت وجهها بوجهها وذرفت دموعا غزارا لم يعد من الضروري معها ان ينضح وجهها بماء آخر كي تفيق من اغمائها ، وبينما كانت على هذه الحالة اذ دخل الوجيه زوج السيدة « استيفانيا » و « لويس » في يده ، واذ راى دموع زوجته واغماء « ليوكاديا » سارع فسأل عن السبب بينما القى الطفل بنفسه على امه ، وقد سأل بدوره عن سبب البكاء ، اجابت السيدة « استيفانيا » زوجها قائلة : « امور كبار يجب ان تقال لك يا سيد . او بعبارة اوجز ينبغي ان تعلم ان هذه المغمى عليها هي ابنة لك ، وهذا الطفل هو حفيدك ، هذه الحقيقة التي اقولها لك قد افضت بها الي هذه الفتاة ، وقد اكدتها ، كما يؤكدها محيا هذا الطفل الذي قد راينا فيه انا وانت صورة ابننا .. فقاطعها الوجيه قائلا : لا تصرحي باكثر من هذا يا سيدة ، فلست افهمك . وفي هذا الوقت رجعت « ليوكاديا » الى رشدها وقد بدت كما لو كانت قد تحولت الى بحر من الدمع ، وفي الحقيقة ان هذا كله كان امرا شديد الغموض بالنسبة للوجيه ، ومن اجل هذا انبرت زوجته تروي على مسامعه كل ما كانت « ليوكاديا » قد قصته عليها ، ولاذن من السماء اعتقد صحة ما سمع كما لو كان قد دلل له على صحته باكثر من دليل ، فجعل يواسي « ليوكاديا » كما احتضن حفيده ، وفي ذلك اليوم نفسه كتبا رسالة الى نابولي يامران فيها ابنهما ان يحضر لانهما قد اتفقا على تزويجه من فتاة رائعة الجمال ، وهي خير من تلائمه .

— 6 —

لم ير الوجيه وزوجته ان يدعا « ليوكاديا » ترجع الى دار ابويها ، فاستبقياها في منزلهما هي وابنها ، ولشد ما كان سرور ابويها بذلك فقد جعلا يشكران ربهما شكرا لا مزيد عليه .. وصل البريد نابولي ، وتسلم « رودولفو » رسالة ابويه ، فسر سرورا عظيما بان ابويه قد وفقا في ان يختارا له فتاة رائعة الجمال تكون شريكة حياته ، ومن ثم فقد فكر في العودة الى اسبانيا ، ولم يكد يمضي يوما على تسلمه الرسالة حتى ابحر ومعه رفيقاه اللذان كانا لم يتركاه بعد ، ولقد حالفه الحظ فوصل الى برشلونة بعد اثني عشر يوما ، ومن ثم انتقل مع قافلة البريد الى طليطلة حيث وصل بعد سبعة ايام أخرى .. دخل دار ابويه وعليه سمات الاناقة والشجاعة اذ كانت الاناقة والشجاعة قد اتخذتا فيه مكانا جنبا الى جنب ، فسر ابوه بصحته وهناه بسلامة الوصول .

كانت السيدة « استيفانيا » قد اشارت على « ليوكاديا » بان تظل مختبئة في مكان ما من الدار ، بيد ان هذه قد استطاعت بطريقة ما كذلك ان ترى « رودولفو » من مخبئها ، اما رفيقا « رودولفو » اللذان جاءا معه فقد ارادا ان ينصرفا ، بيد ان السيدة استيفانيا لم تقبل ذلك ، فقد رات ان وجودهما امر ضروري لاتمام ما فكرت فيه .. كان الليل قد بدأ يرخي سدوله عندما وصل « رودولفو » فاعد عشاء فاخر ، ثم نادت السيدة استيفانيا رفيقي ابنها وانفردت بهما جانبا وهي تعتقد بدون ادنى شك انه يجب ان يكونا اثنين من الثلاثة الذين قالت « ليوكاديا » بانهم كانوا مع « رودولفو » ليلة اختطافها ، وفي رجاء كبير طلبت اليهما ان يخبراها عما اذا كانا يتذكران ان ابنها قد اختطف فتاة ذات مساء منذ عدة أعوام مضت ، لان علم حقيقة ذلك يهم شرف جميع اقربائه ويطمئنهم ، وبعد ان تملقت عواطفهما كثيرا واكدت لهما ان ازاحة الستار عن ذلك الاختطاف لن يصيبهما باي ضرر ، استجابا لرجائها واعترفا بانهم ذات ليلة من ليالي الصيف وقد كانوا ثلاثة مع « رودولفو » هما وصديق ثالث ، اختطفوا فتاة ، وان « رودولفو » ذهب بها ، بينما اوقفوا هم افراد اسرتها الذين ارادوا الدفاع عنها بالصياح .. وانه في يوم آخر قال لهم « رودولفو » بانه حملها الى داره ، كان هذا فقط هو ما اجابا به ، وفي الحقيقة ان اعتراف هذين قد كان بمثابة مفتاح لكل الشكوك التي كثيرا ما كانت تنتابها ، وهكذا قررت ان تحمل المهمة النبيلة التالية :

قبل ان يجلسوا الى العشاء بقليل دخلت على على « رودولفو » في جناحه واختلت به ثم وضعت في يده صورة وقالت : احب « يا رودولفو » ان اقدم لك

عشاء شهيا مع زوجتك التي سأريك اياها .. وهذه هي صورتها .. ولكن اريد ان تلاحظ ان ما ينقصها من الجمال يعوضه ما لديها من الفضيلة ، هي نبيلة ومحافظة وفي المتوسط غنية وقد اخترتها انا ووالدك من اجل ذلك ، وأؤكد لك انها التي تلائمك ، فنظر « رودولفو » الى الصورة باهتمام ثم قال : لو ان الرسامين الذين من عاداتهم ان يجنحوا الى الاسراف في جمال الاوجه التي يرسمونها قد كانوا كذلك في هذه الصورة ، فانني اعتقد من غير شك ان المصور يجب ان يكون هو نفس القبح ، انه يا والدتي من الولاء ومما هو احسن ان يطيع الابناء ابويهم عندما يامرانهم بشيء .. ولكن من الملائم والاحسن كذلك ان يمنح الابوان ابناءهما ما يوافق اذواقهم ، ولما كان الزواج عقدة لا يحلها الا الموت ، فانه يجدر ان تكون الروابط متماثلة ومن خيوط واحدة في النوع .. اما الفضيلة والنبل والمحافظة والغنى ، فهي صفات تستطيع ان ترضي التفاهم بين الشخص وبين من جمعه الحظ بالزواج بها ، ولكن يبدو لي انه مستحيل ان يرضي قبحها عيني الزوج ، انا شاب ، ولكن ادرك جيدا ان الواجب هو ان يستمتع المتزوجون بالزواج ، وانه ان اعوزهم ذلك كان الزواج ناقصا وفشل في مفهومه الرئيسي ، لان التفكير في أن وجها قبيحا يجب ان يكون امام العينين في كل ساعة ، في الصالة وحول المائدة وفي الفراش لن يسر ، واقول مرة اخرى ان التي معي من المستحيل تقريبا ان تلائمني ، بحق حياتك يا والدتي الا ما منحتني الرفيقة التي تسعدني ولا تكون مثار غضبي ، وبذلك يستطيع كلانا ان يحمل المهمة وان نسير في طريق مستقيم غير منحرف الى حيث ارادت لنا السماء ان تكون .. واذا كانت هذه السيدة نبيلة ومحافظة وغنية كما تقولين ، فسوف لا يفوتها زوج تختلف ميوله عن ميولي ، فالبعض يبحث عن النبل ، وآخرون عن المحافظة او المال ، وغيرهم يبحث عن الجمال ، وانا من هذا الفريق الاخير ، لان النبل قد ورثته بفضل السماء وبفضل اسلافي وآبائي ، واما المحافظة فحسب المراة الا تكون جاهلة بسيطة او حمقاء .. الا تكون من الضعف بحيث تضيع ، او من البساطة بحيث لا تدري كيف تفتتن ، واما الغنى كذلك فثروة آبائي لن تجعلني اخشى ان اصير فقيرا .. عن الجمال ابحث ، وإياه اريد ليس مع موهبة اخرى اكثر من التواضع والعادات الطيبة فاذا كانت زوجتي تتصف بذلك فسأنيب الى الله ، وسأتمنى لابوي شيخوخة طيبة ..

سرت الام كثيرا من عبارات « رودولفو » وتبينت منها سلامة تفكيره ، واجابته بانها ستحاول تزويجه بمن توافق رغبته ، لم يعد ثم اثر للحزن ، واصبح من الميسور تهيئة نظام حفلات زواجه بتلك السيدة . ولو ان كل شيء كان معدا سلفا ، فشكر لها « رودولفو » واذ كانت ساعة العشاء قد حانت توجهوا نحو المائدة الاب والام و « رودولفو » ورفيقاه ، وما كادوا يجلسون حتى قالت السيدة استيفانيا وكأنها ناسية : انها خطيئتي ، اي تصرف حين تصرفته مع ضيفتي . ثم امرت احد خدمها قائلة : اسرع وقل للسيدة « ليوكاديا » ان تتفضل بتواضعها الكبير لتشرف هذه المائدة .. وليس هنا غير ابنائي والخدم ولما كان كل ذلك بتدبير السيدة استيفانيا وبعلم « ليوكاديا » فقد تاخرت هذه عن الخروج قليلا ، مسبغة على نفسها مظهر من لم تأخذ زينتها ، مبرهنة على اسمى صور الجمال الطبيعي واكمله ، ونظرا الى ان الوقت كان شتاء فقد اقبلت مرتدية ثوبا صوفيا طويلا يصل الى قدميها ، وقد زينت اطرافه بحرير اسود ، وبه ازرار من الذهب ، كما قد رصع ببعض الجواهر وفي وسطها حزام مرصع باللؤلؤ ، وفي عنقها عقد من اللؤلؤ كذلك ، وقد اتخذت من شعرها الاشقر الطويل تاجا وعقدت فيه عقدا زينتها بالجوهر ، فكان بريقها يخطف بصر الناظرين ، اقبلت ممسكة ابنها بيدها تتقدمها وصيفتان تحمل كل منهما شمعة مضيئة في قنديل من الفضة فكانت في مظهر بهي مرموق ..

فوقف الجميع احتراما لها كما لو كانت شيئا من السماء قد ظهر هنالك بمعجزة ، ولم يبق واحد ممن ابصرها الا وقد ذهل عن نفسه ، كانوا ينظرون اليها دون ان يقولوا شيئا او ينبسوا ببنت شفة ، اما « ليوكاديا » فقد احنت رأسها للجميع في ابتسامة عابرة ، ومحافظة مهذبة ، فقادتها السيدة استيفانيا من يدها واجلستها الى جانبها في مواجهة « رودولفو » واجلس الطفل الى جوار جده .

راى « رودولفو » عن كثب جمال « ليوكاديا » الذي لا يضاهى ، ثم تمتم في نفسه قائلا : لو ان امي كانت اختارت لي زوجة لها نصف هذا الجمال لكنت اسعد مخلوق في العالم .. اعني يا الاهي . ما الذي ارى ؟ هل ارى صورة ملاك آدمي ؟ لقد غزا جمال « ليوكاديا » روح « رودولفو » فاتخذ فيها مكانا ، ثم لم يكد العشاء يوضع على المائدة حتى كانت «ليوكاديا» قد اتخذت مكانها قريبة من «رودولفو» وبدأت تختلس

اليه النظر ، كما جعلت تسترجع بخيالها ما وقع لها معه ، وفي نفس الوقت استيقظت آمالها في ان يصير زوجها ، ولو انها كانت تخشى ان يخالفها سوء الحظ فلا يقبل « رودولفو » الزواج منها ، كانت تعتبر انها قد اصبحت على مقربة من ان تصير سعيدة الى الابد او تعيسة الى الابد كذلك ، فقويت اعتباراتها واضطرمت على نحو تزايدت معه دقات قلبها وتصبب عرقها غزيرا وانخفضت درجة حرارتها ، فانحنى راسها بين ذراعي السيدة استيفانيا التي ما كادت ترى تغيرها حتى استقبلت راسها بين ذراعيها .

دهش الجميع واهرعوا اليها يحاولون علاجها ، ولقد كان « رودولفو » اكثرهم تاثرا مما جعله يتعثر ويسقط مرتين قبل ان يصل اليها ، ولم يجد في افاقتها من اغمائها فك ازرار ثوبها او نضح وجهها بالماء، بل لم يكن صدرها يتصاعد بالتنفس وكانها قد ماتت ؛ فجعل خدم المنزل وخادماته يتصايحون معلنين موتها .. وصلت هذه الانباء المرة الجديدة الى مسامع ابويها، وقد كانا في المنزل نفسه محتجبين ومعهما القسيس تنفيذا لتعليمات السيدة استيفانيا التي سبق ان رسمتها والتي كانت تهدف من ورائها الى تهيئة مفاجأة سارة لهما ؛ بيد انهما ما كادا يعرفان الخبر حتى سارعا فخرجا الى الصالة مخالفين بذلك تلك التعليمات ، وكذلك خرج القسيس في اثرهما كي يرى حقيقة الامر ، ولكنه بدلا من ان يرى شخصا واحدا مغمى عليه فقد وجد اثنين ، اذ كان « رودولفو » مغمى عليه كذلك واضعا وجهه على صدر « ليوكاديا »

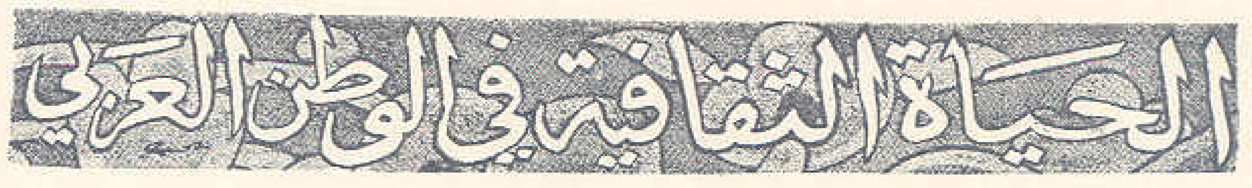
ولكن عندما رأت الام ان « رودولفو » قد فقد شعوره اوشكت هي ان تفقد شعورها كذلك ، ولولا انها قد رات ابنها قد استعاد شعوره لفقدت شعورها ولفعلت اقصى ما يمكن ان تفعله ام ، ولكنها كانت تقريبا تتكهن بما شعر به ابنها فقالت له : لا تتعجل يا بني النهايات التي انت منته اليها فعلا ؛ ولكن عندما تعلم الحقيقة التي لا احب ان اخفيها عنك اكثر مما فعلت فلك ان تتعجل ..

— 7 —

يجب ان تعلم يا بني الحبيب ان هذه المغمى عليها والتي هي بين ذراعي هي زوجتك الحقيقية ، واقول — الحقيقية — لانني انا ووالدك قد اخترناها لك، اما صاحبة الصورة التي اريتك اياها فهي مزيفة ..

وعندما سمع ذلك « رودولفو » دفعه حبه العارم ورغبته المتأججة ان يثب الى وجه « ليوكاديا » فيلصق فمه بفمها فكان ثمن ينتظر ان تخرج روحه تتلقاها روحها .. وكانت كلمة « زوجة » التي سمعها مما ازال عن طريقه كل العقبات التي يفرضها شرف المكان ووقاره ، وفي الوقت الذي كانت فيه دموع الاسى تنهمر من اعين الجميع ، واصوات الالم تتزايد ، ووالدا « ليوكاديا » هذا ينتف لحيته وهذه تنتزع شعر راسها وصرخات ابنها تخترق السموات .. في هذا الوقت رجع الى « ليوكاديا » رشدها ، وبرجوعه اليها عاد السرور الى كل القلوب التي كانت الملابسات قد افقدتها مسرتها وفرحها ، وازاء هذا فرغت السيدة استيفانيا من اداء مهمتها واشارت على القسيس بان يزوج ابنها من « ليوكاديا » .

لقد اراد « رودولفو » ان يتاكد من تلك الحقيقة اكثر فسأل « ليونكاديا » ان تدلي اليه بعلامة يتوصل بها الى معرفة تامة لا يشك فيها وقد اجابت ليوكاديا قائلة : « عندما رجعت الى نفسي من اغماء آخر اتذكر انني وجدت نفسي بين ذراعيك ايها السيد مسلوبة الشرف على حين انني كنت حريصة على شرفي ، وعندما رجعت الى نفسي الان من هذا الاغماء وجدت نفسي كذلك بين ذراعي ذلك السيد نفسه ولكني شريفة واذا لم تكف هذه العلامة فثم علامة اخرى كافية ، وهي تمثال فضي صغير للمسيح لا يستطيع احد اختلاسه ما عداي . اجل فقد عرفت انت ضياعه في ذلك الصباح وهو بعينه ما اعطيته انا لوالدتك .. وهنا عاد الجميع الى تهنئتها من جديد وقدم العشاء واقبلت الفرقة الموسيقية التي كانت مهيأة لذلك ورأى رودولفو صورته في وجه ابنه وبكى الاجداد الاربعة فرحا ، ولم تبق زاوية في المنزل لم ترتد ثياب الفرح والبهجة ومع ان الليل كان يحلق باجنحته السود الا ان « رودولفو » بدا له ان الليل يسير وئيدا كانما يتوكأ على عصا اذ كانت رغبته جامحة في ان يختلي بزوجته الحبيبة ، واخيرا حانت الساعة المرتقبة واتجه الجميع الى مضاجعهم وبقيت الدار يغلفها صمت مطبق ، ولن تبقى حقيقة هذه القصة في تلك الدار ؛ لان الابناء الكثيرين لم يعرفوها ؛ كما لم تعرفها السلالة الشهيرة التي خلفوها في طليطلة ، والان يعيش هذان الزوجان اكثر سعادة من كثيرين ويقضيان اعواما يستمتعان بحياتهما وبابنائهما واحفادهما ؛ كل هذا باذن من السماء ، وبقوة الدم الذي نزف على الارض فابصره الرجل الشجاع جد « لويس » .



قضايا أدبية

مستوحاة من مؤتمر رابطة الكتاب

انعقد مؤتمر رابطة الكتاب وبانعقاده انطلقت افكار جديدة من عقال الجمود والركود ، وفضل هذه المؤتمرات انها تحرك السواكن وتثير الهمم وتشير الى هنات الافراد والمجتمعات فكأنها اشراق جديد وتحفز للانطلاق ...

والشعب المغربي بصفة خاصة يبحث ويتلمس الطريق الذهبي فى كفاحه الفكري ، وحتى لاتكون البلبلة والاضطراب وجب بناء هذا الغد المنشود على اساس من الفكر المستنير ، انها لمرحلة دقيقة تشير الى خطورة المسؤولية نحو الاجيال القادمة ونحو التاريخ الذي سيحاسبنا بشدة على التقصير والاستخفاف .

هذه النفس الحائرة ظهرت جلية فى مؤتمر الكتاب ، اذ ما كاد المحاضرون يلقون بعض ارائهم حتى اندلعت سلسلة من المناقشات وثار الجدل حول افكار وقضايا ادبية طالما كانت محور نقاش المفكرين فى مختلف الاقطار والعصور ، وبطبيعة الحال قد كانت تحوم حول الجانبين الدائمين فى كل نقاش ادبي اي حول الجانب الشكلي للادب وحول مضمونه ومحتواه

قضية اللغة : والجانب الشكلي هو ما يتعلق باللغة ، فبأي لغة سيكتب ادب الغد هل نسطره بالفصحى او بالعامية او بالفرنسية ؟ .

ثلاثة اوجه وثلاث نظريات نجدها تتصارع بلين حينا وبعنف احيانا ، لكن انتصار اللغة العربية الفصحى كأداة للادب المغربي ساد وطغى على بقية النظريات ، فمما لاشك فيه ان قضية اللغة هي حجر الزاوية فى كل نقاش ادبي واننا نجد فى الادب العربي منذ قرونه الاولى صفحات عديدة حول هذا الصراع. ولكن الفهم الحديث للغة جعل الصراع الآن اشد واعمق وذلك بفضل الدراسات الجديدة التي قدمها لنا علم الاجتماع وعلم النفس الادبي .

تقول المدرسة اللغوية القديمة ان اللغة اداة تعبير بين الافراد والمجتمعات ، وصلة نفسية بين الناس ، واللغة لاتحمل المعنى فقط وانما تحمل العاطفة الذاتية والانفعال العرقي الخاص بالشعب الذي يستعمل هذه اللغة ، واقول الشعب ولا اذكر الافراد لان اللغة ليست انتاج زيد او عمرو من الناس وانما هي باكورة شعب وامة بكاملها ، وما دمنا اذن ندخل قضية الشعب والامة فى قضية اللغة اصبحنا امام قضية خطيرة للغاية ، وبات التصرف فيها هو تصرف فى ملكية جماعية ، ثم ان هذه اللغة كانت اداة تعبير للامة العربية منذ اجيال عديدة اي اننا نواجه التاريخ الحضاري فى نفس الوقت ، فاذا اعتبرنا هذه الظروف الجماعية والتاريخية استطعنا ان ننفذ الى صلب الموضوع بدون مداراة ولا غموض ؛ اذ يتحتم علينا ان نحافظ على هذه اللغة الحضارية ابقاء على شخصية هذه الامة ومحافظة على سماتها العرقية والثقافية ، فاستعمالنا للفصحى هو سير طبيعي مع القافلة العربية ومع الركب الفكري للامة العربية التي لاتستطيع الانفصام عن ماضيها المجيد كما انها لاتتحجر عليه لانها تتطور بسرعة .

ولقائل ان يقول ان العامية بامكانها التعبير عن هذا الادب بدليل ان الادب الفرنسي هو ادب مكتوب بلغة عامية تفرعت عن اللاتينية الفصحى الام وان التطور الحاصل فى اللغات اليوم هو تطور انحداري حاصل من اعلى الى اسفل اي من لغة كلاسيكية بورجوازية فصحى الى لغة شعبية ديموقراطية عامية ، والجواب على هذا المفهوم ان العامية لم تكن

يوما من الايام لغة الحضارة والفكر الرفيع والادب المكتوب ، لان العامية كانت دوما اداة التعبير عن الحاجيات المادية اليومية التي تتناولها فئة من الناس وهذه العامية متى احتوت على معاني جليلة انتقلت حتما من لغة عامية سطحية الى لغة ارقى هي لغة الادب والفلسفة اي الى لغة فصحى ، وقد سمعنا الفلسفة الاشتراكية والشيوعية تردد مفهوما وهو ان مجتمع الغد سيكون مجتمعا بدون طبقات وان تقسيم اللغة الى سفلى وعليا هو تقسيم بورجوازي راسمالي ، ونحن اذا سلمنا جدلا بان التوحيد سيحصل بين طبقات الشعب فهو حاصل في الاقتصاد والدخل الفردي اما فيما يتعلق بالفكر والذكاء فلن يقع التوحيد ولن نرى ملايين من انشتاين وعباس محمود العقاد وملايين من شوقي وسارتر مهما تقدم العلم ومهما تقدمت البشرية والا فسوف تجد خليقة اخرى من العباد وجنسا آخر من الناس قد يكونون من افلاك سماوية اخرى ، ولكن لن يكونوا من الارض وفي الارض .

اذن فلا داعي لفرض لغة واحدة على كافة الناس ، ولغة الفكر الراقي سوف تبقى الفصحى مهما قيل ويقال

ولكن يجب الا ننسى ان هذه الفصحى سوف لاتشبه تمام الشبه لغة جرير والفرزدق بل سوف تاخذ لون العصر الذي تعيش فيه وهو يتصف بتقارب الطبقات — لا اندماجها — وشيوع القراء والمثقفين نظرا لتاثير الصحافة والكتاب والاذاعة ، فالفصحى التي ستكون لغة الادب المغربي هي فصحى متوسطة اي انها ليست لغة راقية ومعقدة جدا ولا هي سوقية من الدرك الاسفل .

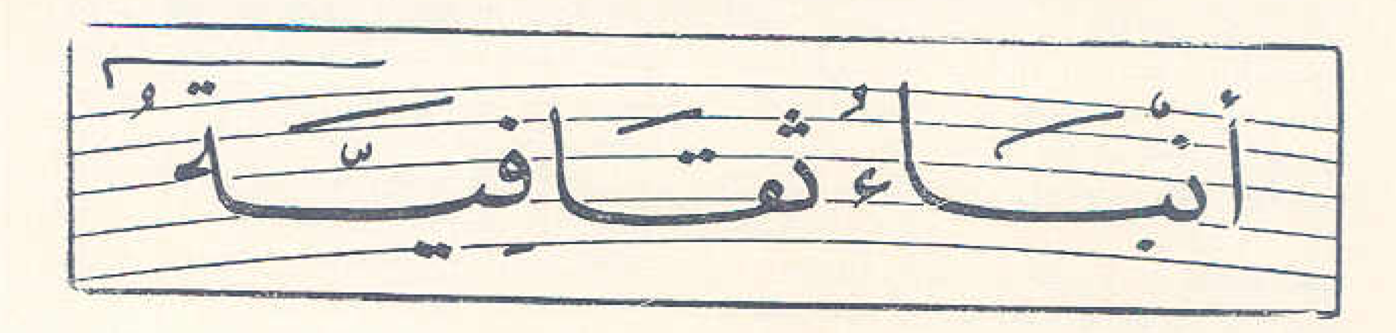
اما ان يكون مستقبل ادب المغرب العربي مكتوبا بالفرنسية فهذا مالا يقبله عاقل متبصر ، فالادب الاصيل هو الذي لايفصل بين التجربة الادبية وبين اللغة التي عاشتها هذه التجربة والا وقع التشويه والازدواجية ، هذه الفكرة اثارت الكثير من الاستغراب بل رأى بعضهم انه لايرى اي فرق بين ان يكون الادب العربي بلغة عربية او انجليزية ما دام المهم في الموضوع هو المضمون والمعاني لا اللغة وهي اداة نقل فقط ، هذا الراي لايؤيده النقد الادبي الحديث ولو اطلع اصحاب هذه الاقوال على نظرية علم الاجتماع وعلوم اللغة لفكروا قليلا قبل ابداء ما ارتأوه، اول هذه الحقائق المعروفة في النقد الادبي الحديث هي ان اللغة تنقسم الى قسمين : لغة التجريد والحقائق العلمية ولغة العواطف والادب والفنون ، اما عن لغة العلوم فهي قسم مشترك بين كافة الامم ولا باس ان تكتب علومنا بلغة عربية او فرنسية لان المضمون سوف لايشوه كثيرا وستحافظ الفكرة على مضمونها (نحن نقرر هذه الحقيقة جدلا لان المفهوم القومي لا يؤمن بهذا المفهوم بل نراه يتعصب للغة القومية في كافة ميادينها)

اما لغة الادب ، اما التعبير عن عاطفة شعب وانفعال اديب من بيئة معينة فلا يحصل الا باللغة التي عاشها صاحبها ، ومجتمعنا هو بدون شك مجتمع عربي اصيل — وان وجدنا الكثير من شبابنا يتحدثون بالفرنسية فهي ظاهرة شاذة موقتة سرعان ما تزول عند انتشار الثقافة العربية — ولكن الاغلبية الساحقة في بلادنا تستعمل العربية ، والاديب يجب ان ينقل الصورة الاجتماعية بمرآها الحي ولا شك ان اللغة هي اهم ركن في هذه الصورة اما اذا عبر عن هذا المنظور «العربي بلغة اجنبية» فسوف يقع التشويه ان قليلا او كثيرا ، والاديب نفسه يكون في ازدواجية اي انه يشعر ويعيش تجربة بلغة معينة ثم هو يعبر عنها بلغة لم تكن في الاصل . وعلى اي حال فسوف يبقى هذا الادب المغربي ذي اللفظ الفرنسي على هامش انتاجنا الادبي ولن يحسب في يوم من الايام ادبا مغربيا عربيا اصيلا .

رسالة الاديب : واذا خرجنا من دنيا اللغة دخلنا بلا شك الى لب الادب الى محتواه ومضمونه ، والملاحظ على ادبنا في المغرب العربي انه لم يخرج بعد من الواقعية المحلية ومن القومية الضيقة ، وهذه مرحلة لابد منها غير اننا ننظر الى مستقبل هذا الادب والى ما يجب ان يكون عليه حتى يصبح ادبا مغربيا عربيا حقيقة لا مجازا ، واول هذه الشروط ان يخرج من حلقة ضيقة الى اخرى اوسع واشمل وبعبارة اخرى ان يكون ادب القومية الفسيحة ، فعلى ادبائنا ان لايغفلوا انهم يعبرون عن شعب يمتد من المحيط الى الخليج ، وان الاحداث الكبرى في الوطن العربي يجب ان نرى لها الصدى فيما يكتبه الكاتب ان شعرا او نثرا .

اننا لازلنا نعتقد ان الاديب في العالم العربي هو لسان قومه وقائدهم ورسولهم ، والرائد لا يكذب قومه والرسول هاد ومرشد وامين ، ورابطة الادباء والمؤلفين هي رابطة القادة الحقيقيين ولذلك وجب ان نتحدث عن مسؤولياتنا بافاضة وباسهاب وذلك ان اردنا لوطننا المكانة المرموقة بين الشعوب الجديرة بالبقاء والقيادة والخلود .

ج . ب . ق



* بتاريخ 27 يونيو الى 1 يوليوز انعقد مؤتمر اتحاد ادباء المغرب العربي بكلية العلوم بالرباط شاركت فيه وفود من الجزائر وليبيا وملاحظ عن تونس الى جانب الوفد المغربي ، ومجموعة كبيرة من الادباء والكتاب والشعراء المغاربة ، تخللته زيارات الى فاس ، والدار البيضاء ، والقيت فيه عدة محاضرات ومناقشات عن ادب المغرب العربي الكبير. وفي الجلسة الاخيرة انتخب الاتحاد مجلسه الاداري عن طريق التصويت من الاساتذة : محمد عزيز الحبابي ، عبد الكريم غلاب ، محمد الصباغ ، محمد برادة ، مصطفى المعداوي . وكان من ضمن لجنة الكتاب الجزائريين الاساتذة : محمد ديب ، مولود معمري ، آسيا جبار . وفي الاخير اصدر الاتحاد التوصيات الآتية :

ــ ان مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي المنعقد في الرباط من 27 يونيو الى 1 يوليوز ، والذي يعي دوره الهام في النهوض بالمستوى الثقافي في المغرب العربي :

ينحني بكل اجلال امام ارواح الادباء الجزائريين الذين استشهدوا في معركة الكفاح ، وامام الذين يقاسون آلام السجون والمعتقلات في سبيل انتصار الحق والعدالة ، ويعتبر الاستعمار في جميع اشكاله عرقلة ضد تفتح الشعوب ورقيها .

ــ يعرب عن تقديره لفعالية دور اتحاد كتاب افريقيا السوداء وكتاب افريقيا وآسيا .

الملتمس الثقافي

ان مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي يرى انه لا يمكن فرض حدود، او اطر فكرولوجية (ايدولوجية) او دينية ، او سياسية ، على الاتحاد الادبي ، الا انه يدعو :

الادباء المغاربة ، وبخاصة في هذه المرحلة التي يعيشها مجتمعنا على الا يقتصر انتاجهم على عكس وضعيتنا بل يتعدى ذلك الى توجيه الطاقة الابداعية لتطوير القيم الحضارية ، والخروج بمجتمعنا العربي من تخلفه وافساح المجال ليشارك في اثراء الحضارة الانسانية .

ــ يلاحظ المؤتمر ان موضوع دور الادب في مكافحة التخلف جد هام ، لذلك فانه يقترح ان يجعل موضوعا للمؤتمر المقبل .

يوصي المؤتمر :

ــ بتنظيم ندوات دورية يدرس خلالها انتاج كتاب الاتحاد والادباء بصفة عامة .

ــ بتنظيم زيارات بين ادباء الاتحاد للتعارف والقاء المحاضرات .

ــ باصدار مجلة يشارك في تحريرها كتاب المغرب العربي .

ــ اقامة مهرجان بمرور ستة قرون على وفاة لسان الدين ابن الخطيب ، ولفت نظر الحكومة الى اصدار طابع بريدي بهذه المناسبة .

الملتمس المالي : قررت اللجنة المالية مشروع ميزانية سنوية للاتحاد لانشاء مراكز ونواد في مختلف اقطار المغرب العربي ، واصدار مجلة ، وانشاء مكتبات وغير ذلك من المنجزات الضرورية للاتحاد . ووضعت اللجنة خطة للحصول على اعتمادات هذه الميزانية سواء من الاشتراكات والتبرعات او المساعدات الحكومية .

ملتمس الاتصالات :

يوصي المؤتمر بما يلي :

ـ بانشاء اتحادات محلية في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .

ـ بربط الاتحادات في عمل منسق ، وكذا بربط علاقات الاتحاد العام بسائر الهيئات الثقافية في العالم

ـ بربط العلاقات وخاصة مع المركز الدائم للادباء العرب واتحاد كتاب افريقيا السوداء .

※ تبذل « دار الفكر المغربي » لطبع الكتب وتوزيعها بادارة السيد عبد السلام جسوس قصارى الجهود لكي يكون الجزء الاول من كتاب « المطالعة المغربية للمدارس الثانوية » تأليف الاستاذين « ابي بكر حسن اللمتوني » و « محمد عبد الواحد بناني » بين ايدي الاساتذة والتلاميذ في مستهل العام الدراسي الجديد .

وهذا الكتاب هو الاول من نوعه في موضوع : « المطالعة العربية ، للمدارس الثانوية المغربية » .

※ انتخب الاستاذ الكبير العالم السيد عبد الله كنون امينا لرابطة علماء المغرب . فنتمنى للاستاذ الجليل النجاح والتوفيق في مهمته .

※ زار المغرب اخيرا الكاتب الانجليزي روم لاندو، وتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الحسن الثاني الذي قدم له كتابا جديدا عن المغرب بعنوان : « المغرب بعد الاستقلال » يحكي فيه ما قطعه المغرب من مشاريع منذ احرازه على الاستقلال .

※ بتاريخ 21 يوليو عقدت اللجنة الثقافية لدول اعضاء مؤتمر الدار البيضاء اجتماعها بطنجة .

※ شاركت فرقة الفلكلور المغربية في حفلات تولوز ، وكانت تتألف من 37 فنانا .

※ سيزور المغرب في شهر شتمبر المقبل الشاعر الدبلوماسي العربي عمر ابو ريشة ، بدعوة من وزارة الخارجية .

※ سيصدر قريبا الاستاذ محمد صادق عفيفي كتابا تناول فيه بالدرس القصة المغربية ، ونماذج منها.

※ فاز الشاعر المغربي كمال الزبدي بجائزة الاكاديمية الفرنسية لهذه السنة عن ديوانه « صرخة المملكة » الذي صدر بالفرنسية بباريز . واعلن عن صدور كتاب له بعنوان « الاسلحة العتيقة بالمغرب »

※ سيمثل للطبع اتحاد ادباء المغرب العربي سجلا يشمل جميع المحاضرات التي القيت في مؤتمره الاول . وسيكون عبارة عن تاريخ موسع لما جرى في هذا المؤتمر .

※ مثل للطبع معهد مولاي الحسن بتطوان المنشورات الآتية :

العدد السادس من مجلة « تطوان » . الجزء الثالث من كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى . الجزء الثاني من كتاب « تاريخ تطوان » للاستاذ محمد داود . كتاب « مناهل الصفا » لمؤلفه عبد العزيز الفشتالي . كتاب « تاريخ المغرب الفينيقي » للدكتور ميكيل طراديل . كتاب « رسائل عربية على عهد مولاي يزيد » للدكتور اريباس . والكتابان الاخيران سيصدران باللغة الاسبانية .

※ كان للمحاضرة التي القاها الاستاذ عبد الكريم غلاب ، رئيس تحرير جريدة « العلم » في مؤتمر اتحاد ادباء المغرب العربي وقع طيب في نفوس المستمعين . وكان موضوع المحاضرة « الادب المغربي » .

※ صدر للاستاذين السيدين احمد المكناسي ومصطفى الكوش كتاب يضم فهرسا للوثائق التاريخية على عهد مولاي الحسن الاول في اكثر من تسعين صفحة . وجميع هذه الوثائق مستخرجة من دار المحفوظات والمستندات بتطوان .

※ قرر احد ارباب وكالات النشر طبع كتاب كان قد الفه الزعيم الكونغولي باتريس لومومبا بعنوان « ارض المستقبل هل هو مهدد ؟ » .

* « قصة الاستعمار في افريقيا » كتاب صدر للدكتور شوقي الجمل تعرض فيه الى الاستعمار في اجزاء القارة الافريقية ويحلل دوافعه ويقظات الشعوب ضده .

* « مع الاصدقاء » ديوان جديد صدر للشاعر السوداني مبارك المغربي . وله ديوان آخر بعنوان « عصارة قلب »

* انتهى في القاهرة طبع كتاب وداد السكاكيني « امهات المسلمين وبنات الرسول » .

* انتهى محمد مراد مدير العلاقات الخارجية بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة من تاليف كتاب « العدوان عبر التاريخ » و « كتاب التفرقة العنصرية امتداد للحركات الاستعمارية » .

* صدر بالقاهرة ديوان يضم آثار الشاعر احمد فتحي وقصائده التي لم تنشر . وقام بتقديمه الشاعر صالح جودت .

* اصدر الاستاذ كامل البهنساوي ، رئيس محكمة الاستيناف العليا بالقاهرة كتاب «الجاسوسية» قصتها وعلاقتها بالمجتمع وبامن الدولة والقانون .

* صدرت في القاهرة الكتب الآتية : « التطور السياسي للمجتمع العربي » للدكتور سليمان محمد الطماوي ، و « عزبة بنايوتي » مسرحية وطنية لمحمود السعداني ، و « السكان في عالم الغد » مجموعة ابحاث اشرف على اعدادها روي فرانسيس ، و « علم النفس العقابي » للدكتور كمال الدسوقي ، و « الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي » للدكتور سويف ، و « مسرحية في النصر » للكاتب المجري فيرينك مولنار ترجمها محمد فتحي ، و « بين الادب والصحافة » لفاروق خرشيد .

* اول معرض للخط العربي والزخرفة يفتتح بالقاهرة في شهر شتمبر المقبل . وتعد وزارة الثقافة بها مجموعات من النماذج الخطية والصور الفتوغرافية تمثل الخط العربي في المدرسة القديمة والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والخط العربي والزخرفة في المرحلة الحديثة .

* اوصت لجنة الجغرافيا بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة بتحقيق ونشر كتاب « المسالك والممالك » للبكري لينتفع به المشتغلون بالجغرافيا واحياء التراث العلمي القديم .

* وضعت وزارة التربية بالقاهرة مشروعا ثقافيا يشترك فيه عشرون كاتبا وكاتبة من الاقليمين باشراف كامل النحاس للتعريف بالنهضة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة . وتظهر هذه الكتب ضمن السلسلة العالمية التي تتولى نشرها اليونيسكو . وسيشترك في السلسلة محمد فريد ابو حديد ، والدكتور احمد الطنطاوي ، وتضم الكتب الاخرى نواحي مختلفة من النشاط الثقافي والفني يتولى الكتابة عنها : كريمة السعيد ، بهية كرم ، طلعت الرفاعي ، عبد الخالق علام ، عبد العزيز الاهواني ، سامي الدروبي ، نجاة قصاب حسن وصلاح طاهر ، عزت سلامه ، مرسى سعد الدين ، محمد خيرى .

* سيوضع تمثال لزكريا احمد في مدخل معهد الموسيقى العربية بالقاهرة .

* كشف الاثري الدكتور اسكندر اسعد عن آثار حضارة ترجع الى عصر الاسرتين الاولى والثانية بناحية كفور نجم مركز ابو كبير بالشرقية بالاقليم الجنوبي .

* صرح وزير الاوقاف بالقاهرة احمد عبد الله طعيمة بأن اتفاقا تم بين وزارة الاوقاف ووزارتي الارشاد والتربية على ايفاد بعثة فنية الى الخارج لتسجيل الآثار العلمية والاسلامية التي سرقت في الماضي او نقلت الى الخارج عن طريق تصديرها بالميكروفيلم واعادة طبعها ونشرها .

* اعد مركز الوثائق والبحوث بمصلحة الاستعلامات بالقاهرة مجموعة بحوث هامة عن قضايا العرب وافريقيا لتكون تحت تصرف الباحثين .

* قصة « قنديل ام هاشم » ليحيى حقي قام بترجمتها الى الانجليزية الفريد بلدي . وستنشر قريبا .

* يبدأ العمل في شهر شتنبر المقبل في بناء مجمع واحد يضم متاحف القاهرة وهي : المتحف

المصري ، المتحف القبطي ، المتحف الاسلامي ، متحف الفن الحديث ، متحف الحضارة ، متحف الثورة التي تعده الآن وزارة الثقافة .

* يعكف الدكتور مراد كامل على ترجمة كتاب « تاريخ مصر والفتح العربي » من اللغة الامهرية الى اللغة العربية .

* الشجرة ذات السياج الشوكي ، ديوان صدر للشاعر رشاد سرجي بتقديم محمد حسن عواد .

* انتهى الدكتور محمد مصطفى بدوي من تأليف كتاب عن شكسبير .

* ستترجم دائرة الفلسفة الغربية والفلاسفة الغربيين في « الالف كتاب » تحت اشراف الدكتور زكي نجيب محمود .

* « راحة الصدور وآية السرور » عنوان كتاب الراوندي ترجمه عن الفارسية فؤاد عبد المعطي ، وعبد النعيم حسنين ، وابراهيم امين الشواربي .

* « سماء بلا غيوم » اسم القصة الطويلة التي الفها ابراهيم وهبي .

* اصدر الدكتور علي شلق كتابا دراسيا عن حياة ابن الرومي وشعره .

* اصدر اصدقاء الاستاذ عباس محمود العقاد بمناسبة عيد ميلاده الثاني والسبعين كتابا بعنوان « العقاد ـ دراسة وتحية » اشترك في تأليفه الاساتذة: نعمات فؤاد ، زكي نجيب محمود ، عثمان امين ، نظمي لوقا ، عبد الرحمن صدقي ، خليفة التونسي ، صوفي عبد الله .

* اصدرت وزارة الثقافة بالقاهرة مسرحية « الام » للكاتب التشيكي كارل تشابك في سلسلة « روائع المسرح العالمي » وقد قام بترجمة المسرحية الاستاذ عزيز رفعت .

* اصدر الشاعر السوداني عبد الله عبد عبد الوهاب ديوانه الاول بعنوان « الرجال الاخشاب »

* اعد الشاعر حسن فتح الباب ديوانا للطبع بعنوان « قطرة حب » ويشتمل على مجموعة من القطع الوطنية والقومية نشر معظمها في الصحف والمجلات الادبية .

* « محمود تيمور الانسان الاديب » كتاب جديد اصدره صلاح الدين ابو سالم ، تناول فيه حياة تيمور والمؤثرات التي خلقت منه اديبا والعوامل التي كونت انسانيته .

* تماثل للشفاء الدكتور طه حسين بعد مرض دام اكثر من شهرين .

* « من اعلام الفكر الاسلامي » عنوان كتاب اصدره اخيرا عوض الله حجازي تناول فيه القيم الاقتصادية مع مقارنتها بآراء الفلاسفة .

* « ليل الخطايا » و « طلائع الفجر » كتابان صدرا للاستاذ نجيب الكيلاني

* شرع مجمع اللغة العربية بالاقليم الجنوبي في تسليم اصول الجزء الثاني من المعجم اللغوي الوسيط الى المطبعة . وسيصدر بعد ثلاثة اشهر اما الجزء الاول الذي صدر منذ شهرين فقد طبعت منه عشرة آلاف نسخة .

* الشعر العربي المتصل بالقومية العربية منذ العصر الجاهلي الى يومنا هذا تم جمعه في دواوين ضخمة ، ستصدر قريبا .

* قررت وزارة الثقافة بالقاهرة تأسيس ادارة بما فيها من كتب ورسائل جامعية وافلام ومسرحيات فيها من كتب ورسائل جامعية وافلام ومسرحيات واغاني وصحف ومجلات .

* كلية اللغة العربية بالازهر قررت اصدار مجلة شهرية تعنى بشؤون الاسلام والتبشير به .

* الدكتور صقر خفاجة والاستاذ محمد علي كمال اشتركا في وضع كتاب يشرح العلاقات بين الاغريق ووادي النيل بعنوان « العلاقات بين قدماء المصريين والاغريق » .

* صدر للشاعر كمال نشأت ديوانه الثاني باسم « انشودة الطريق » .

* فرغ سمير شيخاني من وضع كتاب جديد يضم مجموعة من المسرحيات العالمية المختارة قام بترجمتها عن اشهر كتاب المسرح امثال دستويفسكي، وأسكاروبلد ، وسمرت موم ، وبيراندللو ، وسترندبيرغ تحت عنوان « .. وانسدل الستار » .

* ترجمت الدكتورة نوال السعداوي كتاب « الناس كلهم اخوة » للكاتب الاميركي الدكتور شيفر . وستظهر لنوال قريبا مجموعة قصصية تضم 15 قصة بعنوان « تعلمت الحب » .

* اقترحت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب انشاء كرسي للادب الهندي فى جامعة القاهرة ، وكان ذلك عند مناقشة اللجنة لموضوع الاتفاق الثقافي بين الجمهورية العربية ، وحكومة اتحاد الهند .

* تكونت لجنة برئاسة الاستاذ محمد حسنين وكيل وزارة الثقافة والارشاد لرسم سياسة جديدة بشأن كتب الوزارة وتوزيعها فى الداخل والخارج ، وتحديد الجهات التي يمكن ان تمدها الوزارة بمؤلفاتها .

* سيصدر للاستاذ محمد رضا الشبيبي كتاب « ادب المغاربة والاندلسيين فى اصوله المصرية ونصوصه العربية » ويؤرخ هذا الكتاب للصلة الادبية الوثيقة بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، ويجلو الدور الذي كان لمصر فى الوحدة الفكرية بين اقطار العالم العربي .

* « جبهة الغيب » اسم المسرحية الرمزية التي صدرت فى هذه الايام للدكتور بشر فارس .

* يترجم الى الفرنسية الاستاذ صبحي شفيق رواية « خان الخليلي » للروائي نجيب محفوظ ، هذا وكان صبحي قد ترجم بعض الانتاج الادبي العربي الذي صدر اخيرا لاحدى المجلات الفرنسية .

* « ناقصات عقل ودين » اسم قصة صدرت مؤخرا لثروت المرزوقي .

* « التسلسل الاسرائلي فى افريقيا » كتاب جديد اصدره الاستاذ محمود الشرقاوي .

* اصدر الشيخ المقرىء محمود الحصري كتابا اختار له اسم « مع القرءان » تناول فيه كيفية التلاوة وحكمة انزاله على سبعة احرف .

* ترجم الاستاذ حسن عباس صبحي مسرحية « الرجل السابع » للكاتب الدرامي ما يكل رد جريف

* معهد الدراسات العربية بالقاهرة اتم طبع المحاضرات التي القاها الدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة بدمشق على طلاب المعهد فى الموسم الماضي وموضوعها : « خصائص العربية ونهجها الاصيل فى التجديد والتوليد » .

* جمعت وزارة الثقافة بالقاهرة تراث الشاعر اسماعيل جندي استعدادا لطبعه ، ومن بين هذا التراث مسرحية « الشبح » كما كلفت الوزارة بعض الادباء بنشر تراث الشاعر المرحوم احمد زكي ابو شادي .

* مجمع اللغة العربية بالقاهرة سيبحث تحديد اسماء الذرة وتفجيرها .

* انشئت فى دمنهور جمعية ادبية جديدة يراسها الشاعر سعيد قايد ، وذلك بعد الانشقاق الذي حدث فى « جماعة ادباء دمنهور » .

* ثلاثة نصب تذكارية لصلاح الدين الايوبي ، وخالد بن الوليد ، وسيف الدين الحمداني ، ستقام فى كل من دمشق ، وحمص ، وحلب .

* اصدرت الادارة العامة للدعاية والانباء بالاقليم الشمالي نشرة شهرية خاصة عن الكتب التي صدرت هناك ، واخرى مماثلة عن الكتب التي وردت اليها .

* صدر حديثا فى بيروت عن دار مجلة « شعر » ديوان ضخم يضم منتخبات من شعر الشاعر المهجري شفيق معلوف بعنوان « سنابل راعوث » .

* وصل ميخائيل نعيمة الى بيروت بعد زيارته للجمهورية التونسية التي القى فيها اربع محاضرات قوبلت بالاعجاب .

* سيعقد في 21 غشت ببيروت مؤتمر المعلمين العرب الذي سيبحث الامور الآتية : « تطوير التربية والثقافة في الاقطار العربية » و « المعلم والضمانات الاجتماعية » و « انشاء اتحاد للمعلمين العرب » .

* احتفلت هيئة « النضال الاجتماعي » ببيروت بملحمة « عيد الغدير » للشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة .

* نعى الاردن احد ادبائه اللامعين بوفاة حسن مصطفى على اثر سكتة قلبية اصابت الاديب المرحوم

* عادت الى الظهور بالاردن مجلة « الفجر »

* درست لجنة النشر في دمشق المقترحات التي قدمتها الدكتورة نجاح العطار في ميدان الادب والنقد ، ومن هذه المقترحات ان يتولى مجلس الآداب بها اصدار كتب عن ائمة الادب العربي الذين يمثلون مذاهب في مختلف عصوره ، واصدار دليل يضم اهم الكتب الادبية .

* نشرت وزارة الثقافة والارشاد بدمشق حلقتين جديدتين من سلسلة الثقافة الشعبية هما : « التعاونيات » بقلم الدكتور عدنان شومان ، و « الوطن العربي » بقلم الاستاذ انور الرفاعي .

* تنتقل كوليت خوري بين دمشق وبيروت للاشراف على طبع روايتها الجديدة : « ليلة واحدة »

* تستعد وزارة الثقافة بدمشق لاصدار مجلة شهرية ادبية .

* صدر للشاعر المهجري الياس فرحات كتاب جديد بعنوان « عودة الغائب » يروي فيه قصة زيارته الاخيرة الى وطنه سوريا وانطباعاته في البلدان العربية التي زارها بعد هجرة دامت خمسين عاما .

* ترجمت الى الفرنسية رواية « ستة ايام » لحليم بركات التي صدرت له اخيرا ، وهذه ثاني رواية لبنانية حديثة تترجم الى الفرنسية بعد رواية « انا احيا » لليلى بعلبكي التي صدرت منذ ايام في منشورات « العتبة » بباريس .

* نشبت على صفحات الصحف والمجلات الادبية اللبنانية معركة نقدية حول كتابة النصوص العربية بحروف لاتينية ، وذلك على اثر صدور ديوان « يارا » للشاعر اللبناني سعيد عقل المكتوب باللهجة العامية اللبنانية وبالحروف اللاتينية .

* تكونت في بغداد جمعية جديدة للكتاب والمؤلفين برئاسة الدكتور عبد العزيز الشوري، وذلك بعد ان تعطل نشاط اتحاد الادباء بها الذي يرأسه الشاعر محمد مهدي الجواهري .

* طلبت الاكاديمية البنغالية في باكستان الشرقية موافاتها بمجموعة من القصص القصيرة العربية لترجمتها الى اللغة البنغالية . وقد اختارت لجنة الترجمة في مجلس الفنون مجموعة من هذه القصص منها : « سكينة » ليوسف السباعي ، و « قنديل ام هاشم » ليحيى حقي ، و « نشرة الاخبار » ليوسف الشاروني ، و « افديك بالروح » لمحمود تيمور .

* طبع في لاهاي قاموس لغوي علمي عن « الصناعات الشامية » قدم له المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون ، وقدر اهميته من حيث هو موجه الى تأسيس متحف تاريخي للحرف الدمشقية .

* صدر للروائي الروسي المعروف ميخائيل شولوخوف رواية «حصاد الدون» الذي يعد هو الكتاب الرابع من كتب شولوخوف عن نهر الدون. وقد ترجم الكتاب الى الانجليزية الكاتب الاميركي ستيفنر .
واصبحت هذه الرواية اكثر الكتب رواجا في اميركا .

* لاول مرة منذ اربعين سنة ، قامت احدى دور النشر في المانيا الغربية بطبع ثلاثين الف مصحف من من الحجم الصغير ، وقد قام بتخطيط هذه المصاحف احد الخطاطين الاتراك هو السيد مصطفى ناظف الكاديكارلي ـ كما قام بمراجعتها وتدقيقها تركيان.

* يقوم بعض الادباء العرب المقيمين بفرنسا بترجمة مختارات من الشعر العربي الحديث الى اللغة الفرنسية ، باشراف الشاعر الفرنسي آلن بوسكيه .

* فاز شاعر فرنسي بجائزة دانتي التي تقدمها فلورنسا الايطالية كل عام لشاعر هندي . واسم

الشاعر الفرنسي بير جان جوف . واشهر قصائد هذا الشاعر ما كتبه عن ماساة الجزائر .

* الروائي الايطالي البيرتو مورافيا أصدر رواية جديدة بعنوان « سام » حلل فيها الملل الذي يعانيه هذا الجيل بطريقة واقعية مؤثرة .

* ينشر المستشرق الايطالي مارتينو مارينو دراسة عن الادب العربي المعاصر في مجلة « المشرق » الصادرة باللغة العربية في روما . وقد كتب في العدد الاخير دراسة عن ادب المهجر .

* يتحدث النقاد في اوربا هذه الايام عن رواية صدرت اخيرا من تاليف جايمس ليوهيرلي بعنوان « سقط الجميع » .

* درس المستشرق الايطالي غيدوسفورزا في بحث نشره في مجلة « لاسترداد » الايطالية الصادرة في ميلانو ادب خمسة ادباء معاصرين هم : عباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وابراهيم المصري ، ونجيب محفوظ .

* صدرت في بريطانيا ترجمة انجليزية حديثة للانجيل قام بها عدد كبير من رجال الدين واساتذة الجامعات باشراف الدكتورداود من جامعة اكسفورد . وصدرت الترجمة باللغة الانجليزية عن مطابع جامعتي اكسفورد وكامبردج . وكان مشروع الترجمة قد بدا عام 1938 وتوقف بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ثم استؤنف العمل فيه ابتداء من عام 1948 وقد روعي في الترجمة الجديدة استخدام اللغة الانجليزية المعاصرة والتزام الاصل اللاتيني ، والحرص على نقاء الاسلوب وجماله ، وسهولته بالنسبة للقارىء .

* من الفضائح الادبية التي اثارها امين مكتبة جامعة لندن هذه الايام ، تلك الفضيحة التي مست المتحف البريطاني فقد دفع المتحف 16 الف جنيه ثمنا لمخطوطات مزيفة او مسروقة من مخطوطات المتحف نفسه . وكان البائع رجلا يدعى ت. ج. وايز . ولم يكن المتحف البريطاني هو الذي وقع في الفخ فقد وقعت ايضا جامعة تكساس الاميركية في فخ مثل هذا وقال امين المكتبة المذكورة : ان محتالا فرنسيا صنع اشياء اكثر عجبا من صنيع وايز المذكور ، فقد ظهر رجل فرنسي اسمه لوكاس اثرى ثراء فاحشا من بيع رسائل كتبها عباقرة كبارمثل شكسبير ، وجاليلو، وبعض اباطرة الرومان ، ومن بينها رسالة من كليوباترا الى يوليوس قيصر . والرسائل كلها مكتوبة باللغة الفرنسية .

* فازت رواية « اكثر من الصداقة » من تاليف الكاتبة الانجليزية ماري هوارث بالجائزة الاولى للرواية الرومانتيقية في بريطانيا . واقيم حفل للمؤلفة قدمت لها خلاله جائزة تذكارية باعتبارها الكاتبة الاولى لهذا اللون من الفن الروائي في بريطانيا .

* توفي بيونتوس ابريس الكاتب الارجنتيني المعروف اتريكي لاربطا عن 86 سنة خلف مجموعة من المؤلفات الهامة من بينها « مجد دون راميرو » .

* صدرت للروائي العالمي جراهام جرين رواية جديدة بعنوان « مسالة منتهية » .

* « الاضطهاد العنصري في الولايات المتحدة » هو موضوع القصص التي يكتبها الزنجي الاميركي بول كرومبا .

* في يوم 2 يوليو الماضي توفي الكاتب الاميركي الشهير ارنست هيمنغواي الحائز على جائزة نوبل للاداب بسبب رصاصة طائشة اصابته عندما كان ينظف بندقيته .

* في العالم الغربي موجة من التاليف عن النازية وزعمائها . وآخر كتاب صدر في اميركا في هذا الموضوع هو « الرجل ذو اليد الساحرة » .

اعـــــلان

مسـابقـــة
لتاليـف التمثيلـــات الاذاعيـــة

بمناسبة الموسم الاذاعي الجديد ، تنظم اذاعة المملكة المغربية مسابقة لتاليـف الروايات التمثيلية مفتوحة لجميع الكتاب والمؤلفين فى العالم العربـي . وتـرسل مدة المسابقـة من 15 غشت 1961 الـى 15 اكتـوبـر 1961 .

وهذه المسابقـة على نوعين

ا تمثيليـات باللغة العربية الفصحى .
ب تمثيليـات باللهجة المغربيـة الدارجة .

شـروط المسابقـة

اولا : ان تكون التمثيليات المقدمة اصليـة غيـر مقتبسة او مستوحاة من اصل آخر ، والا يكون قد سبق نشرها او تذيعهـا او تشخيصها .

ثانيا : فيما يخص روايـات اللهجة المغربية الدارجة ، يجب ان يكون موضوعها اجتماعيا او تربويا اخلاقيا ومن صميم الحياة المغربية وتنال الاسبقية والاعتبار المواضيع التوجيهية فى الميدان الوطنـي والتعبئة لبناء المغرب الجديد . اما عن روايات اللغة العربيـة الفصحى فللكاتب الخيـار بيـن المواضيـع الاجتماعية والتاريخية المغربية والاسلامية والعربيـة والادبيـة العامـة .

ثالثا : يجب فى التمثيليـة المقـدمة بالعربيـة او بالدارجة ان تكون اذاعية تاليفا واسلوبا ، كمـا يجب الا تقل فى تشخيصها عن **ساعة كاملة** والا تزيد عـن **ساعـة وربـع** . اما عن عـدد اشخاصها ، فيجب الا يتعـدى **عشرة ادوار** منها سبعـة ادوار او ثمـانيـة للرجال ، ودوران او ثلاثة ادوار للنساء . وللمؤلـف الحريـة فى التخفيض من هذا العـدد .

الجـوائـز

ستوزع اذاعة المملكة المغربية جوائز نقدية قيمة مجموعها الفان من الدارهم **(2.000 درهـم)** علـى الفائزين فى المسابقة وبيانها كما يلـي :

تمثيليات اللغـة العربيـة الفصحى :

الجـائـزة الاولـى	500 درهــم
الجـائـزة الثانيـة	350 درهــم
الجـائـزة الثالثـة	250 درهــم

تمثيليـات اللهجة المغربية الدارجـة

الجـائـزة الاولـى	400 درهــم
الجـائـزة الثانيـة	300 درهــم
الجـائـزة الثالثـة	200 درهــم

ترتيبــات عـامــة

كل مشـارك فى هذه المسابقـة يرسل **نسختيـن اثنتيـن** من تمثيليته باسم مستعار ، مـع مظـروف مختوم يحمل اسمه وعنوانـه ، الـى جانـب اسمه المستعـار وعنـوان التمثيليـة .

ويمكن توجيه روايات المسابقة من يوم الاعلان عنهـا الى غاية 15 اكتوبر 1961 على السـاعة الثانية عشـرة زوالا .

ستجتمع لجنة تحكيمية خاصة فيما بيـن 20 اكتوبر و 10 نونبر 1961 للنظر فى التمثيليات المقدمة، وتعلن النتائج بعد ذلك التاريـــخ .

الروايات الناجحة فى المسابقة تشخصها فرقـة التمثيل العربي للاذاعة وتذاع على امـواج اذاعـة المملكـــة المغربيـــة

جميــع طلبات البيانـات الاضافيـة ، وكذلك روايات المسابقة توجه بالعنوان الآتـي :

اذاعـة المملكـة المغربيـة
1 زنقـة بييـر بـاران
مسابقة تاليف التمثيليات
الربــاط
المغــرب

فهرس العدد التاسع والعاشر ـ السنة الرابعة